

العدد الثاني – السنة الحادية عشرة – رمضان 1387 دجنبر 67

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

صفحة	الموضوع	الكاتب
1	تعالوا الى كلمة سواء	دعوة الحق
4	بشرى ازدياد الاميرة للا حسناء	
6	الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس	
	دراسات اسلامية :	
11	ابن رشد الفقيه	للاستاذ عبد الله كنون
17	مبين صميم الاوضاع الاسلامية المعاصرة	للاستاذ المهدي البرجالي
23	احياء الشهداء عند ربهم	للاستاذ محمد الطنجي
27	القرآن يفسر بعضه بعضا	للاستاذ الحاج احمد التجاني
30	الشخص في الاسلام	للعميد محمد عزيز الحبابي
33	الدراسات الاسلامية في فرنسا	للاستاذ محمد زنيبر
36	الفرق الباغية على خلافها جوهر الاسلام	للاستاذ احسان النمر
42	لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب	للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي
	ابحاث ودراسات :	
46	تقويم اللسانين مستقيم	للدكتور تقي الدين الهلالي
51	ذكرى مرور عشرين سنة على وفاة الامير شكيب ارسلان	للاستاذ عبد الله الجراري
54	ورقات من تاريخ النكبة في بدايتها	للاستاذ الشيخ طه الولي
61	علي ابن ابي طالب الشاعر	للاستاذ ابن طالب زنان
65	نظرات في ميادين التحليل النفسي	للاستاذ عبد الرحمن بنعبد الله
68	نظرة في كتاب معجم الادباء بعد طبع مصدر من مصادره	للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
	ديوان المجلة :	
73	نـــداء	للشاعر محمد الحلوي
75	مرحبا بالحضانتين	للشاعر مفدي زكرياء
76	احزان شاعر	للشاعر عبد الكريم الطبال
77	الثــورة	للشاعر محمد بن علي العلوي
79	[illegible] وصـــورة	للشاعر علال الهاشمي الفيلالي
	دراسات مغربية :	
80	التاريخ المغربي بين اخطاء الحاضر وامال المستقبل	للاستاذ عبد العلي الوزاني
86	طبيعة دور المخطوطات في المغرب ، وصلاتها بدراسة تاريخ المغرب	للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
91	كتب الثقافة	للدكتور محمد كمال شبانة
95	مجمع فاس في القرن الحادي عشر الهجري	للاستاذ حسن السائح
101	نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث	للاستاذ حسن الوراكلي
104	العامل البحري واثره في توجيه الفتوحات الاسلامية بالمغرب	الاستاذ عبد الحق حموش
107	الادب الشعبي في الاندلس	للاستاذ محمد المنتصر الريسوني
112	حياة الرحالين ابراهيم بن عبد الجبار وابن اخيه	للاستاذ محمد بن عبد الحق الودغيري
	عرض الكتب :	
118	الربا والفائدة في الشرائع الاسلامية وعند الفلاسفة والاقتصاديين	تقديم الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة
	ادب وفكر :	
122	القيم الانسانية في الادب الحديث	للاستاذ ربيع مبارك

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد الثاني
السنة الحادية عشرة
رمضان 1387
دجنبر 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

**Daowat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ
الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

كلمة العدد



كـــان من اجمل المآثر ، واسمى المبرات التي سيحفظها الدهر خالدة ، ويسجلها في أسنى وأبهى صفحات عصر عاهلنا الكريم ، هذه المأثرة التي تفضل صاحب الجلالة ، فأمر باخراجها للناس ، ووضعها بين أيدي المومنين من ابناء رعيته ، وهـــي اصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف الكريم (وهو ما كنا تحدثنا عنه في احد اعددنا السالفة)

وقـــد تشرف السيد صاحب المعالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في الايام الاخيرة من شعبان ، وبمناسبة قرب بزوغ طلعة رمضان بتقديم أول نسخـة جاهزة من هذا المصحف الكريم الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مـولانا الحسن الثانـــي نصـره الله وأيـــده .

وانـــه لمن دواعي اليمن والاقبال ان يقترن تقديم مصحف الحسن الثانـــي ، وابرازه الى الوجود في حلة رائعة تليق بكتاب الله تعالى الى الشعب المغربي النبيـــل والامة الاسلامية بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بـدء نزول الوحـــي على رسول المحبــــة والســلام .

ومـــن دواعي القبول والاخلاص ـ ايضا ـ ان يستقبل المسلمـــون مصحف الحسن الثاني في هذا الشهر المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة والذي تحدى كل انسان وأعجز ، وابتدأت فيه بعثـة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، وهم يحتفلون بايامه احتفالا تغمره البشاشة والطهر ، وتأتلق فيه المحبة والبهجة ، وتهب عليهم فيه نفحات من ريح الجنة وروحها ، فترطب القلوب الجافة ، والنفوس الواثبة ، فلا يخرجون منه الا وهم وقد تزودوا بذخيرة من الخير ، وزاد من التقـوى، وعـدة من الجلد والصبر للعمل والجهـــاد .

لقـــد اسدى سيد البلاد مولانا الحسن الثانـــي ـ حفظ الله زمانا أطلعـــه ـ الى شعبه الوفي ، والى الامة الاسلامية الكريمة مبرة جليلة تضاف الى سجل اعماله البواقي في سجل الخالدين ، وهي اصدار طبعة رائعة لكتاب الاسلام الخالد ، ومعجزته النادرة الذي كفل للامة الاسلامية من الحرية والعدالة والكرامة والمساواة ما جعلهـا خيــر امـة أخرجت للناس .

فقــد جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتنزيل الى الامة الاسلاميــة دستورا كاملا تصلح عليه شؤون الفرد ، واحوال الجماعة ، ويحمل الى الارض الطمانينة والسلام ، وينشر بتعاليمه السمحة المحبة بين الناس ، ويقضي على عوامــل الانانية واسباب الاثــرة ، ويغرس في النفس الانسانية خلــق الايثار وحب الغير والمروءة وتتضمن دعوته الخالدة تكريم الانسان ، وتنظيم العمران لتحقيق اليمن والسعــادة التي يطــرز حواشيها النعيــم ...

دعــا القرآن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى كلمة سواء ، وخطة واحــدة ، وتصميم محكم ، وغاية جامعة ، تتحد في الوجهة والقبلة والغرض ، كمــا نادى العرب والناس كافة بنداآت الاهية اججت العواطف ، وحركت العقول ، وبعثت في نفــوس المومنين كل معاني الوحدة الفاضلة ، والمحبة والالفة والاخاء ، مما احدث ثورة رائعــة في نفوس العرب كان لها المدى البعيد في تحويل مجرى الانسانية كلها ...

لقــد وعى التاريخ عن ثورة القرآن ما لم يعه عن اي حدث آخر في الدنيا ، سواء في معارك التهذيب النفسي حينما وجد الناس يسودهم الهوى ، ويسوسهم الجهــل ويقودهم الضلال ، فاصبحوا بهديه مثالا يحتذى ، وقرآنا هاديا يسير على قدميه ، او في معارك السلاح يوم تدفقت سيول العرب من منابعها ، وخاض ابناء الامة الوسطى ، وورات الدعوة الكبرى بفتوحاتهم الاسلامية ارجاء المعمور ، او في عظمة الثورة القرآنية الفريدة في ميادين العقل والفكر ، حيث نشات علوم اسلامية وعربية من اجل كتاب الله وخدمته ، وما زالت تلك العلوم تنمو في كنفه ، وتزداد العناية بها حتى اصبحت بعــد ذلك علوما قائمة الذات ، شامخة البناء ...

فمنــذ اشرقت الارض بنور ربها ، وهذا الكتاب المبين بين ايدينا يشــع على جنبات العالم انوار الحق والقوة والعزم يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويحمل الى العالمين رسالة الاسلام الصامدة التامة الكاملــة التي لا يلحقهــا ضعف الانسان وقصوره وتقصيره ، ولا يسبقها تطور العالــم .

تبلجت في الافق المظلم تباشير الوعي المحمدي في الامة العربية لمــا تخلى العرب عن انانيتهم وعنجيتهم وابتعدوا عن شهوة الاباحية التي كانت تصدهم عن ذكــر الله وعن الصلاة ، وتدفعهم الى ان يشتروا الضلالة بالهدى ، ويشعروا بضرورة الوحدة الجامعة التي سرعان ما صدعوا بها ، وعملوا لها ، ودعوا اليهــا ، فصاغتها قلوبهــم المتآلفة ، ونفوسهم المتحدة ، كما وقفت الارواح الزكية خلفها تحميها ، وتذوذ عنهــا ، وتتعهدها بالري والسقيا ، فاستخلفهم الله في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم، وبدلهم من بعد خوفهم امنــا ، ومكنهم من السطوة والسلطة والسلطان ، وقال لهم :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وانتم الاعلون ان كنتم مومنين »

لقــد غرست هذه الوحدة الجامعة التي امر بها القــرآن ، الوئام في النفوس ، وعملت على اقرار السلام بين الشعوب ، فكانت مصدر يمن ورخاء وسعادة العــرب والمسلمين ، ارتفع بها شانهم ، وسما بين الامم قدرهم ، فصدت عنهــم الغوائــل ، وذاذت عنهم عاديات الدهر ، وطهرت ارضهم من رجس المرجفين الذين ينفثون السموم الناقعة في المجتمعات ، ويعيثون في كل مكان ، ويختلون في كل جماعــة ، ويفسدون فــي الارض .

لكــن ... لمــا بعد المسلمون عن كتابهم ، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات! ونسوا الله فانساهم انفسهم ! دب الوهن الى النفوس ، واستولى الضعف على القلوب،



السيد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يعرض على مقام حضرة صاحب الجلالة النسخة الاولى من مصحف الحسن الشريف الذي انجزته وزارته

ووهت الوحدة المتماسكة ، واستبهمت المذاهب ، واستشرت الفرقة بين الاخوة ، فمزقت اوطاننا ، وفرقت شعوبنا الى حالة تدعو الى الاشفاق والرثاء ، مما جعل الحاجة تدعو الى بعث جديد ، ووعي رشيد ، يجتمع بهما الشمل ، ويلتئم معهما الصدع ، ويطمئن بهما هذا العالم المضطرب ، ويستقر السلام المتارجح المهزوز .

وان اتحادا يكون مبعثه القرآن ، ومصدره رب العزة والجلال ، خليق به ان يضم الشارد الى القطيع ، ويلحق القافلة بالركب العام ، ويدني الامة في دينها ودنياها على اتم وجه من الكمال .

وفي غمرة احتفالات المسلمين بشهر الصيام المعظم ، وفي جو عطر خاشع من العبادة والطهر ، وبمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول الوحي على سيدنا محمد عليه السلام ، وفي هذا الظرف العصيب الذي تجتازه الامة الاسلامية من فواجع وقواصم ، ومحن شداد يقدم عاهل المملكة المغربية مولانا الحسن الثاني الى كافة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الطبعة الرائعة من المصحف الكريم الذي رفع الله به شان الامة العربية فاخرجها من الظلمات الى النور ، ومن الفرقة الى الوحدة ومن الضلالة الى الهدى والرشاد ...

وان هذا التوافق ليحمل اكثر من معنى ، وتشير دلالته الى ان النصر لا يقوم الا على أسباب ومقتضيات ، وتكاليف وأعباء ، وان ما يلوح في الافق من تباشير الفوز والفلاح ، وتقريب مسافة الخلف بين الاقطاب والرؤساء ليحملنا على الاعتقاد باننا قد بدأنا ناخذ للامر عدته ، وللجولة الثانية اعباءها وتكاليفها ، وان صاحب الجلالة نصره الله كان موفقا الى أبعد مدى حينما أمر باصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف الكريم ، واخرجها للناس في وقتها المناسب وهو يقول حفظه الله :

تعالوا الى كلمة سواء ...

دعوة الحق



اشرقت رحاب القصر وجنباته ، وطفحت الوجوه بالبشر والسرور ، حيث اضاء بيت مولانا الامام بحادث سعيد ، وهو ازدياد مولودة مباركة سعدت بها الايام ، وافتر لها فم الزمان ...

وبهذه المناسبة السعيدة الميمونة انطلقت مواكب الافراح تهزج وتشدو ، واندفعت الجماهير الى رحاب المشور السعيد في فرحة غامرة ، وسرور متدفق لتبليغ صاحب الجلالة مشاعر ابتهاجها ، وآيات ولائها ومدى تعلقها بسدته العالية بالله ، وبالعرش العلوي المجيد .

كما تقاطرت الشخصيات والوفود على مديرية التشريفات الملكية ، ومختلف العمالات لتسجيل تهانئها الحارة الى مقام حضرة صاحب الجلالة بهذا الميلاد الميمون .

ومن يمن الطالع ، ان هذا الحادث السعيد قد اقترنت ايامه الغر البيض بالاعياد الوطنية المجيدة التى خلدها الشعب المغربي بافراحه ومسراته .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بصفة عامة ، ودعوة الحق بصفة خاصة ترفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة أمير المومنين ، وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني دام عزه ونصره وتاييده عبارات التبريك والتهاني بازدياد هذا الحادث السعيد ، راجية من الله العلي القدير ان يحفظ مولانا الامام ، ويقر عينه بولي عهده سيدي محمد ، وباقي اخوته ، ويحفظه في أسرته الكريمة وشعبه المخلص الوفي .

ويسعدنا ان نقدم الكلمة الرقيقة التي زف بها معالي الاستاذ الكبير الحاج امحمد ابا حنيني وزير الشؤون الادارية ، الامين العام للحكومة بشرى ازدياد الاميرة على امواج الاذاعة والتلفزة وهذا نصها:

الحمد لله وحده

لقد شرفني مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ادام الله له السؤدد والعز ، ووالى له النعم السابغة ، والايادي الجميلة ، فاصدر الي سامي امره ، منذ بضعة اشهر بان احيط شعبه المخلص الوفي علما بان بيته الكريم ، ستشرق رحابه المحروسة في شهر نونبر الجاري بطلعة امير او اميرة ، فكان للنبأ السعيد الذي نلت شرف تقديمه ، وللبشرى التي حظيت بزفها الى اخواني المغاربة ، الاثر المتوقع الحميد في الافئدة والنفوس ، فطفحت القلوب فرحا وسرورا ، وبهجة وحبورا ، وشاع فيها الامل المشرق الوضاء ، شيوعه فيها كلما زف اليها مثل هذه الانباء ، وخامرها شديد الرجاء ، في ان يهب الله للعاهل الساهر الامين وحامي حمى العرين من الامراء والاميرات ، من تتحقق بعزائمهم الامال ، ويطرد على ايديهم صلاح الاحوال ، في ظل والدهم الممدود ، وكنفه المقصود ، وها انا اليوم والمسرات تملأ الجوانح ، والبهجة تفعم الفؤاد ، يشرفني أعظم ما يكون التشريف ، ان أعلن لاخواني المغاربة ، ان الله الرازق الوهاب ، حقق تلك الامنية الغالية ، وذلك الرجاء السني المعقود ، فوهب لسيدنا دام له النصر والتأييد ، في هذا اليوم المبارك الاغر ،



حشد من المواطنين هرعوا الى القصر الملكي العامر بمجرد سماعهم بازدياد سمو الاميرة الصغيرة للا حسناء

سادس عشر شعبان عام 1387 موافق 19 نونبر 1967 بنتا اشرقت بطلعتها رحاب البيت المولوي الشريف واقترن الفرح بازديادها بأفراح عيد الاستقلال المجيد ، فتوالت افراحنا ، واتصلت مسراتنا وأعيادنا.

واني اذ ارفع لصاحب الجلالة الملك الهمام الحسن الثاني بمناسبة هذا الحادث السعيد ، وهذا الميلاد الميمون ، وقلوبنا جميعا تفيض ابتهاجا واستبشارا عبارات التهاني والتبريك ، اسأل المولى جل وعلا ، ان يقر عين سيدنا بالاميرة الكريمة ، ويطيل بقاءه ، ويديم عليه من نعمه أزكاها ، ومن اياديه اجملها واسماها ، ومن اردية عافيته اضفاها ، ويحفظه ذخرا للبلاد وملجئا ، وحصنا حصينا وسندا ، كما اساله ان يمد فى عمر ولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد ، ويكلاه ويرعاه ويحرس ذرية الحسن الثاني اجمعين ، حراسة لا تنقطع ولا تريم ، ويمهد لهم السبل لما فيه رضاء والدهم العظيم ، ويحكم ما بين الاسرة الملكية وبين الشعب المغربي من أواصر المحبة المتبادلة ، وروابط الاخلاص الجامع المتين ، والتعلق الواصل المكين ، انه باسعاف السائل قمين .

الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس و الاحتفال بميلاد جمعية الجامعات الافريقية

شهدت جامعة محمد الخامس خلال شهر نونبر الماضي حدثين هامين وهما ميلاد جمعية الجامعات الافريقية ، والاحتفال بمرور عشر سنوات على تاسيس جامعة محمد الخامس .

فقد احتفل رجال التعليم العالي الافارقة بميلاد جمعية الجامعات الافريقية المنبثقة عن المؤتمر التاسيسي حيث حضر الى قاعة المحاضرات بكلية العلوم رجال الفكر من افريقية ومن مختلف انحاء العالم ، احتفالا بميلاد جمعية الجامعات الافريقية ، يشاركهم في ذلك كبار رجال الدولة واساتذة مختلف كليات جامعة محمد الخامس

وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس رئيسا لجمعية الجامعات الافريقية .

كما احتفلت جامعة محمد الخامس بالذكرى العاشرة لتاسيسها حيث حضر هذه الذكرى مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله مرفوقا بصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ومعالي الوزير المدير العام للديوان الملكي والوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ووزير القصور الملكية وأعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول وعمداء الكليات وأعضاء المؤتمر التاسيسي لجمعية الجامعات الافريقية وكبار الموظفين ورجال السلك الديلوماسي ومختلف الشخصيات .

وان تشريف صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله بحضوره في الاحتفال بهذين الحدثين المهمين لتعبير من جلالته عن تقديره لجهودات العاملين في التعليم الجامعي والمساعي التي تبذل في سبيل تحقيق الوحدة الافريقية على مختلف المستويات .

وقد كانت الخطب التي القيت امام حضرة صاحب الجلالة خلال الاحتفالين المذكورين كلها اشادة باهتمام جلالته بالعلم وتقديره لرجاله .

ثم القى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم في الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس خطابا هاما استهله بكلمة مرتجلة هنا فيها الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس بانتخابه رئيسا لجمعية الجامعات الافريقية حيث قال جلالته :

الحمد لله وحده والصلاة على مولانا رسول الله وءاله وصحبه .

حضرات السادة

نود قبل كل شيء ان اشكركم على انتخابكم بالاجماع على الاستاذ محمد الفاسي كرئيس لجمعيتكم ، وانا لنرى في انتخابكم اياه ، تشريفا وتكريما للمغرب .

واني باسم المغرب وباسم جامعة محمد الخامس وباسم التلامذة والطلبة ، الذين تخرجوا على يد الاستاذ ، وأنا واحد منهم ، أتقدم اليه ، باحر التهاني ، وباطيب المتمنيات ، شاكرا اياه على المجهودات التي



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة
لجامعة محمد الخامس

قدمها ، والتضحيات التي تحملها في سبيل نشر العلم، وفي سبيل تثبيت الفرقان داعيا له بالسدد والتوفيق.

شعور بالاعتزاز

حضرات السادة :

اننا لنعد من غرر الدهر ومحاسنه ، الايام التي انعقد خلالها فوق تراب هذه الديار الحافلة بالفكر وشؤونه وفي رحاب هذا المعهد ، الذي اقام صرحه والدنا المقدس ، على تقوى من الله ورضوان ، مؤتمركم الجامع ، لرجال الفكر من ابناء قارتنا الافريقية ، فسرورنا بليغ بحلولكم في وطننا هذا ، الذي هو وطنكم، وبما عكفتم عليه ، في هذا الظرف القصير من ابحاث ودراسات ، عقبت استنتاجات وافضت الى مقررات ولئن كان اقتران اجتماع مؤتمركم هذا ، بذكرى مرور عشر سنوات ، على تاسيس جامعة محمد الخامس من اسباب مضاعفة سرورنا ، وابتهاجنا ، فان هناك سببا اخر ، يبعث في نفسنا سرور الاعتزاز الا وهو التقاء نخبة من رجال القارة الافريقية مهتمين بشؤون العلم والمعرفة والتكوين ، واعين بالمسؤوليات العظمى الملقاة على كواهلهم والواجبات التي تفرض عليهم اعداد الاجيال وتكوينها تكوينا يؤهلها ، خاصة في الظروف الراهنة ، التي لا ترأف بالمتخاف ولا ترحمه ، تؤهلها للاضطلاع بما ينتظرها من تكاليف واعباء ، ويسعدنا الى جانب هذا كله ، ان نرحب مستبشرين متفائلين بهذا اللقاء الجامعي الكبير الذي اتاح فرصة الاتصال بين شخصيات بارزة ، في مضمار الثقافة والتثقيف ، وفدت من جهات مختلفة ومكنها من التعارف والتآلف وتبادل الاراء ، ورسم الخطط ، التي نامل ان تؤتي ثمارها غضة يانعة،وتهيىء لهذه القارة ولابنائها مستقبلا ، يكون في مستوى متطلبات عصر السرعة والتقنية والاكتشافات العلمية الباهرة للعقول وتحول الاشياء تحولا لا هوادة فيه ، من حال الى حال.

ركب الحضارة يسير

حضرات السادة :

لقد سار ركب الحضارة سيره الحثيث وانطلق عدد من الاقطار انطلاقا متواصلا سريعا يخطو كل يوم خطوات ويثب حينا بعد حين وثبات ، وبقيت اقطارنا التي ابلت حقبة من الزمن احسن البلاء ، وساهمت باشعاعها في التقدم والنماء ، متخلفة عن الركب السائر والموكب الزاحف بحكم ما لابس حياتها من ملابسات ، وعرض لها من ظروف قاسيات نكدات حتى اصبحت الشقة شاسعة بعيدة بينها وبين غيرها من الاقطار التي ادركت من التقدم والرقي الغاية المثلى والدرجة القصوى ، وصار لزاما على اقطارنا بعد أن وضعت الاغلال والآسار التي كانت تثقل كاهلها وتقيد خطاها ، ان تسعى جاهدة جادة وتحث السير وتطوي المراحل والاشواط وتختصر المسافات لا لرأب الصدع وتلافي النقص ، واصلاح ما اضمحل واندثر ، وايجاد ما لم يكن بذكر ، واكتساب الوسائل اللازمة للخلاص من ربقة التخلف فحسب ، بل لتجاوز هذا الطور الى طور مسايرة الموكب السيار بالافتنان في شتى ميادين الاختراع والابتكار لبلوغ ابعد غايات الرقي والازدهار .

افريقيا بعد الاستقلال

لقد واجهت الاقطار الافريقية غداة استرجاعها للاستقلال مشاكل متعددة عويصة في طليعتها قلة الاطارات الضرورية لتسيير شؤونها والاضطلاع بمختلف المهام ، التي تفرضها عادة السيادة الكاملة ، فكان من اهم اهدافها وآكد مستلزماتها ومتطلباتها ان تعد الافواج من ابنائها اعدادا يستطيعون بفضله ان يتقلدوا زمام التدبير والتسيير . ويخلفوا من كان مسندا اليهم امر هذه المهام من اطارات اجنبية ، وقد خطت الاقطار الافريقية خطوات موفقة في هذا الميدان بفضل ما اقامته من مؤسسات علمية ، ومعاهد تكوينية وجامعات لتثقيف شبابها الظمآن الى المعرفة المتطلع الى الاسهام بالحظ الوافر والدور الفعال في النهضة التي ينشدها لبلاده ويرجوها لحاضره ومستقبله ، الا ان اقطارنا الافريقية لم تظفر بعد بمبتغاها ولم تفز بمناها ولم تبلغ لحد الان الدرجة التي يصح معها الاكتفاء بالاطر الوطنية ويتسنى معها الاستغناء عن المساعدة الفنية ، ولذا فان من آكد الواجبات ، واكبر المسؤوليات الملقاة على عواتق الساهرين على معاهد التكوين الموكولة اليهم عهدة تخريج الافواج الصالحة ، والاطارات النافعة ان يبذلوا قصارى الجهود لتحقيق هذا الاكتفاء وضمان هذا الاستغناء .

امكانيات كبيرة

ان الاقطار الافريقية لغنية بامكانياتها ومقدراتها الخفية منها والظاهرة ، وحري بنا ونحن ننشد السير قدما لبلوغ اسمى المقاصد وابعد الاهداف ان نحرص كل الحرص ونجد كل الجد في تكوين وتوفير الاطارات على اختلاف انواعها وتعدد وجوه اختصاصها لاستثمار تلك الامكانيات والمقدرات استثمارا ينهض باعبائه ابناؤنا الافارقة دون احتياج الى مساعدة ويعمم الثراء وينشر الرخاء ويثب باقطارنا الوثبة المطلوبة التي يتعزز بها جانبها ويرتفع شأنها ، وتصبح بفضلها قارتنا ذات الكلمة المسموعة في المحافل التي لا تقيم وزنا للشعوب والاقطار ولا تكترث لها وتحسب لها الف حساب الا اذا اقترن ذكرها بما لها من امكانيات التأثير في اسواق العالم وما تتوفر عليه من وسائل الضغط على سير المعاملات ، وتملكه من اسباب تصريف المبادلات .

معركة النماء

فاذا نحن جاوزنا طور التخلف بعد تكوين الاطارات الصالحة الكافية واستثمار الثروات وكسبنا معركة النماء وحققنا لاقطارنا ذلك المستوى الذي تتأتى معه المفاخرة والمباهاة بالقياس الى كثير من المستويات الداعية الى التقدير والاحترام وجب علينا ان نطلب آنئذ المزيد من المعرفة ونتطلع الى مستوى اسمى ، ونطمح الى بلوغ غاية اسنى ، وذلك لاعداد رجال البحث والتنقيب ، والاكتشاف وتخصيص جانب غير يسير من جهودنا وامكانياتنا قصد اسعاف هؤلاء الرجال بالوسائل الكفيلة بتسيير اعمالهم الخليقة بمساعدتهم على الانصراف الى مجال الابتكار والابداع والتوليد والاختراع .

مقصد نبيل

وان من شأن ادراك هذا المقصد ان يضيف الى وزن اقطارنا وزنا ويزيدها رفعة الى رفعة ويسمو بها الى مقام ملحوظ ومكان مرموق فالمجهود المطلوب من



صورة من الاحتفال الذي أقيم بمناسبة ميلاد
جمعية الجامعات الافريقية

دول قارتنا واولي الامر بها والقائمين على تكوين اطاراتها العليا الفنية منها على وجه الخصوص مجهود بالغ الاهمية ، لما تترامى اليه اطماحنا ورغائبنا من تحقيق الثراء الشامل لجميع الميادين المادية منها والفكرية .

بيد ان تكوين هذه الاطارات العليا بقارتنا الافريقية يجب ان يكون تكوينا متينا صالحا لا يشعر معه الشباب الحاصل عليه بنقص او حرمان بالنسبة لامثاله من الشباب المتخرجين من المعاهد العليا الاجنبية حيث يظفرون بالمعرفة الوافرة والتكوين الصحيح ، ذلك ان شبابنا الافريقي لا يرتاح تمام الارتياح لما يناله في معاهد بلاده من تكوين وتثقيف شعورا منه لما بين التكوينين من فوارق وتفاوت فلا يلبث ان يهاجر وطنه موليا وجهه شطر المعاهد الاجنبية رغبة منه في استكمال معرفته وسد النقص المهيمن على نفسه ، حتى اذا بلغ شبابنا في الخارج ما يريدون وادركوا ما اليه يطمحون ، استطابوا المقام ، بديار غير ديارهم واوطان غير اوطانهم ، فتترتب عن هجرانهم هذا لبلادهم ، حرمانها من مواهب وكفايات هي في امس الحاجة اليها .. واشد الرغبة في الاستفادة منها، ولذا فان على رؤساء جامعاتنا والمشرفين على تكوين الاجيال الناشئة ان يعيروا هذه الظاهرة ما هي قمينة به من انتباه واهتمام ويصرفوا قسطا كبيرا من جهودهم وحظا وافرا من تفكيرهم لرفع المستوى الثقافي لجامعاتنا ومعاهدنا لتستجيب للمتطلبات استجابة تكفل القضاء على الشعور بالنقص ، الذي يعتلج في صدور طلبتنا ، وتحبب اليهم البقاء في احضان اوطانهم ، والعمل لما فيه نفعها وصلاحها ، وخيرها وازدهارها .

مساعي وجهود

ان مستقبل قارتنا لرهين بمساعيكم المتكاثفة ، وجهودكم المتضافرة ، ويقيننا ان المساعي التي ستقومون بها والجهود التي ستبذلونها ستكلل لما هي اهل له من فوز ونجاح ، وسيكون لها ولا ريب احسن العواقب واجمل الاثار .

حضرات السادة :

ان المؤتمر الذي عقدتموه بعاصمة مملكتنا لعنوان على ما لاقطارنا وشعوبنا من حب خالص مكين للسير بها نحو ما نصبو اليه جميعا من غد مشرق سعيد ومستقبل حميد وعيش رغيد .

عناية بأعمال المؤتمر

ولقد تتبعنا اعمالكم بعناية فائقة واهتمام كبير واننا لنعقد للمقررات التي اتخذتموها اوسع الامال ، ونتوقع ان تسفر عن الاصلاح والجدوى والفائدة التي لا ينحصر مفعولها فى نطاق مجموعة بلادنا الافريقية وانما يمتد الى الانسانية جمعاء .

وان تلبيتكم للدعوة التي وجهناها لكم لعقد مؤتمركم التاريخي هذا فى رحاب جامعتنا الحافلة بمختلف الطلبة الذين وفدوا اليها من جهات متعددة ولا سيما من الاقطار الافريقية لهي تقدير منكم لما نوليه من رعاية للتعليم العالي وعناية بشؤونه ونبديه من حرص على ان يؤدي الرسالة التي اقيم من اجلها.

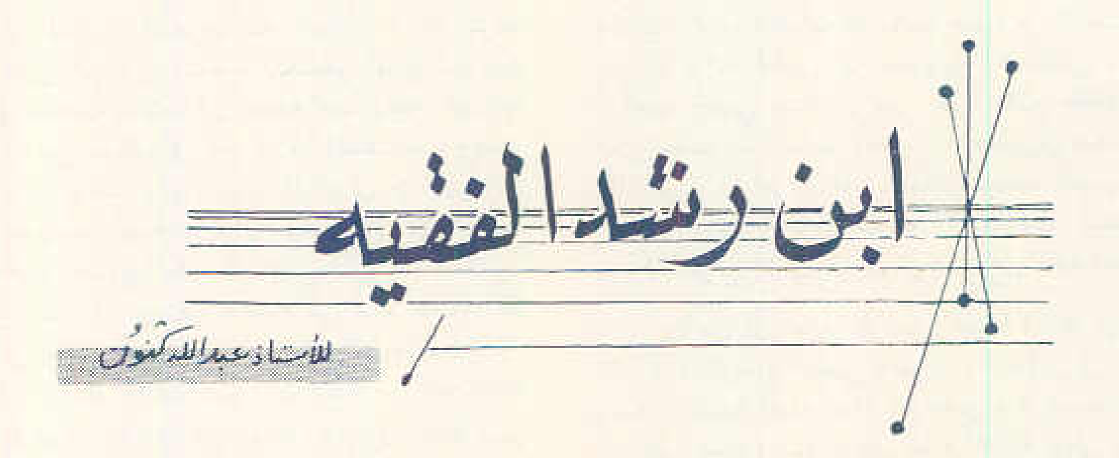
ولئن كنا لم نبلغ بعد فى هذا المضمار الشأو الذي يرضي جميع مطامحنا ويحقق سائر رغائبنا ويوفر لنا الاطارات الكافية والعدد الكبير من العلماء والباحثين فاننا لا ننسى ما ادته جامعتنا الفتية من واجب وقامت به من دور فعال فى مجال البحث العلمي والتكوين والاعداد على ان تفكيرنا موصول غير مقطوع فيما تدعو اليه الحاجة من تطوير لهذه المؤسسة وتحسين وتكميل حتى تصبح جامعة محمد الخامس مركزا من مراكز الاشعاع الفكري ومنهلا من مناهل الثقافة العليا تؤمه من كل حدب وصوب الافواج الظامئة الى العرفان الصحيح والاجيال المتعاقبة من الطلبة ، فتصدر عنه مزودة باحسن زاد مسلحة بانفع عتاد مهيأة لتحمل المسؤوليات واداء الواجبات .

حضرات السادة :

اننا لنعرب لكم من جديد عن ترحيبنا بكم وسرورنا بانعقاد هذا المؤتمر الجامعي فى احضان جامعة محمد الخامس الذي نعدها جامعة لابنائكم مثلما نعد المركز الذي تم انشاؤه بمدينة طنجة برغبة منا مركزا مشاعا بين جميع الاطارات الافريقية العليا التي تختلف اليه لاستكمال تكوينها وثقافتها .

واملنا وطيد ان يحالف جمعيتكم التوفيق والنجاح حتى تحقق ما رسمته لنفسها من اهداف وتبلغ ما ترمي اليه من اغراض كما نرجو ان يكون تاسيس هذه الجمعية عاملا على توثيق ما بين البلدان الافريقية من روابط وصلات وتمتين ما بينها من اواصر الصداقة والاخاء ، والله المسؤول ان يمد فى عمر جامعتنا ويسدد خطاها ويديمها قبلة لطلاب العلم والعرفان ومنارا يهتدي بنوره من افتقد الجادة وضل سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات اسلامية



انعقد يوم الاثنين 16 / 10 / 1967 باسبانيا كما هو معلوم مؤتمر الدراسات العربية الاسلامية الذي تنظمه الهيآت الثقافية باسبانيا ، كمدرسة الابحاث اللغوية بمدريد ، ونظيرتها بغرناطة ، والمجلس الاعلى للابحاث العلمية باسبانيا بالتعاون مع الادارة العامة للتعليم العام بوزارة التعليم الاسبانية ، ومعهد الدراسات الاسيوية في مدريد التابع للجمهورية العربية المتحدة ...

ويعنى هذا المؤتمر خاصة بالدراسات العربية والاسلامية المتعلقة بالتراث الفكري والادبي والفني في الاندلس والمغرب .

وقد عقد المؤتمر في هذه الدورة السادسة التي عقدت جلساتها بنادي الصداقة ، في مدينة قرطبة ، التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ العرب والاسلام ، بمناسبة احياء ذكرى عالمها الكبير وفيلسوفها الفذ ابن الوليد ابن رشد الذي اقيم له يوم الاثنين 23 / 10 / 67 تمثال من الرخام في احدى ساحاتها العمومية ودشن في هذا المؤتمر .

وقد القى السيد قزمان ريتا ، عمدة المدينة امام التمثال كلمة بليغة اشاد فيها بمكانة العالم الجليل ونفوذه الذي انتشر في كافة انحاء اوربا خلال القرون الوسطى .

وشارك في هذا المؤتمر نخبة كبيرة من المستشرقين الاسبان ، وبعض الباحثين من الاقطار العربية كالدكتور حسين مؤنس الذي قدم موضوعا عن « الشعر الاندلسي في عصري الامارة ، والخلافة » وخالد الصوفي الذي كان بحثه بعنوان « لمحات من حياة ابن رشد » وعيسى الناعوري الذي كان بحثه عن « عناصر التفاعل والتكامل بين الثقافتين العربية والاسبانية » وغيرهم من العرب .

والبحث الذي قدمه فضيلة الاستاذ العلامة سيدي عبد الله كنون في هذا المؤتمر يتعلق بالناحية الفقهية من تراث ابن رشد التي لم يتناولها احد مع اشتهار ابن رشد بانه الى جانب فلسفته وطبه كان فقيها مالكيا كجده الامام ابن رشد الكبير ...

وقد رجونا من الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ان يمد مجلتنا بهذا البحث القيم فتفضل بارساله مشكورا ...

التحرير

ان الكتابة عن ابن رشد الفيلسوف كثيرة جدا ، ومنها دراسات قيمة كتبها مختصون في المادة بحيث اصبحت هذه الناحية من تفكيره وتراثه العلمي متميزة للغاية ، ناهيك بما كان لها قديما من أثر بين في توجيه الحياة الفكرية والعلمية في اوربا قبل عصر النهضة .

اما ابن رشد الفقيه فقد بقي بمعزل من عناية الباحثين ، ولم تنل ثقافته الفقهية ما تستحقه من الوزن والتقدير ، حتى تنوسيت او كادت ، وصار وصف ابن رشد بالفقيه يغلب ان يدل على ان ابن رشد الجد لا على ابن رشد الحفيظ صاحبنا . وقد

استشعرت ذلك حين كتبت عنوان هذه الكلمة وهممت تغييره لولا اني اعلم ان البساط يعين المراد .

والحق ان ابن رشد الجد كان اماما من ائمة الفقه المالكي ، يؤخذ بقوله فيه ويعتمد عليه في الفتوى والقضاء ، وكتاباه البيان والتحصيل ، والمقدمات ، من اعظم كتب المذهب واشهرها عند المالكية ، ولم يتردد الشيخ خليل الجندي صاحب المختصر المبين لما به الفتوى في مذهب مالك ، ان يجعله احد اربعة اقطاب ممن يعول على ءارائهم في فقه هذا المذهب ، وهم اللخمي وابن يونس وابن رشد والمازري (1) فهو اذن صاحب مدرسة فقهية ما تزال معتمدة الى الان عند اتباع مالك في جميع العالم الاسلامي ، ولذلك لا غرو ان يغطي اسمه اذا وصف بالفقيه على اسم حفيده فلا يتبادر الى الذهن غيره كما لو كان هو الفقيه وحده .

الا اننا نعلم ان صاحبنا كان ايضا من ائمة الفقه واعلام المذهب ، وانه لا يقل كفاءة ولا ينزل مكانة عن جده في العلم باحكام الشريعة وسائر المعارف الاسلامية ، ولقد وصفوه باخص اوصاف جاه من انه كان مفزع الناس في الفتوى ، وان الدراية كانت اغلب عليه من الرواية ، فضلا عن كونه ولي قضاء الجماعة بقرطبة مثله ، وهو منصب عال يعطي لصاحبه الاشراف على سائر قضاة الاندلس ، وربما خوله حق تعيينهم . فنحن نرى انه في هذا المقام لم يكن بينه وبين جده فارق ما ، غير ان الجد كان منقطعا الى الدراسات الفقهية والنظر في احكام الشريعة فخلف ذلك التراث الطائل الذي يعتز به الفقه المالكي ، والحفيد كان مشاركا في العلوم العقلية والطبية ، فتوزعت اهتماماته وكان انتاجه في هذه اكثر واخصب ، وان لم يؤت انتاجه الفقهي من ضعف مادة او قلة في الجملة .

ولقد جاء في ترجمته عند ابن الابار تبيينا لمنهاج طلبه وميدان تخصصه : « انه درس الفقه والاصول وعلم الكلام .. ومال الى علوم الاوائل ، وكانت له فيها الامامة دون اهل عصره ، وكان يفزع الى فتياه في الطب ، كما يفزع الى فتياه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب » (2) فهو على هذه المشاركة الواسعة والانفراد من بين اهل عصره بالتقدم في العلوم الكونية ، كان الناس لا يستغنون عن فقهه وطلب فتواه في النوازل ، وما ذلك الا لما يعلمونه من رسوخ قدمه في المعرفة باحكام الشريعة وسداد نظره في مسائلها .

وعليه اذا كانت الدراسات العديدة التي وضعت حوله قد اهتمت بفلسفته وحكمته ، وشرحت آراءه وما كان لها من تأثير على الحياة العقلية في العصور الوسطى باوربا ، وكذلك الناحية الطبية من تراثه وخاصة كتابه الكليات قد نالت حظها من البحث ، ولم يبق الا تراثه الفقهي غير مدروس ولا معتنى به ، فان الواجب يقضي علينا ان نلقي نظرة ولو خاطفة على عمل فيلسوفنا العظيم وطبيبنا النطاسي في ميدان الفقه والتشريع ، ونعرف قدر الامكان بجهده الكبير في هذا الصدد فتتم حلقات البحث في معارفه المتنوعة ، ونسد الفراغ الذي بقي في ترجمته من هذه الناحية .

ولأجل ان نحرر الموضوع جيدا ، لابد ان نلم بما كان عليه الوضع الفقهي بالمغرب والاندلس في عهد ابن رشد ، نتيجة لقيام دولة الموحدين ، لا سيما وهو قد كان على صلة متينة برجال هذه الدولة وعلى رأسهم الخليفتان يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور .

نحن جميعا على علم بما كان للفقهاء في دولة المرابطين من نفوذ قوي وجاه عظيم ، ولا نشك في ان ذلك كان من وضع الشيء في محله ، واسناد الامر الى اهله ، فالدولة اسلامية ، واحق الناس بتولي مناصب الحكم والشورى فيها هم العلماء العارفون باحكام الشرع ، المتفقهون في الدين ، تماما كما يتولى مناصب الحكم اليوم في اغلب الدول المدنية رجال القانون واساتذة الحقوق . وكانت الدولة المرابطية قد قامت على اساس مقاومة البرغواطيين ونحلتهم الضالة ، ونشر الدين الصحيح فلا غرو ان تلقى بزمام الامور الى الفقهاء وتبوئهم اعلى مقام .

فلما جاء الموحدون ، وكان امامهم المهدي بن تومرت صاحب دعوة وزعيم فرقة ، وقد لاقى الامرين من معارضة الفقهاء ومناهضتهم له ، نهجت دولتهم سياسة اخرى من تقريب من قبل دعوتهم وابعاد الفقهاء عن مراكز المسؤولية . ومن ثم صار الفقه السادج ، اكبره واصغره ، لا ينفق لديهم بل صار يتعرض لمناوءتهم والتثريب عليه وعلى رجاله ، وما قضية احراق كتب الفقه المالكي وامهات دواوينه بخافية عمن له اطلاع على تاريخهم . (3)

---

1) ينظر مختصر خليل ، المقدمة ، ص 1 .

2) التكملة لابن الابار ج 1 ، ص 269 .

3) ينظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 278 .

وقصدنا بالفقه الساذج الفقه المجرد من الادلة ومدارك استنباط الاحكام وباكبره علم التوحيد استنادا الى تسمية ابي حنيفة له بذلك في كتابه الفقه الاكبر ، وباصغره علم الفروع . فان الموحدين قاموا بالدعوة لمذهب الاشعري في العقائد وروجوا له، وانتقدوا ما كان عليه المغرب ودولة المرابطين من الاخذ بعقيدة السلف ، وسموهم المجسمين ، وسموا انفسهم الموحدين في مقابل ذلك ، ثم صاروا يدعون الى الاجتهاد والنظر في اصول الاحكام من الكتاب والسنة ، وينعون على الفقهاء تقليدهم والتزامهم لمذهب مالك حتى تورطوا في قضية الاحراق لكتب المذهب التي المعنا اليها .

ومن الاكيد ان ننبه على انهم لم يكونوا يهدفون الى احلال مذهب الظاهرية محل مذهب مالك ولا انهم كانوا ياخذون في انفسهم بهذا المذهب كما قال بذلك غير واحد من المؤرخين ، وقد ابطلنا ذلك بالدليل القاطع في كتابنا النبوغ المغربي ... وانما كانوا من اصحاب النظر ، والدليل المتمسكين بالمنطق والبرهان، ولذلك اخذوا في العقائد بمذهب الاشعري ومالوا في الفقه الى احياء الاجتهاد .

على هذه الحالة عرفهم ابن رشد ، وبدافع من اهتمامهم بالعلوم النظرية والعقلية اتصلوا به ، اذ كان اماما فيها ومتفردا من بين اهل عصره باتقانها . وقد حدثنا عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب عن اول لقاء تم بين الخليفة يوسف بن عبد المومن وصاحبنا ابن رشد بتدبير من الفيلسوف ابي بكر بن طفيل ، وكان وزيرا ليوسف ، فلم تكن مذاكرته معه الا في قضايا الفلسفة وراي اصحابها في قدم العالم ، وكان ان حمله بعد ذلك على تلخيص فلسفة ارسطو وشرح كتبه على ما هو معروف (1) .

اذن فابن رشد الفيلسوف هو الذي برز على منصة الدولة ، وهو الذي كان على صلة رسمية بالموحدين ، واما ابن رشد الفقيه فقد كان يشغل منصب القضاء ويفتي الناس فيما يعرض لهم من النوازل التي لا علاقة لها باحكام المنصب ، وهو بمقتضى ذلك فقيه مالكي على مذهب ابيه وجده ، ومذهب المغاربة والاندلسيين عموما ، اذ كانت نزعة الدولة الاجتهادية ، تلك التي تحدثنا عنها لم تستطع ان تهزم مذهب مالك ولا ان تتغلب عليه حتى في تولية مناصب الفتوى والقضاء . كما حصل ان تغلب هذا المذهب في اوائل ايام الخلافة الاموية بالاندلس على غيره من المذاهب لاصطناع الدولة له والتزامها به ، وكما حصل في المغرب ايام الادارسة الذين كانوا ياخذون ايضا بهذا المذهب .

ولعل الطريقة التعسفية التي كانوا يفرضون بها وجهة نظرهم هي التي جعلت الفقهاء وجماهير المتمذهبين ينفرون من دعوتهم ويتمسكون باتباع مالك رحمه الله ، فان احب شيء الى الانسان ما منعا ، كما يقول الشاعر ، واحراق الكتب لم يكن قط وسيلة لمنع انتشارها بل ربما كان سببا في مزيد الاقبال عليها وتداولها . والنظر الفقهي في ايام الموحدين لم يكن قاصرا عن دراسة اسباب الخلاف المذهبي والخلاف العالي ، بل كان متمكنا من ذلك اشد التمكن ، ومتعمقا في علم الاصول الذي به تعرف مدارك الائمة ، فليس من السهل صرفه عما ياخذ به حجة ودليل الى مجرد الرواية والسماع ، ويشرح هذا الموقف مناقشة جرت بين يوسف بن عبد المومن واحد فقهاء اشبيلية ، ابي بكر بن الجد ، فيما حكاه صاحب المعجب عنه قال :

« لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب اول دخلة دخلتها عليه ، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي يا ابا بكر انا أنظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله . ارايت يا ابا بكر المسالة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هذا . فاي هذه الاقوال هو الحق ؟ وأيها يجب ان ياخذ بها المقلد ؟ فافتتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك . فقال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هذا واشار الى المصحف او هذا واشار الى كتاب سنن ابي داود ، وكان عن يمينه ، أو السيف . » (2)

ان قرقعة السلاح تمنع من حسن الاستماع ، ولذلك ظل الفقهاء على رايهم ولو كانوا من المقربين الى الدولة كابي بكر هذا وصاحبنا ابن رشد ، بل اننا نجد ابن رشد يقوم فعلا بتوضيح ما اشكل على الخليفة في كتاب عظيم النفع ، هو كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد الذي ذكر فيه اقوال فقهاء الامة من الصحابة والتابعين ومجتهدي الائمة مع بيان مستند كل من الكتاب والسنة والقياس واسباب الخلاف ووجوهه وعلله ومع الترجيح واعتماد الصحيح من النصوص

---

1) انظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 242 .

2) المعجب للمراكشي ، ص 279 .

بحيث لم يدع لقائل ما يقول فى هذا الباب اعتراضا على هذا المذهب او ذاك واستشكالا لمدرك حكم واستنباط فقه لم يرد فيه نص او اضطربت الرواية المتعلقة به .

وهكذا اثبت ابن رشد انه لم يكن ضالعا مع الموحدين فى موقفهم من مذهب الامام مالك ، وان شخصيته الفقهية كانت فوق المساومة ، وانه سواء اطلع على مناقشة الخليفة للفقيه ابن الجد او لم يطلع عليها ، لم يهب ان يتصدى لرد ما كان الخلفاء الموحدون ومن على رايهم يوردونه على الفقهاء ويطعنون به في المذهب ، وشرح ما خفى عليهم من ذلك ، والدفاع عن ائمة الدين وعلماء الملة بعلم وتجرد تام .

واذا كنا قد سجلنا عدم نجاح الحملة الموحدية على الفقه المالكي ، فاننا لا ننكر تاثر هذا الفقه وحملته على الرغم من ثباتهم بروح الدعوة الموحدية القائلة بالرجوع الى الاصول واستنباط الاحكام من الكتاب والسنة فان الفقهاء فى هذا المجال قد راجعوا خطتهم واخذوا بطريقة وسط بين الاعتماد على اقوال مقلديهم (بفتح اللام) فقط والاجتهاد المطلق ، وصاروا يتلمسون مدارك الاحكام ومآخذ الاقوال التي تنسب لرجال المذهب من مصدريها العظيمين الكتاب والسنة ، ويوجهونها ويصححون مستندها ان لم يكن ردا على الخصوم فطلبا للاطمئنان حتى لا يتشوف احد الى ما وراء ذلك او تعلق بذهنه شبهة من الشبهات .

وازعم ان ابن رشد فضلا عن تاثره كغيره من الفقهاء بهذه الروح ، كان ايضا متاثرا بثقافته المنطقية ومرانه على الجدل ، فى مقارنته للمذاهب وتخريجه للاقوال ، ولعل ذلك هو ما منعه ان يكون متعصبا لهذا المذهب او ذاك ، فانه يناقش كل خلاف بروح رياضية نزيهة ، واذا رجح فقها على فقه فانه لا يبدي اي تنطع فى ذلك كما هي عادة فقهاء المذاهب ، والغالب ان يرى الخلافات المذهبية ناشئة من يسر الشريعة ومرونة قواعدها ، فيجعلك تشعر بالاطمئنان لكل المذاهب وتلاشي الخلاف فيما بينها تلاشي الضباب بفعل اشعة الشمس .

ولا يعني هذا تنازله عن مالكيته وعدم قيامه بفقه المذهب كما يطلب من احد اقطابه ، كلا فانه اول ما يذكر مذهب امامه، ويزيد بذكر اقوال اعلامه المشهورين التي خالفوا فيها الامام ومداركها ولا يقول فى مسالة من المسائل انه لا يعرف حكمها فى المذهب كما يقول ذلك احيانا فيما يتعلق ببعض المذاهب الاخرى ، مما يدل على تمكنه من معرفة مذهبه وتضلعه فى فقهه . وهو ياخذ على المذهب مخالفته للاصول فى بعض المسائل وربما يعلل ذلك بعدم بلوغ النص الى الامام او عدم صحته عنده . وكثيرا ما يلاحظ مخالفة المذهب للقواعد التي بنى عليها واتخذها اساسا للحكم وله في العمل الذي هو اصل من اصول مذهب الامام مالك اعني عمل اهل المدينة كلام ضمنه كتابه فى اصول الفقه (1) ولعله هو الذي لخصه فى كتاب بداية المجتهد عند الكلام على جمع الصلاة ورايه فيه وسط يقبل ويرد بحسب المقامات (2) .

فنرى من هذا انه لم يتخل عن مذهب الامام مالك وانه كان ياخذ بفقهه ويلتزم باجتهاده مع ما كان عليه من تسامح وسعة افق، واكثر من ذلك انه لم يحاول ان يجعل له رايا مخالفا لفقهاء المذهب ، ويوجد مدرسة جديدة فيه كما فعل جده ، ادركنا ذلك بالتتبع لكلامه، ورايناه يصرح به فى كتابه بداية المجتهد ، اثناء استعراضه للخلاف فى نجاسة الاروات حين يقول :

« ولولا انه لا يجوز احداث قول لم يتقدم اليه احد فى المشهور ، وان كانت مسالة فيها خلاف ، لقيل ان ما ينتن منها ويستقذر بخلاف ما لا ينتن ولا يستقذر ، وبخاصة ما كان منها رائحته حسنة لاتفاقهم على اباحة العنبر ، وهو عند اكثر الناس فضلة من فضلات حيوان البحر ، وكذلك المسك ، وهو فضلة دم الحيوان الذي يوجد المسك فيه فيما يذكر » . (3)

وهذه ملاحظة صائبة منه وهي حرية ان تكون قولا راجحا فى المسالة اولا انه كما راينا يتحرج من احداث قول لم يسبق اليه .

وبالطبع انتقد ابن رشد المذاهب الاخرى فى عدة مسائل ، والزم اصحابها بمخالفتهم للقواعد التي اعتمدوها كلما وقعت منهم هذه المخالفة ، وهو يعتني بذكر مذهب الظاهرية ولا يذكر امامه داود بل يقتصر على ذكر ابن حزم ، لا ادري اذلك للاعتزاز باندلسيته ام للاعتداد بقول العلماء لولا ابن حزم لما ذكر داود . والجمهور عنده انما يعني الائمة الثلاثة : مالكا

1) ذكره فى بداية المجتهد ج 1 ، ص 102 .
2) البداية ج 1 ، ص 174 .
3) البداية ج 1 ، ص 81 .

والشافعي وأبا حنيفة (1) . اما الحديث الثابت فهو ما اخرجه البخاري ومسلم (2) او احدهما . ومن الطريف انه يعتمد كثيرا فى الحديث على صحيح مسلم وهي طريقة المغاربة الذين يفضلون مسلما على البخاري من ناحية الرواية كما هو معروف .

وعلى ذكر الحديث فان تصرفه فيه يدل على الخبرة والمهارة بخلاف ما قالوا عنه من ان الدراية أغلب عليه من الرواية كما سبق ، فنجده يدقق فى روايات حديث السجود على الجبهة والانف حتى يذكر انفراد احدهما بذكر الجبهة فقط مؤيدا بذلك مالك ، ومستدركا على الحافظ ابى عمر بن عبد البر الذي اقتصر على روايات الجبهة والانف معا (3) . وكذلك نجده يرد على ابن عبد البر فى تضعيفه لأحد الاحاديث بانه وارد فى صحيح مسلم (4) ؛ وهذا مع العلم بأن كتاب الاستذكار لابن عبد البر هو مصدره الاول فى تحقيق المذاهب ونسبتها الى اربابها (5) . وقد يبحث فى الحديث الثابت من جهة المعنى اعتبارا بالحديث الضعيف (6) وذلك صيرورة منه الى نقد المتن بعد صحة السند . والامثلة على مشاركته فى علم الحديث واخذه به ، غير هذه كثيرة فلا نطيل بها .

وينتفع ابن رشد بمعلوماته الطبية والطبيعية والفلكية فى الترجيح والاختيار للاقوال والمذاهب ، وبناء الفقه على النظر العلمي الصحيح وذلك كما في تعقيبه على اختلاف الفقهاء فى استمرار العادة الشهرية مع الحمل عند النساء حيث قال : « وسبب اختلافهم فى ذلك هو الوقوف على ذلك بالتجربة واختلاط الامرين ، فانه مرة يكون الدم الذي تراه الحامل دم حيض ، وذلك اذا كانت قوة المرأة وافرة والجنين صغيرا ، وبذلك امكن ان يكون حمل على حمل على ما حكاه بقراط وجالينوس وسائر الاطباء» الى آخره (7)

وكتعليله لاختلافهم فى نجاسة عظام الميتة وشعرها بأن مرجعه الى فقد الحس والنمو ، فمن قال ببقائهما فيهما لم يحكم بالنجاسة (8) ، وكرده على قول الخليل بن احمد فى الشفق بأنه لا يثبت بالقياس والتجربة (9) ؛ وكقوله فى مسألة تعجيل دفن الميت ان ذلك فى غير المرضى بأمراض مخصوصة حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لا ينبغي ان يدفنوا الا بعد ثلاث (10)، وهكذا افادنا الحكم ، وكلمة المسكوتين أي الموتى بالسكتة القلبية .

ومسائله من هذا الباب كثيرة ، وتقدم منها قوله فى نجاسة الارواث . ومن الجدير بالذكر انه يرى العمل بالحساب لاثبات اهلال الشهر ، ويقول ان سبب اختلاف العلماء فى ذلك هو ترك اعتبار التجربة فيما سبيله التجربة والرجوع الى الاخبار فى ذلك . واورد حديث صوموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا له، وقال ان الجمهور اول قوله فاقدروا له بما ورد فى رواية اخرى فاكملوا العدة ثلاثين ، وغيرهم يقول ان معنى التقدير لههو عده بالحساب (11)

واحسب أن هذه النظرة القصيرة قد اعطتنا من سمات فقه الرجل ما يجعلنا على علم بعلو مكانته بين الفقهاء وانه صاحب نظر واستدلال الى كونه صاحب نقد ورواية ، وانه ينحو منحى التيسير والتسهيل اخذا بمبدا الشريعة السمحة فى نفي الحرج وترك التشديد ، وانه ان لم يكن صاحب مدرسة فى الفقه، فانما ذلك لتحرجه من أن يزيد فى طين الخلاف بلة ، والا فهو قادر على ان يجتهد كاجتهاد جده فى دائرة المذهب، واجتهاد غيره من الفقهاء الكبار ، وتركه لذلك مما يدل على قوة تدينه وشدة تمسكه باتباع السلف والقدوة الحسنة .

---

1) البداية ج 1 ، ص 59 .
2) البداية ج 1 ص 47 و 61 .
3) البداية ج 1 ، ص 139 .
4) البداية ج 1 ، ص 212 .
5) البداية ج 1 ، ص 88 .
6) البداية ج 1 ، ص 131 .
7) البداية ج 1 ، ص 53 .
8) البداية ج 1 ، ص 78 .
9) البداية ج 1 ، ص 96 .
10) البداية ج 1 ، ص 226 .
11) البداية ج 1 ، ص 284 .

وذلك كله مع سعة الصدر وعدم التنطع كما نبهنا عليه سابقا . ويعجبني كلامه في مناقشة مذهب من يقول بكفر تارك الصلاة اعتمادا على ظاهر الاحاديث الواردة في ذلك ، فهو يخرجها على ان المراد من يتركها متعمدا مستحلا لذلك ، ومع ذلك فهو لا يرى قتله كفرا ولا حدا ، لانه لا يحل دمه الا باحدى الثلاث المنصوص عليها في الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا باحدى الثلاث المنصوص عليها في الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا على مذهب من يكفر بالذنوب يعني المعتزلة ، وهو قول لا ياخذ به اهل السنة . وهذه خلاصة كلامه ، ولولا طوله لنقلته فلينظر في محله (1) .

مع هذه اللمحة عن فقه ابن رشد وثقافته القانونية ، ينبغي ان تذكر فلسفته الالهية وموقفه من الشريعة بصفة عامة ، فان لهما علاقة متينة بالايمان والفكرة الدينية في الاسلام . وكتاباه في هذا الغرض وهما فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، والكشف عن مناهج الادلة ، في عقائد الملة ، اشهر من ان يعرف بهما ، وعليهما وعلى كتابه تهافت التهافت قامت شهرته كفيلسوف اسلامي عظيم ، وفق لاول مرة وبنجاح كبير بين اغراض الفلسفة والدين ، ورد على القائلين بتناقضهما واثبت فكرا وعملا بسيرته التي لا يتطرق اليها الشك ان الفيلسوف يمكن ان يكون مؤمنا صادقا ومتمسكا بقواعد دينه لحد ان يصير قدوة فيه .

وهذا المقصد الذي اشبع درسا وقتل بحثا ليس من موضوع كلمتنا هذه . ولكنه ينطوي على موقف نعتبره من تتمة الكلام على فقه ابن رشد وامامته الدينية وهو معارضته لدعوة الموحدين في اتجاهها العقدي كمعارضته لها في اتجاهها الفقهي ، ونحب ان نشير له باختصار توفية لحق الموضوع .

والحقيقة انه ليس معارضة بمعنى الكلمة ، ولكنه يؤول اليها ، فان التصدي للرد على الغزالي ونقد كتابه التهافت مع ما كان له من مقام عظيم في نفوس الموحدين واعتباره الاذن لزعيمهم المهدي بن تومرت بالقيام على المرابطين مع ما يدعى له من القراءة عليه والاخذ عنه ، لا يمكن ان يعد الا استمرارا للحرب التي شنها الفقهاء على الغزالي وكتبه في الدولة السابقة ، وليس ذلك مما يرضى عنه الموحدون والمتعصبون للغزالي على العموم .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نقد ابن رشد للاشاعرة في قضية المتشابه ودليل الوجود وغيرهما ومذهبهم هو مذهب الموحدين في العقيدة على ما قدمناه، دعوا اليه والزموا الناس به وحاربوا المرابطين عليه هو ايضا من المجازفة في الخلاف على الدولة ، ويعتبر شجاعة ادبية يقل لها النظير في عصره .

ولعل ذلك مما وطد سمعته العلمية ، ورفع مقامه الديني عند الناس ، وان كان من الوجهة السياسية لا بد ان يخلف اثرا في نفوس رجال الدولة ، ويحسب له في المخالفات التي اخذت عليه عند امتحانه .

المهم ان الرجل كان يوجه ولا يوجه ، وكان اماما في الفقه ، كما كان اماما في الفلسفة ، واذا قلنا اماما في الفقه فان ذلك يعني اماما في الدين ، لان الفقه في الاسلام من الدين ، وكانت له غيرة على الحكمة والشريعة معا هي التي جعلته طول حياته يقف موقف الدفاع عنهما وذلك هو سر عظمته رحمه الله .

طنجة : عبد الله كنون

---

1) البداية ج 1 ، ص 91 .

من صميم الاوضاع الاسلامية المعاصرة :

بين حالة التخلف الديني وحالة التخلف العام في العالم الإسلامي

للأستاذ : المهدي البرجالي

المسلمون ـ في عمومهم ـ واقعون في منطقة التخلف بالعالم ، منطقة العالم الثالث التي يعد سعيها الى محاربة التخلف وتصفيته من اهم قضايا العصر ، واكثرها تاثيرا على عالم المستقبل . والمراقب العادي في اوربا وسواها ، تجد عادة لديه بذور تفكير يوحي بامكانية وجود صلة موضوعية بين هذا التخلف الشديد الذي عليه المسلمون ، والصفة الاسلامية التي هم بها متميزون . ومن الضرورات التي تفرض نفسها ان نعمل على ازالة هذا الوهم الذي يحدد نظرة كثير من الاجانب الى الاسلام والمسلمين .

صلة الاسلام بمختلف المجتمعات التي تنتسب اليه ، او تقدمها على الصعيد الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيره . هذه الصلة تشكل موضوعا هو من المواضيع التي تتناقض فيها وجهات التصور عند الكثيرين سواء من المسلمين او من غيرهم . وكل ينظر اليها من زاوية تتناقض تماما الزاوية التي ينظر منها الآخر ؛ ووجهات الراي هاته ، هي اولا وجهة نظر الغيارى على الاسلام ، وهؤلاء يرددون في العادة ان سبب ما احاط بالمجتمعات الاسلامية من تدهور عام وتخلف ملحوظ في شتى الميادين ليس له من سبب آخر ، الا تنكبهم طريق دينهم ، وعزوفهم عن احتذاء هديه ، عكس ما كان عليه امر المسلمين الاول ، الذين كانوا لدينهم من المتبعين ، فنالوا من ذلك ان تمكنوا من اقامة مجتمع فاضل ، وبنوا حضارة لامعة الآفاق ، وتولوا خلال فترة طويلة من الدهر ، الاخذ بمقاليد العلم والاخلاق والمدنية والقوة والمنعة ، في كل جنبات العالم المعروف في عهدهم ؛ هذه نظرية يؤكدها عدد من المسلمين الذين يتعرضون من جانب او آخر الى موضوع التخلف في البلدان الاسلامية محاولين بذلك ايجاد تعليل له يربط اسباب التخلف المادي بالتخلف الروحي في هذه المجتمعات المنتسبة الى الاسلام ؛ ومن ثم ، يخلصون في الاخير الى الاستنتاج الطبيعي ، المرتبط بهذه النظرية ، والذاهب الى ان الحل يكمن في حالة الرجوع الى ينابيع الدين الثرة المعطاء ، والاغتراف منها بما يكفي لاصلاح المسلمين دينا ودنيا .

وعلى النقيض من هذه النظرية ، نظريات اخرى ياخذ بها الكثيرون في اوربا وغيرها ، وتذهب في تحليلها الاخير ـ حول الاسلام والدين عموما ـ الى استنتاجات فحواها ان علة تاخر المسلمين ، يكمن في عزلتهم الفكرية عن العالم ، وانطوائهم على روح غيبية تواكلية استسلامية ، لا مخرج لهم من تاثيرها الا بمراجعتهم لمواقفهم الاعتقادية من الاساس ، وتخلصهم

من كثير من التقاليد الاعتقادية التي تقعد بهم عن مجاراة تيار الحياة السائر المتطور . وهذه النظرية – كما نرى – تناقض تماما – وبصورة متوازية – فكرة تعليل تخلف المسلمين ، بما يظهر عليهم من تنكب سبيل الدين السوي فهي – تقوم على اعتبار معاكس ، يذهب الى تعليل تأخر المسلمين بما يبدو عليهم من تمسك بتقاليد عقائدية ، قوامها الروح والعالم ما وراء المادي؛ ومع ذلك ، فان الذاهبين هذا المذهب ، في تقييم الاحوال الاسلامية من الاوربيين وغيرهم ، لاينطلقون في الواقع من نقطة واحدة ، فمنهم الآخذون بالجدلية العادية التاريخية ، وهؤلاء لا ينحصر تقديرهم للقضية في اطار الاسلام وحده ، او ينظرون الى الامر من زاوية الاوضاع الاسلامية بمفردها ، بل هم يضعون القضية على اوسع نطاق توضع فيه ، معتبرين ان الفكرة الدينية عموما – وبصرف النظر عن دين معين – من شأنها ان تحول دون الانطلاق الى آفاق التحرر العقلي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الذي يجب ان يكون سبيل انسانية عقلانية وعلمانية ومتقدمة ؛ وليس لازما في موضوعنا هذا ، النظر في الامر مع هؤلاء الآخذين بالنظرية المادية التاريخية ؛ لان القضية تتخذ في اعتبارهم صبغة اعم من موضوع تخلف المسلمين ، ماديا وروحيا ؛ والنظرية عندهم نظرية كلية ، لها جانب سلبي كلي ، يقوم على رفض العقائديات الروحية اطلاقا ، ودون تقييد الراي بقرينة ما او اخضاعه لشرط او ظرف او غيره ؛ كما ان للقضية عندهم كذلك جانبا تعويضيا كليا هو الآخر ، يعرض بديلا شاملا للعقائديات المرفوضة ، ويعرض هذا البديل على انه ذو كفاية تامة لاستيعاب مختلف الجوانب التي تعني الانسان في حياته ، وانه بذلك يغني عن غيره . فليس بعده من حاجة عقائدية تدعو المرء لهذا وذاك من العقائد ، ومن ثم ، فلا ضرورة للنظر في الامر – مع الجدليين الماديين حيث ان البون شاسع بينهم وبين الفكرة الما وراء مادية مبدئيا ؛ لكن يتبقى مع هذا ، النظر في الراي الذي يتخذه حول موضوع الاسلام والتقدم ، بعض ذوي الراي الثقافي والفكري باوربا سواء من المعاصرين او غيرهم ؛ ان الفرق بين مثل هؤلاء وغيرهم ، انهم ليسوا ماديين بالضرورة ولا ملحدين كذلك بالضرورة ؛ فقد يوجد من بينهم من يقيم لمسيحيته اعتبارا يقل او يكثر ؛ لكن الراي الذي يعبرون عنه حول احوال المسلمين وعقيدتهم ، يقوم – كما تقدم – على القول بان هناك صلة ما بين اسلامية المسلمين ، وما يسود حياتهم من تخلف وزراية ؛ وليس ضرورة ان يكون هؤلاء متعصبين ضد الاسلام ، وان كان هؤلاء المتعصبون كثيرين ؛ فثمت جهل بعضهم بحقيقة الروح الاسلامية ، واغترارهم ببعض الظواهر السطحية في حياة المسلمين يخلصون منها الى تكوين استنتاجات خطيرة مبتسرة – لهذه الحالة من الجهل تاثير كبير في تكييف نظرة مثل هؤلاء الى الموضوع وصياغة رايهم فيه ، لكن هناك اخيرا من بين هؤلاء الاجانب كذلك من له في الموضوع نظرة اكثر موضوعية، وادل على اطلاع اعمق حول الموضوع ؛ ان مثل هؤلاء يبدو عليهم انهم يستطيعون التمييز في موضوع الاسلام والتقدم – بين تخلف المسلمين على حدة ، والعقيدة التي ينتسب اليها المسلمون على حدة كذلك؛ وفي امكان مثل هؤلاء ، ان ينظروا الى حالة تخلف المسلمين على انها حالة منفصلة عن الاسلام ، وان القيم الاسلامية ليست مسؤولة عن وجود هذا التخلف ، بل توجد هي نفسها ضحية لهذا التخلف الذي حمل المسلمين على تحريفها ، وتجريدها من محتوياتها الايجابية واخضاعها لمفعول الجهل والعقد النفسية التي يزخر بها المجتمع الاسلامي عموما في المشرق والمغرب ؛ واذا كان هناك من بين الاجانب عن الاسلام من ينظر الى الموضوع هذه النظرة الاكثر تدقيقا ، والاكثر انطباقا على واقع الحال ، فانهم يلتقون بهذا – على نحو ما – مع الآراء التي ياخذ بها السلفيون من المسلمين المعاصرين ، الذين يرون ان الاسلام يكاد يكون الضحية الكبرى لما هو متغلغل في المسلمين من مظاهر التخريف والتهافت الفكري الذي يسببه التخلف العام ، في مجتمع من المجتمع ، والذي تغذي آثاره السيئة مسالك المخرفين والمشعوذين والمتقولين على الاسلام . ممن لاتحذوهم روح تثبت ديني ، او وازع علمي . فاذا بهم يقحمون على روح الاسلام ما ليس منها ، ويضاعفون من عوامل التخريفية التي تفسد النظرة الصائبة على عموم الناس في المجتمع المتخلف ؛ وتجعل الاحوال الدينية شديدة الامتزاج بحالة التخلف العام الموجودة في مثل هذا المجتمع ؛ والاستنتاج الذي تنتهي اليه الفكرة السلفية بهذا الخصوص هو ظاهر من سياق المقدمة التي ينطلق منها السلفيون ؛ يتلخص هذا الاستنتاج في وجوب تطهير عقول الناس من التاثير الخرافي الذي تخلفه مؤثرات الشعوذة الدينية ، والجهل بروح الاسلام ومقاصده العامة ، وهذا التطهير كفيل برد عموم الناس الى المورد الصافي للاسلام ، ويسهل بعد كل هذا تنقية عقول الناس من الجوانب الاخرى التي يظهر فيها اثر التخلف كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية وما في حكمها .

الى اي حد يجب ان تذهب في الربط بين التخلف الدنيوي عند المسلمين ، والتخلف الديني ، المتسمون به كذلك ؟ وهل يعتمد هذا الربط ، اذا ذهبنا اليه ، على أسس موضوعية وذات تاثير جدي ؟ هنالك في الموضوع ملاحظات ، لابد من مراعاتها ، قبل كل شيء : ومما تدل عليه يمكن للمرء ان يستخرج عددا من الحقائق التي قد تفسر الحالة المتساءل عنها ، وتعللها ان كان الحال يقتضي تعليلا وهذه الملاحظات هي (1) ان حالة التخلف الدنيوي لا تختص بالمسلمين دون غيرهم ، بل تشمل مجتمعات كثيرة تتوزعها ثلاثة ديانات اساسية ، وهي الاسلام والبوذية والهندوسية؛ وبعض هذه الاقطار المتخلفة تنتسب اساسا الى المسيحية ، اي تنتسب الى ديانة العالم الاوربي والامريكي المتقدم ، فهل اخرجها ذلك من اطار العالم الثالث (الحبشة مثلا) ؟ (2) بعض الشعوب المتخلفة تعتنق كتل منها تصغر او تكبر الديانة المسيحية على مذاهبها المختلفة ، وهذه الكتل ترتبط هكذا من جهتين ، من جهة الدين تنتسب الى ديانة العالم المتقدم الذي تسوده المسيحية بدرجة اولى ، ومن جهة الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، فان هذه الكتل المشار اليها تعد بتخلفها ، وفقرها وجهلها جزءا عاديا من المجتمع الذي ترتبط به اساسا ، اي المجتمع المتخلف ؛ وبهذا نجد بكل بساطة ان انتسابها الى ديانة المتقدمين صناعيا واجتماعيا لم يؤثر اطلاقا على وضعيتها الدنيوية المتخلفة ، مثل ما هو الامر — حذوك النعل بالنعل — بالقياس للمواطنين المسلمين الذين ينتمون الى نفس القومية التي ينتمي اليها هؤلاء المسيحيون الشرقيون والافريقيون . (3) يلاحظ ان خريطة التقدم والتخلف في العالم ، يكاد يتحكم فيها — مظهريا — العامل الجغرافي اكثر من غيره ؛ ذلك اننا اذا لم نستطع استعمال مقياس الفوارق الدينية ، لتصنيف مناطق التخلف والتقدم في العالم ، على اساس ان هنالك تداخلا مفترضا بين احوال التخلف ومختلف الديانات الموجودة ، بحيث انك تجد مثلا دينا « متقدما » هو دين لمجتمعات متقدمة ودينا « متخلفا » هو دين جماعات متخلفة — اذا لم نستطع استعمال هذا القياس ، مقياس الدين في هذا المجال ، فان هنالك مقياسا آخر ، هو المقياس الجغرافي الذي قد يظهر للبعض ، انه كاف لتصنيف اوضاع التقدم والتخلف في العالم ، واستخراج التعليلات التي تساعد على اثبات هذا التصنيف والاستشهاد له ؛ فالتقدم الحديث يكاد تنحصر منطقته في هذا الشريط الارضي الممتد شمالا على طول العالم الجديد ، الى الشمال ايضا ، عند شرقي اوربا ، وقد تمتد منطقة التقدم هذه اكثر ، لتشمل في بعض الاعتبارات ، شمال آسيا التابع للسوفييت وتتوقف عند حدود اليابان ، شمال الكرة الارضية ايضا ؛ اما المناطق الجنوبية الارضية : افريقيا بكاملها ، والمناطق الآهلة بآسيا ، واكثرها جنوبي الموقع ، هذه المناطق تعتبر — بحق — مناطق التخلف بالعالم ، وكما نلاحظ ، فهذا التصنيف يرتبط بالاعتبارات الجغرافية ، وليس للعوامل الدينية فيه دخل ما ؛ ولا يعني قولنا هذا ايضا ان الاوضاع الجغرافية تصلح كمقياس صحيح ، لترتيب احوال التخلف والتقدم في العالم ، وان كان البعض ياخذون بهذا الراي ، ذاهبين به احيانا مذاهب شتى في الاستنتاج ، والحكم على الاشياء ؛ اننا لانبتغي هنا تعليل وجود التخلف او التقدم من ناحية جغرافية او غيرها ؛ لان التخلف والتقدم هما في الواقع حالتان معقدتان من حيث الاصول التي ترجعان اليها ، والعوامل التاريخية والاجتماعية والعقلية ، التي ساهمت في وجودهما ، بما جعل العالم هكذا منقسما الى عالم متقدم وآخر متاخر ، وفي بداية طريقه الى النمو والتطور . اما القضية التي تاخذ بوجهة النظر بالنسبة لموضوعنا هذا ، فهي — كما اسلفنا — علاقة الدين بوجود التخلف ، كما قد يحاول البعض ان يربط بينهما ؛ وقد راينا من استعراض بعض الملاحظات بهذا الصدد ان هذه العلاقة ليست علاقة موضوعية بالضرورة ، وليس من مبرر واقعي — حسب الامثلة التي سقناها — يبرر الاعتقاد بوجود هذه العلاقة او اثباتها بصورة من الصور ، اما المبرر النظري ، فيبدو اكثر استحالة ، اذا عرضنا موضوع التخلف على اساس النظر الديني السليم ؛ فالفكرة الاسلامية لا تناوىء عمليات التطوير الاقتصادي والفكري والاجتماعي — وهذه اسس العمل الانمائي في اي قطر وفي اي ظرف — نقول : الفكرة الاسلامية لا تناوىء مثل هذه العمليات اطلاقا ؛ بل تلح عليها بشدة ؛ الا اذا كان مفهوم التطوير ممتزجا بمعطيات ضارة بطبيعتها باسس الاخلاق الاجتماعية او التوازن الاجتماعي ، فحينئذ قد تتعرض الفكرة الدينية بالنقد لنوع من التطور على هذا المستوى ، وليس هذا من قبيل التسبب في خلق التخلف ، الا اذا وضعنا لحالة التقدم؛ صورة واحدة دائمة يعد الخروج عنها باية صورة مدعاة الى التخلف ، وطبعا ، فهذا افتراض فاسد من اساسه ؛ اذ ان المهم في امر التقدم او التخلف ليس هو التزام صورة معينة من الصور ، لا يجوز الخروج عنها الى صورة اخرى ؛ ان اي مجتمع ، المجتمع الذي ينجح في اعطاء فرص العلم والغذاء والاطمئنان لافراده

بمجموعهم ، وبدون استثناء ، فيعد المجتمع بذلك مجتمعا متقدما ، خصوصا اذا كان ما يوفره لافراده من حاجيات آت من موارده هو ، ومن طاقته وانتاجه ، مضافا الى هذا ، وجود هذا المجتمع ، كعامل ابداع وانتاج وتفتح ، تفيد منه المجتمعات الاخرى الاقل منه تقدما ؛ ومثل هذه الحالة التي يتميز بها المجتمع المتقدم ، لا يهم في شأنها غالبا الا النتيجة ، فهي التي ينعكس عليها مظهر التقدم ، اما الوسيلة فهي تختلف بحسب النظريات السائدة في المجتمعات ، والمناهج المختلفة التي يحتذيها هذا المجتمع والآخر ؛ والفكرة الاسلامية تتركز عنايتها في النتيجة والوسيلة معا ؛ فهي اذ تعبر اهتمامها لضرورة الحصول على التقدم ، تبدي حرصها في نفس الوقت على سلامة الطرق والوسائل المؤدية الى هذا التقدم ، هذه الوسائل والطرق التي يجب ان تكون سليمة — بحسب المفهوم الاخلاقي والاجتماعي للسلامة — لكي يمكن ان تؤدي الى تقدم سليم ومعقول ومتوازن . ومن ثم ، يبدو ان ربط حالة التدين بحالة التخلف عند المجتمعات المتدينة المتخلفة ، مما لا يثبت امام المناقشة الموضوعية المحضة ، الا اذا كان المجادل في مثل هذه المواضيع ، يرى الحقائق من زاوية ضيقة ، لايريد مبارحتها للنظر الى الاوجه الاخرى للحقيقة المتناقش في شأنها . ولا ينكر ان الظاهرة موجودة على مستوى العالم الاسلامي كله ، بل في مختلف المناطق الارضية التي توسم بشدة التمسك بالمبدا الديني ، كما لا ينكر كذلك ان ملاحظة هذه الظاهرة ليس مؤديا بالضرورة الحكم على الفكرة الدينية ، والاعتقاد بانها مسؤولة عما يلاحظ من تخلف في المجتمعات المتدينة ، والا فمن الاصول البدهية المتعارف عليها في مضمار الفكر العلمي ، ان ملاحظة الظاهرة التي تلوح — ولو مع التكرر — لا يصح ان تؤدي دائما الى تاسيس قاعدة نهائية او حتى اصدار حكم بات ، الا اذا وقع استقراء مختلف العلل الكامنة وراء الظاهرة ، والملابسات الممتزجة بها ، وتم كذلك استبعاد العناصر المضللة في فهم الظاهرة وتاويلها ، وامكن الحصول على ادراك صحيح وخال من الملابسات المشككة في شأنها ، ووقع كذلك تجربة المثيلات لها ان كانت قابلة للتكرار ، وحينذاك فقط يمكن الجزم بشيء في شأن تلك الظاهرة واعتبار ما يجوز ان يستنتج منها ، على انه امر بات وجازم ؛ فكيف يمكن اذن الجزم بهذه البساطة المتناهية في امر معقد وشائك كموضوع الصلة بين التخلف والدين ، بينما التخلف هو — كما اسلفنا — عبارة عن حالة معقدة الاسباب تنشأ كنتيجة لتفاعل عدد من العوامل البطيئة ، ليس الدين واحدا منها ؛ وقد يعترض بالقول ، اليس من اهم العوامل في وجود التخلف العامل العقلي ، واليس الدين اقوى عامل عقلي مؤثر في المجتمعات الاسلامية ؟ فكيف لا ينسب اليه وجود التخلف عند المسلمين ؟ ونفس القول ، يصدق على حالة المجتمعات الشرقية الاخرى غير الاسلامية ؟

ان ترديد قول من هذا القبيل ، يقتضي ان القائلين به قد فحصوا الفكرة الدينية من اساسها الاصلي غير المتاثر باية شائبة اخرى طارئة ، كما فحصوا جوهر العقلية المتخلفة عند المسلمين — ولنبق الموضوع منحصرا فيهم لا في عموم المعتنقين للديانات الاخرى — وكان من نتيجة فحصهم للعقلية المتخلفة ، السائدة عند المسلمين انهم استقصوا مختلف العناصر المكونة لها ، والمسببة لطبيعتها المتخلفة ، ثم لم يجدوا عنصرا عقليا مؤثرا في وجود التخلف عند المفحوصين الا العنصر الديني وما يتعلق به ! . مثل هذا النهج من تحليل الاشياء ، هو الذي يستطيع ان يجوز اطلاق احكام من هذا القبيل ، لكي لا تكون احكاما جزافية مبتسرة ؛ وتكون ذات تاصيل علمي قويم ؛ والملاحظ ان الذين يطلقون احكاما ترتبط بين الدين والتخلف في المجتمعات الاسلامية ، تجدهم في عدة احيان ، اما جزافيون في اطلاقاتهم هذه ، واما تنقصهم النزاهة العلمية الكافية التي تملي عليهم التزام التثبت والتحري خصوصا اذا كانوا قادرين عليه ؛ لكن هناك وجها من النظر في الموضوع ، اشرنا اليه من قبل ، ويبدو اكثر تعبيرا عن الحقيقة القائمة ، وان كان البعض من يربطون الدين بالتخلف ، لا يلتفتون الى هذا الوجه ، ولا يعيرونه اعتبارا ؛ ذلك اننا اذا امعنا النظر في ابعاد التخلف الموجود واوضاعه بالبلدان الاسلامية فلا شك اننا واجدون بكل بساطة ، ان الفكرة الدينية ، توجد هي نفسها ضحية التخلف الفكري المنتشر بين المسلمين ؛ ان القيم الدينية — وان كانت تظهر على صعيد المجتمعات الاسلامية ، موسومة بسمة التخلف ، فليست هي العامل المؤثر في وجود الحالة ، وانما هي — ككثير غيرها من المقومات الحضارية الاصيلة عند المسلمين ، قد نالها من التخلف ما نالها ، فاذا هي نفسها متمظهرة بهذا المظهر المتخلف ، واذا هي صورة من عدة صور لا حصر لها تتضافر كلها على تشكيل الصورة الكبرى الشاملة ، لواقع التخلف في العالم الاسلامي الراهن .

هذه نظرة الى الموضوع ، قد تعلل جانبا منه ولو تعليلا جزئيا ، وربما تكون اقرب الى الواقعية من غيرها ، مع امكانية ان يوجد غيرها من وجوه النظر

ما يعلل الظواهر الملاحظة بصدد ما نحن فيه ـ تعليلا اكثر واقعية وموضوعية ؛ وليس الذي يعني في هذا المضمار المفاضلة بين التعليلات ، بقدر ما يعنينا اكثر ، التوصل الى حقيقة منطقية واكثر انطباقا على طبيعة الحالة الموجودة ؛ وطبعا ، فان التوصل الى هذه الحقيقة ، لا يتم بمجرد انكار القول بأن الدين كان علة تاريخية في حدوث التخلف في العالم الاسلامي المتخلف ؛ انما هناك نقطة اكثر اهمية بهذا الشأن ، وتتعلق بالمستقبل ، وهذه النقطة هي : بصرف النظر عن الترابط ـ تاريخيا ـ بين الدين والتخلف ، فما ذا عن المستقبل ؟

ان المسلمين يدخلون الآن عصر التقنولوجيا ، بكل ابعاده المتشابكة ، فهل عليهم ان يتخففوا شيئا من تراثهم الديني لكي يستطيعوا مسايرة العصر وما يقتضيه من تطور عقلي وعملي بعيد المدى بقدر كبير ؟ وبعبارة اخرى : اذا كان المسلمون يسيرون كبقية شعوب العالم الثالث في طريق التطور والانماء ، فهل يقف الدين بالنسبة اليهم كعبء يتحملونه في مسيرتهم الطويلة هذه ؟ وهل القيم الدينية في هذه الحالة شيء زائد لا يفيد في شيء ؟

ان الصفة الاسلامية للشعوب المتخلفة في العالم الاسلامي ، تفرض هنا اقامة بعض الفروق في البحث بين المسلمين وغير المسلمين . ان المسلمين المتخلفين، يعانون حقيقة من حالتين مزدوجتين من التخلف التخلف في النطاق العقائدي الديني ، والتخلف العام في مضمار الحياة الاقتصادية وغيرها ، هاتان الحالتان من التخلف قد نربط بينهما ـ تاريخيا ـ فنتصور امكانية ان يكون احدهما علة في وجود الآخر ، ولكن ليس هناك ـ كما اسلفنا ـ ما يسند القول ان الفكرة الدينية ـ بصورتها السليمة ـ كانت علة وجود التخلف العام عند المسلمين ، بل العكس هو الصحيح ، لا نؤكد هذا بدافع التعصب الديني ، ولكنها حقيقة علمية تاريخية ملحوظة ، تظهر دلائلها من فحص التطورات البطيئة التي ادت الى نشوء حالة التخلف في المجتمعات الاسلامية خلال القرون السبعة الماضية ؛ اما وجه التشارك بين الدين والدنيا في موضوع محاربة التخلف وسعي المجتمعات الاسلامية من اجل تطوير نفسها بنفسها ، فيظهر ذلك في كون هذه المجتمعات عليها واجب العمل التطوري من هذا القبيل ، في كلا الميدانين: الديني وما يرتبط به من ملابسات عقلية وغيرها ، ثم ميدان الحياة المادية ، وما يتصل به من موضوعات اقتصادية وسواها ؛ ان التخلف عند المسلمين ذا صفة شاملة ومتشعبة ، وبالاستنتاج من ذلك ، فان عملية التطوير المستهدفة تصفية هذا التخلف ، لابد ان تكون ـ بالضرورة ـ على نفس الدرجة من الشمول والتشعب ، فهل يمكن ان يفهم من هذا ان مهمة محاربة التخلف عند المسلمين اشد منها صعوبة عند غيرهم ؟ باعتبار ان هناك حالة ازدواج تخلفي عند المجتمعات الاسلامية ، تقتضي ـ بالنتيجة ـ بذل مجهود مزدوج ايضا لامكانية تصفية هذا التخلف المزدوج ؟ ربما يظهر داع للاستنتاج على هذا النحو عند بعض الناس ، الذين قد يرون الامر من زاوية نظر غير مرنة ؛ لكن هل توجد القضية بالضرورة على هذه الصورة دون غيرها ، فلنحاول اذن ان نعيد النظر في الامر من هذا الجانب بالاخص ، فماذا نرى حينئذ ؟ ولكي نرى شيئا يجب ان نلقي على انفسنا هذا السؤال : هل من اللازم أن يكون بين التخلف الديني ، والتخلف الدنيوي ، فارق في الجوهر والاساس حتى نعتبرهما ـ كما قد يظن ـ حالتين منفصلتين تماما ، تحتاج كل حالة الى مجهود خاص لمعالجتها ؟ وهل من ضرورة لوجود فارق من هذا المعنى بين الحالتين : حالة التخلف الديني ، وحالة التخلف الدنيوي ؟ ان الحقيقة التي لابد ان تتبين لنا من التأمل في الموضوع ، هي أن حالة التخلف ، ليس من الضروري احيانا ان تكون حالة واحدة ، وان كانت لها عوامل متعددة ، واوجه وصور مختلفة ، فالتخلف هو التخلف ، ينعكس ـ كما اسلفنا ـ على صعيد الحياة الدينية ، مثلما ينعكس على صعيد الحياة الدنيوية سواء بسواء ، فالتخلف الناشيء عن الانحراف في فهم روح الدين وموجباته الصحيحة ، يرتبط ارتباطا صميما بحالة التخلف الفكري العام، الناشيء عن انتشار الامية وعواقبها كسيطرة الخرافات والمواضعات غير المعقولة وغير ذلك كثير ؛ وهذا التخلف الفكري ، يتأثر في كثير من الحالات ـ ان لم يكن في كل الحالات ـ بحالة التخلف الاجتماعي ، وهذا متأثر بدوره بحالة التخلف الاقتصادي وهلم جرا ؛ ومن ثم ، فان الذي يظهر ، ان محاربة التخلف في ميدان ما من الميادين العديدة التي يتحقق فيها التخلف ، من شأنه أن يؤدي ـ بالنتيجة الى اضعاف حالة التخلف بمجموع عناصرها المتعددة ، مادية ومعنوية ، وذلك بمقادير نسبية تتفق مع قيمة الجهد المبذول في هذا السبيل ؛ حقا ، ان الاعمال المناوئة للتخلف تختلف فيما بينها ، بحسب التخلف القائم والصبغة التي يكتسيها ، فتجد مثلا اعمال انماء اقتصادي لتصفية حالة التخلف

الاقتصادي ، واعمال انماء اجتماعي لاقصاء بذور التخلف الاجتماعي ، وهكذا ؛ غير ان وجود تجزئة كهذه ، تصنف على اساسها احوال التخلف والانماء ، بحسب صلتها بالمادة والانسان فردا ومجتمعا - مثل هذه التجزئة ، لا تمنع من ملاحظة التداخل الدقيق القائم بين جميع احوال التخلف جميعها من جهة ، وبين كافة صور الانماء كلها كذلك من جهة ثانية .

وكل هذا يقودنا الى موضوع التخلف الديني ، وعلاقته بالتخلف الدنيوي عند المسلمين ، فالتخلف الديني لايشكل - كما اسلفنا - حالة مفردة ، وقائمة على حدة ، يحتاج تقويمها الى مجهود انمائي خاص ، قد يضاعف من مسؤوليات العمل الانمائي ويزيد من تعقيدها ، وانما هو ، اي التخلف الديني ، مجرد صورة منعكسة عن حالة التخلف العقلي العام عند المسلمين ؛ اذن فالعمل الانمائي في شأنها ، ان هو الا جزء عادي من عملية الانماء الفكري التي ترتبط هي بدورها بجميع عمليات الانماء التي يجب ان تقوم في شتى المجتمعات داخل المحيط العالمي الاسلامي ؛ بل ان عملية الانماء الفكري الاسلامي ، من شأنها ان تقوم كعامل مساعد ، عوض ان تقوم كعامل عبء في هذا المضمار ؛ فمن حظ المجتمعات الاسلامية ان العقيدة التي تاخذ بها ؛ تنطوي في مضمونها على حوافز قوية ضد التخلف ، بمختلف اشكاله وعناصره ، فهي داعية الى العمل ، حاثة على الكسب ، حاضة على الانتاج ، ممجدة للسعي واتخاذ المبادرة وبذل الجهد ! آمرة بالتعاون والتضافر ، مشيدة بالعلم والتعلم والتبصر ، مادحة التحصيل والتوفير والتنظيم والتنسيق ، مشعرة بضرورة تحقيق القوة ، ما كانت الحياة وناموس الاجتماع داعيا الى قوة ؛ والحفاظ على الصحة ، باعتبارها مقدرة للمرء على ممارسة شؤون دينه ودنياه : المرء السليم ، النظيف ، النشيط ، الايجابي في استخدام مقدراته البدنية والعقلية ، وكل هذا وغيره كثير مما تشعه روح العقيدة الاسلامية ، كما تؤكدها النصوص المتواترة - من شأنه ان يجعل من هذه العقيدة اداة مطواعا ، لتحقيق حالة الانماء المادي والمعنوي في شتى المجالات ، وهذا - كما نلحظه جميعا - من بين الحظوظ الجيدة التي تتوافر لقضية الانماء والتطوير بالمجتمعات الاسلامية ، اذ انها لاتعاني في طفرتها الانمائية ، نفس الصعوبات الاعتقادية و « الطقوسية » التي تعاني منها مجتمعات اخرى تتمسك بقيم دينية ، يعسر التوفيق دائما بينها وبين مقتضيات التطوير المراد تحقيقه ، فاذا تقرر هذا ، فلا بد ان يتقرر معه - بالنتيجة - الا معنى اطلاقا للقول بامكانية وجود صعوبات امام التطور الفكري في حظيرة المجتمعات الاسلامية ، نظرا لما لهذه المجتمعات من ارتباطات روحية او ما في معناها ؛ ولا بد ان يتقرر في مضمون ذلك ايضا ان التخلف الذي ينوء تحت وطأته المسلمون ليس حتمية مفروضة ، غير قابلة للالغاء الجذري ، لكن لماذا يبدو مظهر التخلف شديدا اذن في حظيرة العالم الاسلامي ، ما دام انه لا توجد عراقيل اعتقادية تحول دون الغائه ؟ وما دام ان هناك عملا متواصلا ضد الاحوال المتخلفة في مختلف بلدان المسلمين ؟ ان عمق ابعاد التخلف - عند المسلمين هو في درجة نفس العمق الذي عليه حالة التخلف في جميع اقطار العالم الثالث ؛ والتخلف القائم في مجموع هذا العالم الثالث ، هو - كما ذكر - نتيجة تطور تاريخي بعيد المدى ، يدخل بعمومه ، في حركة الحضارة وتقلباتها بين الشرق والغرب ؛ فليس غريبا ان يؤول امر الشرق (بالمفهوم الاكثر سعة لهذا التعبير) ان يؤول الى بوار حضاري ، وقد كان الغرب كذلك ، على درجة من التخلف يوم كانت دينامية الحضارة تكاد تكون متركزة في الشرق ؛ غير اننا اذا تاملنا في اصول التخلف الشرقي الحاضر ، وما يتسم به من مظهر معقد يبدو به الان ، فاننا سنلحظ ، ان مرجع ذلك ناشيء عن تضافر عاملين كبيرين في هذا المجال ، اولهما ان التخلف الشرقي ، صادف تبلور كل الجهود الحضارية الانسانية من فجر التاريخ وتكاملها على ايدي الاوربيين المحدثين ، فصار الفارق بذلك ابعد ما يكون بين الشرق والغرب (ثانيها ، الاستعمار الذي استغل وجود هذا الفارق ليصادر مقدرات الشعوب الشرقية ، ويبقيها طويلا ضعيفة مهزوزة ، وقد عاشت هذه الشعوب هكذا في مجرد صراع ضد الاستعمار ، ومن ثم كان مبدأ الخطورة في حالة تخلفها الراهن ؛ واذا كانت مكافحة التخلف لاتعطي ثمارا سريعة الآن ، فلان الداء كان ابعد غورا من كل ما يتصور .

سلا - المهدي البرجالي

حياة الشهداء عند ربهم

وَلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً،
بل أحياء ، عند ربهم يرزقون ...

للأستاذ محمد الطنجي

هذه الآية الكريمة تتلى فى القرآن العظيم مدى الدهر ، وهي بشارة للموقنين ومزية للمجاهدين الخالدين ، وحض وترغيب من رب العالمين على الاستماتة والاستشهاد فى سبيل الله ونشر الدين ؛ ذلك ان مبادىء الفضائل فى الوجود لا بد لها من انصار يعملون لحياتها فى المجتمع ، وتمكينها فى نفوس اهله ، وان ايمان الشخص بالمبدا ليسمو بنفسه ، حتى يجعله يستلذ القتل والموت فى سبيله ، ليحيى مبدؤه ، وتنتصر عقيدته ، وهذا داب المومنين بالله سبحانه ، وبعقيدة توحيده الخالدة فى سبيل نصرة الدين ، خصوصا وهم يوقنون بان حياة الافراد محدودة بآجال لا تتعداها ، وان مبادىء الحق وشريعته حية خالدة ، ويعتقدون ان بذل الحياة الفانية فى سبيل مبادىء الدين الخالدة هي غاية الايمان بها ، وشرف عظيم لمن يجود بالنفس فى سبيلها سواء عند الله كما اخبرت الآية الكريمة او عند الناس بالذكر الجليل ، والوفاء والثناء الجزيل « والجود بالنفس اقصى غاية الجود » كما يقول الشاعر العربي .

ومن المعلوم ان عوامل الخير والشر تنتاب المجتمع البشري فى مختلف الازمان ، واذا كان للباطل والشر اشياعه واحباره ، فللحق والايمان العظيم اعوانه وانصاره . ولهذا قد تكون الحرب سجالا بين الكافرين المبطلين والمومنين المحقين ، فيكون الانتصار والانكسار ، تحقيقا للابتلاء والامتحان ، ولكن العاقبة للمتقين ، « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا » ، كما تذكر الآية ، وعليه فان انتصار غزوة بدر الكبرى الحاسمة فى تمكين الاسلام بعد ضعفه وبدئه غريبا ، جاء عقبها امتحان وقعة احد للمومنين وابتلاؤها لطائفة المجاهدين ، فتوفاهم الله شهداء ، مثالا لعظيم الوفاء الذي استحقوا به عند الله رفعة الجزاء بخلاف الجاحدين للآخرة وثوابها ، فكانوا مع المومنين كما تخاطب الاية المومنين : « ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » .

وهكذا كان رجاء المومنين الشهداء فى ثواب الله عظيما ، وجزاؤهم من فضله كان جزيلا جسيما « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . صدق الله العظيم .

تلك صورة رائعة من الرفعة والجزاء تنطبق على مر الدهور على شهداء الحق والواجب ، لا تخص عصرا دون سواه ، يستجليها العظماء المخلصون عند امتحانهم فى الحق ، وصبرهم على البلوى ، وتحملهم لوسائل احراز النصر مهما اشتدت المعارك وادهمت الخطوب.

واذا كان سبب نزول الاية فى هؤلاء الشهداء هو امتحان غزوة احد للمومنين ، فان عموم هذا الوصف شامل لمن شرفه الله بالشهادة فى سبيله فى كل وقت وحين . والمخاطب فى الاية هو الرسول او هو كل سامع وهو اولى لورود نظيرها بالخطاب للعموم ، كما قال

تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات ، بل احياء ، ولكن لا تشعرون . »

واذا كنا في حياتنا الدنيا لا نشعر بها لكون تلك الحياة من عالم الآخرة فاننا نوقن بانها شرف مكانة عند الله ، ودرجات ممتازة في مقام رضوانه ؛ لانه سبحانه وصف ما عنده لبعض المومنين بقوله : « لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

نعم قد ورد في احاديث نبوية بأن ارواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، وفي رواية حديث اخر انها في حواصل طير خضر تسرح من انهار الجنة حيث شاءت ثم تؤوي الى قناديل تحت العرش ، وفي رواية : ان ارواح الشهداء في صور طيور خضر معلقة في قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة ، وفي هذه الاحاديث شيء من الاضطراب حيث يقول الاخير بانها معلقة بينما يصرح الحديث السابق بانها تسرح حيث شاءت ، وهذا الاضطراب يدل على ان تلك الاحاديث مروية بالمعنى ، وان كل راو عبر عما فهمه ، ومهما يكن من امر فان لشهداء الحق والواجب والعقيدة الطاهرة مقام رفعة وشرف مكانة عند الله تعالى ، سجلتها لهم الاية الكريمة باسلوب مشوق لنيلها ، وحاض على بلوغها ،صحبته الفرحة والاستبشار ، والامن والاستقرار ، وعدم الخوف في الحال والمئال .

وقد ذهب المفسرون الى عدة احتمالات في الاية نظر بعضهم الى حياة الشهرة بالذكر الحسن والثناء الجميل بعد موت الشهيد ، وذهب بعضهم الى انها حياة روحانية محضة ، كما ذهب البعض الى انها مثل حياتنا مادية صرفة يحيونها منذ الوفاء مما وصفه بعض المفسرين بانه لا يقول به عاقل ، يعني لان هذا القول مكابرة في الحس حيث ان بعض الشهداء تحرق جثته ، او تفترسه السباع ، او الحيتان في البحر ، واعتمد الشيخ محمد عبده رحمه الله في هذه الحياة انها حياة غيبية ، تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ، ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب الذي نومن به ونفوض الامر فيه الى الله تعالى .

وبعد فان تاريخ الامم هو تاريخ ابطالها ، لان حياة ضمير عظمائها هو حياة رجالها ، الذين هم اقطابها ، بجهودهم تسير دواليب تاريخ الامم ، وعلى نسبة اقدارهم ترتفع سوابق الهمم ، واعتمادا على حسبهم وشرف محتدهم تشرق شموس المعارف ، وتضيء بدور التقدم والتطور العلمي والصناعي ، والرقي الفكري ، حتى يكونوا كما يصف الشاعر العربي

غيثا مدرارا ينتج ازهارا وثمارا

تحيى بكم كل ارض تنزلون بها
كأنكم في بقاع الارض امطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا
كأنهم في عيون الناس أقمار

هذا وان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ، كما في حديث الرسول عليه السلام ، واننا ايها الاخوة المومنون نستجلي في هذه الكلمة عبرة للمتبصرين ، من كفاح ابطال هذا البلد الامين ، فان اليوم يوم ذكرى لبطل خالد ، واول مجاهد ، وزعيم رائد ، يعتبر في حركة تحرير القارة الافريقية اعظم قائد ، هو المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، ذلكم البطل الذي ضرب المثل بنفسه واسرته في سبيل تحرير امته ، وخاطر بعرشه حفظا لكرامته وفي سبيل رعيته ، فاتخذته هذه الرعية وكثير من الدول الافريقية قدوة عظيمة للسعي في سبيل نيل الحرية ، والخلاص من سيطرة الدول الاستعمارية ، حيث برز في المغرب لميدان التحرير ابطال الفداء والتدبير ، فسارت الامة المغربية من وراء ملكها وأهل الفداء فيها بكل اعجاب وتقدير ، تشد ازرهم ، وتزود حركتهم وتبارك اعمالهم حتى توحدت صفوف الامة وراء القادة حول الاهداف الوطنية ، فادركت بفضل امامها المثالي العظيم وانتصار الحق اعز امنية ، هي نعمة الاستقلال ، وتحطيم قيود العبودية .

وحق لامة يقودها امثال محمد الخامس ان تسعد بمساعيه وتحقق أغلى امانيه ، وان توفيه ما يستحقه من تقدير ووفاء ، وتمجيد وثناء ، باقامة الذكريات وتلقين سيرته لعموم الناشئين والناشئات لا في خصوص المدارس ، ولكن في المدارس وفي مختلف الاندية والمجالس ، حتى تعتاد الامة باسرها سماع المبادىء والمثل التي كان يسعى عظيمها من اجلها ، وسماع اخلاق الاسلام وصفاء مبادئه السلفية التي كان يتدين بها ، فكانت لاعماله طابعا ومذهبا ، ولميوله واتجاهه منهلا ومشربا .

وفي هذه الذكرى نفسها تمجيد لقادة الوطنية الملتفين حوله ، فالقائد بجنده والعرش يعظم بقدر عظمة شعبه ، وفي هذه الذكرى ايضا تمجيد لشهداء الاستقلال الابرار وترحم عليهم وهم عند ربهم يرزقون في دار القرار ، فقد سقوا شجرة الحرية بدمائهم ،

وجادوا بنفوسهم فى سبيل حياة امتهم ؛ فاللهم تغمد الجميع برحمتك ومتعهم برضوانك ، واسكنهم فسيح جنانك ، واجعلهم مع الذين انعمت عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .

وينبغي هنا فى هذه الذكرى لبطل المغرب والاسلام ان نلم المامة خاطفة ببعض ما اعد مولانا محمد الخامس قدس الله روحه تناول فيه نواة فقط لهذه الحركة المباركة التي اينعت واثمرت ثمرا شهيا ، ينعم الان المغرب باكله ، ويستظل بظلاله ، وتلك النواة فى نظرنا هي نوعية الشعب وتلقينه دروسا فى تقويم عقيدته وتعليم ناشئته ، فقد ادرك محمد الخامس بالهام من الله ان القيم الخلقية والعلمية هي المقومات الحافظات لكيان الامة ، سيما امة كونتها العقيدة الاسلامية الطاهرة، وادركت عزها التاريخي والحضاري فى ظل هذه العقيدة والشريعة الاسلامية العملية التي تغلغلت فى اعماق قلوب هذه الشعب منذ أزيد من ثلاثة عشر قرنا من السنين .

اما قضية تقويم العقيدة فقد كانت توزعت ميول الشعب المغربي واثرت فى عقيدته اهواء من البدع المحدثة فى الدين فنزعت طائفة من شيوخ العلم الى اعلان سلفية طاهرة تعيد للاسلام نقاوته وطهارته فى وسط مالت به البدع المحدثة فى الدين وفرق من المتصوفة الى الاوهام والخرافات ، وان كان بعضها يساير السنة فى مراميها فلقيت تلك الدعوة السلفية من عظيم المغرب تشجيعا وتأييدا ، اعاد به المغاربة الى رشدهم فى سبيل دعوة الحق وترك ما احدث فى الدين، سلك محمد الخامس بفعله ذلك مسلك اسلافه المقدسين امثال مولاي محمد بن عبد الله ، ومولاي سليمان ، ومن سلك سبيلهم ، وكان بجانب جلالته دعاة مصلحون من السلفيين أمثال المرحومين اساتذة الامة ومعافر المغرب : الشيخ ابي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي ، والمدني بن الحسني ، ومن الاحياء الفقيه الحاج محمد غازي حفظه الله وغيرهم الذين كانوا خير موجهين لنخبة شباب الامة الى الطريق المستقيم ، وانقذوا بهذه الدعوة السلفية طائفة هامة من الزيغ الخرافي باسم الدين ، ومن الانحراف والالحاد فيه حيث قامت هذه النخبة بنشر المبادىء الاسلامية على وجهها سواء فى المجلات والصحف او فى المحاضرات والدروس فى المساجد ، او فى مختلف الاوساط حتى تماسكت الحال واختطت السلفية طريقها بين الطرق الاخرى وعرف الجمهور المسلم معنى هذه الخطة الرشيدة ، التي رفضت الجمود الذي خيم على المجتمع وبينت ما الصق بالدين من الخرافات والبدع ، وحفظت كثيرا من العقول من الجحود ، حيث ادرك اصحابها ان الاسلام فى اصالته ينبوع صاف ، وعقيدة طاهرة وشريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، تكونت فى ظلها حضارات ودول وترعرعت فيها علوم وفلسفات كانت ولا زالت احدى الحلقات العظيمة فى حلقات التاريخ السياسي والعلمي والحضاري فى حياة البشرية جمعاء .

واما قضية تعليم الناشئة فقد وجه مولانا محمد الخامس تغمده الله برحمته عناية كبرى لهذه الناحية وبذل فيها مجهودا كبيرا حتى اخذت تؤتي ثمارها الشهية ، فعمل مستطاعه مع ادارة الحماية فى اصلاح التعليم الديني والتعليم العصري تسنده فى الحاحه مطالب قادة الوطنية ورجال التعليم فى الميدانين حتى تحسنت الوضعية نوعا ما رغم محاولات ادارة الحماية لعرقلة كل الجهود فى هذا الميدان ، كما وجه رحمه الله عناية خاصة لتشجيع التعليم الحر ماديا ومعنويا مع التنويه بالمساعدين له البانين لمدارسه والقائمين على تربية الطلاب فيه من الاساتذة وغيرهم ، ينوه بهم حتى فى خطب العرش السنوية ، ومع الذهاب بنفسه من غير ميعاد لزيارة بعض المدارس فى مختلف الجهات حتى عرفت هذه العناية فى بطل المغرب العظيم ، فصارت كل المدارس تسعى بكل جهد لتحسين وضعيتها العلمية والمظهرية حتى يجدها مولانا اذا تفضل بزيارتها على احسن الاحوال ، فتنال رضاه الابوي الذي هو من اعز الآمال عند القائمين عليها ، وقد ضرب قدس الله روحه المثل لشعبه بتعليم ابنائه تعليما عصريا ذا مشرب ديني عربي حتى كان يحضر بنفسه فى كثير من الاحيان دروس الاساتذة المعلمين لابنائه فى المدرسة الخاصة .

النتيجة :

فما ذا كانت نتيجة تقويم اعوجاج العقيدة والاهتمام بتعليم الشباب كانت النتيجة ان استرد الشعب حماسه وحيويته ، وقوي ايمانه بنفسه وبحقه فى الحياة الكريمة ، ونظم اساتذة التعليم الديني والعصري الاناشيد الاصلاحية والوطنية ، والبست احتفالات عيد العرش صبغة دينية وشعبية هائلة ، ينظر اليها علماء الدين نظر تقدير للامامة الاسلامية التي يرجع اليها امر الحفاظ على الدين ومصالح الدنيا حسبما يعتقدون ، ويبثون ، ذلك فى تعليم

العقيدة الاسلامية من وجوب نصب امام للامة تتوفر فيه شروط هذه الامانة العظمى ، ويلتف حوله المسلمون حسبما جرت به تقاليد الخلافة الاسلامية منذ الصدر الاول ، وان استقلت فيما بعد كل جهة بامامها الخاص ، فتعددت الممالك الاسلامية بدل توحيدها ، وينظر الى تلك الاحتفالات بالعرش المثقفون ثقافة عصرية نظرهم لرمز وحدة الامة الذي يجب ان تتحد حوله الصفوف لتحقيق الاهداف الوطنية العليا، وذلك ما اضطر ادارة الحماية الى الاعتراف بعيد العرش واعتباره عيدا قوميا رغم معرفتها بخطورته من الوجهة الدينية والسياسية فصار للعرش والجالس عليه في المغرب موسم قومي اتخذه المغاربة سوقا أدبية تبارت فيه افكار الكتاب وتفتحت فيه قرائح الشعراء، وفي طليعة المهتمين عاهل المغرب العظيم ، فكان لخطاب العرش السنوي دور هام وصدى بعيد المدى في بيان المنجزات التي تحققت داخل السنة ، ومحاولة لابراز الخطوط الكبرى لسياسة هادفة للسنة المقبلة ، وصار للشعب ذوق مرهف يتتبع به خطاب الملك وافكار الكتاب وقصائد الحماس مما يزيد يقظة الشعب ويقوي رغبته في تحقيق السيادة القومية ، وتبلورت الحركة بصفة جدية وعرف الملك رحمه الله ان وراءه شعبا واعيا جادا في انتزاع حقه ، مهما كان الثمن فتصلب في مواقفه ومطالبه الاستقلالية تسنده الحركة السياسية بمطالبها في عدة مراحل وحركة العمال الموحدة اذذاك الجادة في تحقيق المطامح العليا للوطن ، فضاقت الحماية ذرعا في هذا المجال وسولت لها نفسها ان الدواء الناجع لكبت الاحرار هو انتزاع اسدهم من وسط عرينه ، فجند رجال الحماية صنائعهم وأذنابهم واغروا ذئابهم وكلابهم ، فحشدوا كتائب الزور ، واتخذوا المطايا لكل غرور حتى وقعت الواقعة وتجرع عظيم المغرب واسرته الكريمة مرارة الابعاد والنفي بكل جلد وصبر ، فغضب الشعب المغربي الوفي لامتهان كرامته ، وثار مطالبا بحقه وارجاع صاحب امامته واستمر الكفاح المرير حتى عاد قائد الامة العظيم واسرته الوفية محفوفين بالنصر والتهليل والتكبير بفضل جيش التحرير وابطال الفداء المغاوير ، فاشرق فجر الحرية ونال المغاربة بفضل تعاون الملك والشعب أعز امنية .

وهكذا كان اصلاح العقيدة والتربية الناشئة على حب الوطن وامامه من اهم العوامل في توحيد القلوب والسعي للحصول على اعز مطلوب ، وكل المواطنين يعلمون ان الاستقلال اخذ يستكمل فصوله بواسطة المفاوضات حتى تحقق الكثير منها ، كما ان صروح عهد الاستقلال الجديد اخذت تشق طريقها الى التشييد طبق الامكانيات والوسائل المحدودة ، وفي هذه الاثناء اختار الله لجواره ملكا هماما ادى مهمته في حياة شعبه احسن اداء تاركا فيه خير خلف لخير سلف نابغا من نبغاء البيت العلوي العريق في المجد ، هو أمير المومنين مولانا الحسن الثاني حامي حمى الوطن والدين الذي وجدت فيه الامة المغربية عزاءها الوحيد على فقيدها وفقيد الاسلام والعروبة مولانا محمد الخامس اسكنه الله فسيح جنانه وحفظ الله أمير المومنين الحالي ذخرا وسندا للاسلام ، وحقق في عهده كل اماني شعبه الوفي العظيم ، وكلأ ولي عهده الامير سيدي محمد ، وسائر افراد الاسرة الكريمة بعين رعايته ووفق الجميع الشعب وعاله لكل خير وعزة وازدهار انه سميع مجيب .

الرباط : محمد الطنجي

لا أعلم أنها فوق خشبة ! !

قال الماهاني : مررت بمنجم قد صلب ، فقلت له : هل رايت هذا في نجمك وحكمك ؟ قال : قد كنت أرى لنفسي رفعة ، ولكن لم أعلم انها فوق خشبة .



القرآن يفسر بعضه بعضا

للأستاذ الحاج أحمد التيجاني

كلمة فشت وانطوت عليها الالسنة ، لكن ويا للاسف ، على قدر ما تكرر على الالسنة على قدر ما تنوسي تطبيقها وترويض القرائح على الاهتداء بهديها . معنى كون القرآن يفسر بعضه بعضا ان يراعى فى فهم لآية السياق الذي يتدرج فيه سابقه ولاحقه مع تفهم الحكم الذي جاءت لتقريره واستحضار ما عسى ان يكون للآية من اشباه ونظائر مبثوثة في مختلف السور لا ان تقتضب وتختزل وينظر فيها منفصلة مستقلة مقطوعة الرحم من المجموع الذي هي فيه كما هي الحال فيما جاء فى سورة الصافات حكاية عن موقف سيدنا ابراهيم مع ابيه وقومه : « وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون . . . الى قوله جل ذكره : اتعبدون ماتنحتون **والله خلقكم وما تعملون** » تقدم لي ان كتبت عن هذه القصة فيما اكتبه من حين لآخر فى مجلة دعوة الحق ، لذلك يكفيني فى هذه المرة ان اقنع من القاريء الكريم ان يقرا القصة من اولها ويتصور موقف سيدنا ابراهيم مع قومه ودعوته اياهم ليخرج بهم من ظلمة الشرك الى نور التوحيد فيرد المخلوق الى الخالق والخالق الى المخلوق ، فجاء اصحاب علم الكلام ونتفوا الفقرة الاخيرة من القصة التي هي : « والله خلقكم وما تعملون » واتخذوها اساسا لعقيدة كانت السبب فى تراجع المجتمع الاسلامي بتعقيم غريزة العمل فى الاسلام واخماد جذوته مع ان الاسلام في اصل مدلوله دين العزة والكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » وهل تعقل عزة بلا مال ولا عتاد ولا . . ولا . . . . ولا باس هنا من تفكير القاريء فيما جاء من التهافت فى هذا الباب فى جوهرة اللقاني احدى امهات كتب التوحيد :

فخالق لعبده وما عمل
موفق لمن اراد ان يصل

ونسي هذا المؤلف ان القرآن الذي هو دستور الاسلام لحمته وسداه العمل والعمل يترتب عليه اثره : تقرا فى اول سورة الاعراف : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » وهل تثقل الموازين بلا عمل ؟ « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » وهكذا تكرر لفظ العمل بما يفوق الثمانين مرة ! ! كما قرر ان العمل يترتب عليه اثره : « ونودوا أن تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون » « وانما توفون أجوركم يوم القيامة » « يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » بل تجاوز العدل الالهي فى هذا الباب الى اعلى واسمى ما يمكن ان يتصور فاذن للعبد المخلوق من ماء مهين ان يستنجزه وعده وهو سبحانه من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه فقال : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » وقال فى سورة الفرقان : « قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون

خالدين **كان على ربك وعدا مسؤولا** » وجاء في آخر سورة تنزيل : « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين »

من المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا لايخالف ربه لذلك نراه يقول من جهته في هذا الباب : اعني الاشادة بالعمل قولا وفعلا : « اليوم الرهان ، وغدا السباق ، والجائزة الجنة » فقوله عليه السلام « والجائزة الجنة » دليل على ان العمل يترتب عليه اثره .

« لايجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم » « الطاعم النائم في الجهاد اقرب الى الله من الصائم القائم في سواه » . وابلغ من هذا كله قوله عليه السلام : « وقوف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود » كما جاء في الحديث القدسي : « دخل رجل الجنة فرآى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فما باله فوق درجتي » فيقول سبحانه : « هو عبدك جزيته بعمله وجزيتك بعملك »

ابعد ما سرد من الآيات والاحاديث التي لا محل فيها للاحتمال ولا التاويل يبقى للعاقل ان يعير سمعه الى ما يوثر عن اصحاب علم الكلام وفي مقدمتهم ابراهيم اللقاني الذي يقول فيما سماه الجوهرة :

فخالق لعبده وما عمل
موفق لمن اراد ان يصل
وخادل لمن اراد بعده
ومنجز لمن اراد وعده
فوز السعيد عنده في الازل
كذا الشقي الخ ...

في حين ان سوادع الآيات ترفع اصواتها في عموم العالم الاسلامي من شرقه وغربه شماله وجنوبه : « ونودوا ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ـ وانما توفون اجوركم يوم القيامة ـ وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ـ وقال عز من قائل ابلاغا في المعذرة واظهارا للمعدلة : «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فليتأمل اولوا الالباب الى موقع كلمة على في هذه الآية كيف يتصور ان تكون للناس حجة على الله وهو من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه » وهو الذي يقول ايضا :

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية » نعم في هذه العبارة الرائعة اعني قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ـ يتمثل العدل الالهي في اجلى مظاهره وغدت الآيات تردد صداه : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ».«يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين » معناه اذا كانت مشيئته من قبيل اللانهاية كذلك عدله كبقية صفاته من قبيل اللانهاية ، وهنا تلتقي المشيئة والعدالة في قوله جل ذكره في سورة يوسف : « وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء **نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين** » معناه اذا كانت رحمته يصيب بها من يشاء فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين ويترك احسانهم يذهب ادراج الرياح . اختم هذا الفصل على وجه التخلص فاقول :

ان تراجع امر المسلمين السبب الرئيسي فيه هو التزهيد في العمل وسلبه من الثمرة التي تترتب عليه اعني الجزاء عليه . اليس من اعجب العجب ان تروج مثل هذه العقيدة في الاسلام والحال ان كتابه جعل من العمل لحمته وسداه ونبيه عليه السلام يقول ما سمعه القراء وامهات الفقه قطبها يدور على العمل ايضا امثال صاحب المختصر خليل الذي يقول : (وملك الصيد المبادر وان تنازعه قادرون فبينهم ويقول في باب الجهاد : وتامين بمجيء العدو وان على امراة نعم وان على امراة ! يا ليت اصحاب علم الكلام نفضوا ايديهم من تراب هذا القير وتركوا امثال هذه العقيدة للمسيحيين الذين يدينون بهذا المبدا الاساسي عندهم وهو : ان الانسان لا ينال النجاة في الدار الاخرى بالعمل ولكن بمحض الفضل المعبر عنها :

وتغالوا في ذلك حتى قالوا في متن عقيدتهم : ملعون من يعتقد او يظن بان قداسة البابا يمكنه او يجب عليه ان يتصالح مع المتمدن وحرية التفكير (انظر الفصل الاخير من كناش السيلابوس

لم يبق بعد هذا الا ان اغلق باب الحوار في هذا الموضوع بقفلين مشقوعين بزلاجين وهما ان الله جعل الدخول للدار الفانية من باب العمل : «وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا » . والدخول الى دار الخلود كذلك من باب العمل : « وقالوا الحمد لله الذي

صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر **العاملين** . قطبان اثنان لا ثالث لهما .

ارجع الآن بالقاريء الى الآيات التي تعود الكثير الاستدلال بها مقتطفة منتزعة من السياق التي هي في سلكه والكلام يحتاج الى توطئة

خلافا لما تعودناه من عهد الصغر ان فهم الكلمة اللغوية يطلب من كتب اللغة والمعاجم بخلاف مفردات القرآن وتراكيبه فان معناها يلتمس في داخل القرآن نفسه وفي متسع افقه مع استحضار ما للآيات من اشباه ونظائر تمت اليها بصلة رحم

مثلا كلمة **ظن** فان المتعارف في **الظن** انه الامر الغير المقطوع به نفيا واثباتا ، هذا حكم القاعدة اللغوية فاذا انتقلنا بهذه المادة الى افق القرآن وجدنا ان لها معاني تختلف باختلاف مواقعها في شتى السور وان الذي يعطيها المعنى المنشود هو موقعها من السياق التي هي فيه وما ينضم في سلكها مما عسى ان يكون لها من اشباه ونظائر في شتى السور وها نماذج من هذا القبيل : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم . » فان روح السياق يعطي للظن هنا معنى اليقين . ومثله ما جاء في سورة يونس : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم » الخ ما وقع فيه الركاب من الدهشة وعظيم الخطر يعطي للظن هنا معنى اليقين وفي معناه : « كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق **وظن** انه الفراق والتفت الساق بالساق . » من وصلت به الحال الى الاحتضار خرج لاشك من الظن ودخل في مشهد اليقين ــ « وانا **ظننا** ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا » يدل على ان معنى الظن هنا ايضا اليقين ان الجن اتبعوا ذلك بقولهم : وانا لما سمعنا الهدى آمنا به قادهم الى الايمان بالهدى يقينهم انهم لن يعجزوا الله في الارض ولا في السماء : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ! » فشتان بين موقع ظن في هذه الايات وبين ما جاء مثلا في قوله تعالى : « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس » « ان **نظن** الا ظنا وما نحن بمستيقنين . » والحاصل ان السياق وما هنالك من اشباه ونظائر مبثوثة في مختلف السور هو الذي يعطي للآية المعنى المنشود .

الف الناس الاستدلال في كل مناسبة بقوله تعلى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » على ان المراد بالكتاب القرآن يقصد به ان فيه كل شيء على وجه الاحاطة والشمول وفاتهم ان البساط لا يساعد على هذا التاويل وبيان ذلك ان آية ما فرطنا في الكتاب من شيء جاءت مقحمة في عرض كلام قصد به الدواب والطيور « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ثم الى ربهم يحشرون » معناه اننا لم نهمل شيئا من مخلوقاتنا حتى الدواب والطيور على اختلاف اجناسها واجرامها مذكورة في كتاب الاحصاء المعروف عند الناس باللوح المحفوظ ، نعم ان ذكر الدواب والطيور هنا قرينة تمنع من حمل كلمة الكتاب على القرآن وترجح ان المراد به كتاب الاحصاء وبذلك تتجاوب مع ما جاء في نفس السورة : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في **كتاب مبين** » وحسب القرآن في هذا المعنى ما جاء في سورة الاعراف : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم » ــ « ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك **الكتاب تبيانا لكل شيء** وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » يعني : ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة المتكفلة بمصالح جميع المخلوقات اولم يكفيهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم .

يتبع

الرباط : الحاج احمد التيجاني



- 4 -

محاولتنا السابقة (انظر : دعوة الحق ، الاعداد 8 ، و 9 ، 10 لسنة 1387 . رمت الى تحديد مفهوم شخص فى الاسلام، من الجانب الانطولوجي (المعطيات الشوئية) ومن الجانب الاخلاقي . اي في علاقاته بالآخرين وبالعالم ، لنبرز ما للشخص من حرية ترتكز عليها مسؤولياته . وبعد ان حددنا معنى التعالي ومعنى الوحي ، ومفهوم الالحاد والايمان ، نتساءل اليوم عن موقف الشخص (الكائن المتناهي) من الله (الكائن المطلق) .

موقف الشخص تجاه قدرة الله المطلقة

يترتب ، على ما سبق ، مشكل آخر :

ان الشخص ، رغم استقلاله الذاتي ، وحريته ، وقدرته على المبادرات ، ومواهبه ، يبقى تحت تصرف مشيئة الله ، وهي مشيئة لا متناهية ، ومطلقة ، وقديمة ، في حين ان الارادة الآدمية (على المستوى الدنيوي ، مستوى الوجود بالفعل) متناهية ، ونسبية، وحديثة . فطرفا المواجهة ، اذن غير متعادلين .

يجوز هذا الاعتراض من خلال رؤية مجردة : فلا شيء بقادر على الحد من قدرة الله المطلقة . لقد كان ممكنا له تعالى ان يطرح ، كلما شاء ، قضية حرية الاشخاص واستقلالهم الذاتي ومواهبهم .

لكن نظرة ممعنة في القرآن والسنة تجعلنا نستخلص ان ارادة الله ليست اعتباطية مخاذلة ، بل حكيمة مدبرة : خلقت نظما ، وجعلت للكائنات اطرا وغايات : فما خلق الله :

« السماوات والارض وما بينهما الا بالحق ، واجل مسمى » (30 : 8) .

« والشمس تجري لمستقر لها » (36 : 38) طبقا لقوانين طبيعية ، ابدعها الله عن ارادة وقدرة ، واخضع لها سير الكون :

« ولن تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62) (1) .

لقد اسبغ على الكون والكائن البشري كل امكانيات تحقيق الاستعدادات الفطرية التي وهبهما اياها .

---

1) انظر ، كذلك : 17 : 77 ؛ 62 : 35 و 43 .

يرتبط الشخص ، طبيعيا ، بجسمه ، والجسم مرتبط ، حياتيا ، بالعالم ، والعالم في صيرورة . وان الصيرورة لبعد من الابعاد المشتركة بين الكون والانسان ، واداة وصل بين زمان الحدوث وبين الابدية والخلود . لذا ، لا تناقض في علاقات الكائنات (المحدثات) بارادة الله الحي الباقي . فلو كان تناقض لما تعارف الناس على قواعد عامة ، ثابتة ، في سير الظاهرات الكونية ، اي لا انعدم « العلم » ، ولما تفاهم الناس فيما بينهم ، لان التفاهم ينتج عن الاعتقاد بقوانين انسانية وطبيعية لها الشمول والاستقرار . لا انسان بدون بيئات انسانية ، ولا بيئة بدون اطر ثابتة داخلها يحصل التطور والرؤى عن انسانية الانسان وعن الحياة .

القوانين التي تهيمن على سير العالم قوانين موضوعية ، قابلة للادراك ، غير مشخصة ؛ ففي الاسلام ، لا يوجد اله الماء ، او اله الشمس ، لكن اله واحد يسبغ الانسجام والتناسق على مجموع الكون .

* * *

بما ان هناك امكانية توقع الظواهر الطبيعية ، كان الانسان مطالبا بان ينسجم معها وان يتبنى العالم بتكيفه معه . وايضا ، بما ان افعالنا ترمي لان تصدر عن قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم ، يلزمنا ان تكون مسؤولين عنها ، خصوصا وان الله جعل من البشر خلفاء له في الارض ، تمييزا لهم عن بقية الكائنات ، وحتى على الملائكة الذين سجدوا لآدم ، بامر من الله :
« ام من يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض ؟ » (27 : 26) (1) . انها سنة تجذرت في الانسانية ، منذ البداية ، اذ ما خلق الله ابا الادميين الا بعد أن قضى بتخليفه ، في الارض ، والهامه منابع المعرفة ، وعلم آدم ما جهله الملائكة . فكاننا امام رؤية كونية بروميثية :

« واذ قال ربك للملائكة :

اني جاعل في الارض خليفة (...)

وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال :

انبؤوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين !
قالوا :

سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم .

قال :

يا آدم ! انبئهم باسمائهم » (2 : 30) .

هكذا امتزجت انسانيتنا بنفخة الهية ، اذ نفخ الله فيها من روحه ، ثم كرمها بالمعرفة ، واسبغ عليها ثقته الكاملة فخلفها على الارضين : فالبشر خلفاء الله في الارض ، اي انه تعالى قد نصبهم فيها مبدعين مسؤولين .

* * *

انتقاد هام يمكن ان يوجه الينا : ان الشخص ، رغم استقلاله الذاتي ، ورغم فكر المبادرة ، والحرية ، والاستعداد الفطري ، يبقى خاضعا لتصرفات الهية غامضة ومطلقة . الا يجوز في حق الله ، ان يطرح من جديد كما يشاء ، حرية الانسان واستقلاله الذاتي واستعداداته ؟

لو حصل هذا لعارض الحكمة الالاهية التي تعكسها قوانين الطبيعة . فالله بمحض ارادته ، هو الذي قضى بان تكون قوانين ، وقضى بان يخضع لها سير الكون ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62)

يترك الله للكائن البشري امكانية اتباع استعداداته الطبيعية المحددة كما جبله عليها . فالقوانين التي تتحكم في سير الكون « موضوعية » ، ومحسوسة ، وان لم تكن شخصية . فليس في الاسلام اله لكل ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، ولكنه اله اوحد ينسق كل ما في الكون ويدخل عليه انسجاما تاما . فلان هناك امكان توقع الظواهر الطبيعية يطلب ، من الكائن البشري ان يتبنى العالم بالتكيف معه . وبما ان افعالنا تعتمد كذلك على قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم نرانا ملزمين بان نتحمل مسؤوليتنا ازاءها .

لقد شاء الله ان يكون مدبرا ، وانعم على الكائن البشري بالعقل الذي هو اظهار التدبير الالاهي وشهادة عليه (عن كونه تعالى هو المدبر الاعلى) . بحكم هاته الصفة ، يخلق الله النظام ، في كل مكان ، بمعنى انه يبدع الوحدة والانسجام مع التنوع اللا نهائي .

* * *

1) انظر ، كذلك : 35 : 39) : « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض » .

قد يكون الانتقاد السابق جائزا على مستوى انبثاقة الخلق البدئي ، ولما يتشخص الكائن بعد : فلا موهبة ، ولا استعداد فطري ، ولا حرية . وعلى العكس من ذلك ، فبظهور الكائن البشري ، يبتدىء تاريخ الوعي لاجل تشخصن الذات والاشياء ، قصد ادماجها داخل افق شخصي . على هذا المستوى ، يقوم الله بدوره : ان أحسن هدية وهبها للانسان هي العقل ، وجعله شاملا بين جميع البشر . كثير من الفلاسفة المسلمين (الفارابي وابن سينا ...) يؤكدون ان اول ما خلق الله هي العلة الاولى المطلقة : الفكر ، او العقل .

يتكون الشخص بفضل الفكر وهو يصنع عالمه ، ويصنع العالم على مستواه بالاسهام فى الخلق الالاهي ، اذ يعمل على اكماله . فبفضل العقل ، يتعاون الانسان مع الله ، ويصبح انسانا له كثافته الانطولوجية . انه مخلوق ، ولكنه يساهم فى كينونة العالم .

اننا فى عالم نخلقه ، ولكن كل شيء فى العالم يحتم علينا ان نخلقه فى حلة جديدة : نلاحظ العالم ، ثم نغيره ، بل نلاحظه لنغيره . فكل نظرة نلقيها الى العالم لهي بداية فعل جديد،او نسق تتولد فيه افعال اخرى. ان العالم حدث ، والانسان هو كذلك حدث ، وعن علاقته الحدث الثاني بالاول ينتج حدث ثالث يمنعنا من ان نبقى متفرجين ، ويحتم علينا ان نكون عاملين : نصنع ، ونصلح ، ونتسق ، وننظم ما هو موجود لنجعل منه شيئا كاملا .

تلك هي المهمة المجيدة للانسان ، اي « الامانة » التي حمله الله اياها ، كما يقول القرآن :
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان » (33 : 72) .

اجل ، الم يعلم الله آدم ، ابا البشر « الاسماء كلها » (1) اي جميع اسرار الخلق التي كان الملائكة انفسهم يجهلونها ؟ هذا ما تفهمه الشاعر ، محمد اقبال، وعبر عنه فى حوار « بين الله والانسان » :

الله

« انا خلقت هذا الكون ، من طين وماء ،
فجعلت فيه ايران ، وبلاد التتار ، وزنزبارا .
من الارض خلقت الصلب ، فكان صافيا ،
فصنعت منه السيف ، والسهم ، والبندقية .

كذا الساطور ، صنعته لقطع ما فى المرج من اشجار عالية ،

وصنعت القفص لحبس الطيور الشاذية » .

الانسان

« انت جعلت الليل ، وانا صنعت الصباح .
انت خلقت الطين ، وانا صنعت الاقداح .
خلقت الصحاري ، والشعاب ، والجبال ،
وهيات الحدائق، وكسوت الارض ورودا وازهارا
انا الذي استخرجت من الصلد زجاجا ،
وهيات لي من السم ترياقا » .

* * *

الشخصانية الاسلامية لا تجعل من الشخص « مونادة » روحية ، بالرغم من اعتباره معطى اوليا . انه كائن كلي ، ومادة حية ، اي فكر ينفخ فى جسم ذي عقل . فان يكن من فرق بين الروح والشخص ، فانه بمثابة الجزء من الكل ، او المحتوي من المحتوى . فالشخصانية الاسلامية ، وان كانت مقتبسة من الدين، تمتنع عن الخضوع لاي اتجاه لاهوتي من شانه ان يضع ، قبليا ، افضلية للروح على الجسم ، او للجسم على الروح ، **فالعقيدة ، قبل كل شيء ، التزام .** والالتزام المقصود هنا لا يتعلق بالطقس الروحي فحسب ، بل يتعلق ، ايضا بالظروف المادية والموضوعية التي تعيش فيها الامة، والانسانية باجمعها. فبين الانسان وباقي الكون تسود غاية تعمل لصالح الانسان : فمن اجل الكائن البشري ، خلق الله العوالم، والاشياء ، والكائنات .

هل هذا اتجاه مثالي ام مادي ؟

اننا امام شيء آخر ياخذ من المادية والمثالية ، على السواء ، فهو تركيب يتكامل فيه الاتجاهان . لولا هذا التركيب لكان الاسلام روحانية تسبح فى الفضاء ، دون جذور في العالم .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) سورة البقرة (2) ، الآية : 31 .

الدراسات الاسلامية في فرنسا

للأستاذ محمد ازنيبر

تعرف الدراسات الاسلامية في أروبا ازدهارا وتوسعا مطردا في هذه الايام . ولا شك ان ذلك يرجع الى عدة أسباب . منها أن العالم الاسلامي أصبح يحتل مكانة مرموقة في العالم وصار له في الوزن الدولي ثقل أكثر من ذي قبل . فقد استقلت كل دوله تقريبا ، وصارت تكون كتلة مهمة في المنظمات الدولية ، واستطاعت بعض هذه الدول ان تحقق اشواطا في النماء الاقتصادي والحضارة مما جعلها تقارب المستوى الاروبي المتوسط . اضف الى هذا ان العالم الاسلامي يمتاز بحيويته ، خصوصا في العهود الاخيرة . فهو يشغل الرأي العام العالمي باستمرار بما يجد فيه من أحداث ومشاكل مختلفة . فمن الثورة الاندونيسية الى مشكلة كشمير ، الى قضية فلسطين ، الى المشاكل الناجمة عن استثمار البترول في ايران وفي البلاد العربية ، كل هذه مواضيع تلفت الانظار الى العالم الاسلامي وتجعله نصب الاعين دائما وتدفع الباحثين — بالتالي — الى استكشاف اسراره وتجلية غوامضه .

والسبب الثاني هو ان الاروبيين بدأوا يعرفون العالم الاسلامي بصورة احسن . وكان يعوقهم عن اكتشاف حقيقة ذلك العالم حاجز كبير ، هو الاستعمار ، فقد خلق الاستعمار حالة نفسية خاصة ازاء العالم الاسلامي لدى الجماهير الاروبية اذ بث فيهم نوعا من الحقد والعنصرية ، ولم يفلت من هذا الشعور الا القليل من الاروبيين الذين استطاعوا ان يعرفوا البلاد الاسلامية عن كثب وان يتحرروا بمجهودهم الخاص من عدوى الكراهية والتعصب . لكن الثورة العارمة ضد الاستعمار التي عاشتها آسيا وافريقيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي ادت الى انهيار الاستعمار الاوربي بصورة مسرحية كما هو معلوم ، قضت على ذلك الشعور وعلى تلك الظروف البسيكولوجية ، فتحرر الاروبي بدوره في نظرته الى العالم الاسلامي ، وانحدرت كثير من الافكار والنظرات الاستعمارية مع نهاية الاستعمار . واكتسب الاروبي وعيا جديدا وادرك انه كان ضحية اوهام واكاذيب وخرافات ، ونظر حواليه ، فوجد ان عددا من الدراسات والكتب التي كانت تحدثه عن العالم الاسلامي في حاجة الى مراجعة وتحقيق ، فاندفع الى البحث في جولة ثانية ، بروح جديدة تتحرى أن تكون عادلة منصفة .

وهنالك سبب ثالث لابد من الاشارة اليه لانه قمين بان يدفعنا الى نوع من التدبر والاعتبار وهو أن البحث العلمي لم يبق مجرد هواية او عملا لا يهم الا طائفة الاساتذة والعلماء وحدهم ، بل اصبح شأنا من الشؤون الاولية والاساسية التي تهتم بها الدولة ، علما منها بان التقدم التقني والاقتصادي والحضاري رهن بالتوسع في البحث العلمي ، وبالفعل فهنالك ميزانية ضخمة تقدر بعشرات الملايير من الفرنك تخصص في كل بلد اروبي مهم للبحث العلمي . ولا اشير هنا بالطبع الى المجهود المالي الهائل الذي تبذله دول عظمى مثل امريكا والاتحاد السوفياتي ، فلنكتف هنا بذكر المثال الذي نعرف اكثر من

غيره وهو مثال المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا الذي يحتضن مئات العلماء للبحث في مختلف الميادين ، منها ما يتصل بالعلوم الانسانية من ادب وتاريخ وفلسفة وجغرافية الخ ... ومنها ما يتصل بالعلوم الوضعية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وبيولوجيا ، ومنها ما له صبغة تطبيقية في الطب والصيدلة والبيطرة ومختلف الفنون التقنية التي تتصل بكل اصناف النشاط البشري ، وبفضل هذه التنظيمات وهذه الامكانيات المادية استطاع عدد من العلماء المستشرقين أن يكرسوا جهودهم واوقاتهم لدراسة العالم الاسلامي ، غابره وحاضره ، بروح جديدة ومنهاج اقرب ما يكون الى الموضوعية العلمية ، واستطاعوا أن يحصلوا من دولهم على كل المساعدات والتشجيعات التي تمكنهم من التقدم في ابحاثهم .

وبفضل هذه العوامل وغيرها ظهر بالفعل تجديد في الدراسات الاسلامية في مختلف فروعها . ويكفي أن نلقي مثلا نظرة على بعض العناوين في برنامج الدراسات الاسلامية بالسوربون لسنة 1967 ، لنتأكد من ذلك ، فهنالك درس عنوانه « الخلافة في مذهب الماوردي » يقوم به الاستاذ لاووست المعروف بتخصصه في موضوع الفكر الاسلامي والمذاهب الاسلامية، واختياره للماوردي لا تخفى اهميته ، اذ هو العالم الاسلامي الكبير الذي تخصص في الابحاث الدستورية الاسلامية . وموضوع الخلافة ، من جهة اخرى ، موضوع شائك اذ هو منصب خاص بالاسلام ليس له شبيه فيما سبق من أنظمة الحكم، سواء لدى اليونانيين ، او الرومانيين أو الفارسيين الساسانيين ، وقد اختلفت الخلافة شكلا ومعنى بانتقالها من يد الخلفاء الراشدين ، الى الامويين، فالى العباسيين الخ ... فالموضوع مهم كما نرى لا من الوجهة التشريعية الدستورية ولا من الوجهة التاريخية ، ويدل على هذه الاهمية ان الموضوع شغل كبار علماء المسلمين في عصرنا وخاصة محمد عبده ورشيد رضا الذي الف فيه كتابا معروفا .

وهنالك موضوع آخر يدخل في تاريخ الفكر الاسلامي وهو « رد فعل الغزالي على الفلاسفة » ، وموقف الغزالي معروف بفضل كتابه « تهافت الفلاسفة » لكنه غير مدروس بالصورة المرضية ، وقد اختلف الناس في الغزالي سواء في الماضي او في الحاضر ، فمنهم من يجعله أعظم مفكر وفيلسوف اسلامي ، ومنهم من يتهمه بالرجعية والجمود ويرميه بكونه استغل نفوذه الروحي للقضاء على الفلسفة الاسلامية ، ولعل موقف الغزالي لم يكن يتسم بهذه الصلابة والتطرف الا بالنسبة لمن لهم نظرة سطحية . ولعل تفكيره ينطوي على اتجاهات طريفة من شأنها أن تتفتح على آفاق غير معروفة ، ولعل نقده للفلسفة من شأنه أن يدفع بهذه الاخيرة الى البحث عن نفسها وفي نفسها . ومهما يكن ، فالجدير بالذكر هو هذه الاهمية التي لا زال الغزالي يتمتع بها في الدراسات الجامعية بأروبا .

ومن المواضيع التي اشتغلت بها السوربون اثناء هذه السنة « الرحالون العرب فيما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري » ومساهمة العرب بصورة فعالة في اكتشاف العالم ووصف البلدان والمجتمعات شيء معروف ومسلم به ، لكن بقيت هنالك الدراسة التفصيلية لهذه المساهمة لمعرفة اهميتها ووزنها بالميزان العلمي الصحيح ، ورحالون من نوع المقدسي وابن جبير جديرون بكل تقدير لانهم ضموا الى الصفات العلمية الاصيلة صفات ادبية جعلت من رحلاتهم آثارا شيقة ممتعة . ومن خلال ما كتبوا نستطيع ان نأخذ صورا طريفة حية عن العالم الاسلامي والمناخ الاجتماعي والانساني الذي كان يعيش فيه معاصروهم ، وهذا هو الموضوع الذي عالجه الاستاذ بلاشير المعروف كمؤرخ لامع للادب العربي ، وقد اشتغل كثيرا خلال حياته الجامعية بموضوع الجغرافيين العرب .

وقد نال الادب البحت حظه من الاهتمام لدى اساتذة الجامعة الباريسية ، فالاستاذ بيلا المعروف باطروحته الحاسمة عن الجاحظ وعصره انساق هذه السنة في دراسة الادب العربي باسبانيا ، وقد تميزت هذه الدراسة بكونها انبنت قبل كل شيء على تحديد مفهوم كلمة الادب عند الكتاب العرب الاقدمين، ومن دون شك أن المفهوم القديم يختلف كثيرا عن المفهوم الحديث ، فالادب يعني اليوم كل كتابة لها قيمة فنية ، مهما كان موضوعها وهدفها ، ومهما كانت الافكار التي تدافع عنها وليس مطلوبا من الاديب ان يكون مرشدا او مربيا في عصرنا . ويكفي أن يثير انتباهنا ويجذبنا بكيفية او باخرى . لكن مفهوم الادب في القديم كان يختص اهدافا اخلاقية وسلوكية الى جانب الالتزامات الفنية ، فالاديب بهذا المعنى كان فنيا ومؤدبا في آن واحد ، فهو يدعونا وهذا ، مثلا ، هو ما توخاه ابن عبد ربه الاندلسي حينما بطريقة مشوقة ومغرية الى اكتساب الاخلاق الحسنة ، كتب « العقد الفريد » وهو في ذلك مدين بالشيء الكثير لسلفه ابن قتيبة . ومن هذا القبيل كتاب الامالي لابي علي القالي ، وان كانت الرغبة في تلقين اللغة ابين فيه ، وكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر ، وكتاب المظفري

للمظفر ابن الافطس الامير المعروف في عهد ملوك الطوائف ، ويقال ان كتابه هذا يشتمل على خمسين مجلدا متجاوزا بذلك ضعف حجم كتاب الاغاني للاصبهاني وكذلك كتاب « ريحان الالباب » لابن المواعيني الذي لا زال هو ايضا مخطوطا (نسخة ، بمدريد ، واخرى بليدن) . وكتاب الف باء ليوسف ابن الشيخ البلوي الذي الفه لولده على شكل موسوعة يخص فيها المعارف التي كانت موجودة في زمانه .

وكل هذه كتب ادب بالمفهوم القديم الذي وضحناه والذي يهدف الى خلق الانسان المهذب ، الانسان الذي تكاملت فيه خصال العلم والعمل واستندت على مبادىء قويمة . ولعل هذا المفهوم قريب مما يسمى عند الفرنسيين بالانسانيات Les humanités او L'humanisme بحيث ان الادب كما كان يتصوره الجاحظ او ابن قتيبة او ابن عبد ربه أو غيرهم كان له هدف انساني قبل كل شيء يرمي الى تطهير الروح وتصفية الاخلاق ، كما يرمي الى خدمة الانسان في حياته اليومية وفي علاقاته مع الناس بمختلف طبقاتهم ومشاربهم . فاذا عدنا الى كتاب ابن عبد ربه نجده مبوبا بطريقة عملية يستطيع ان يرتب فيها الاخبار والاشعار والحكم والنصائح حسب الموضوعات التي يحتاج اليها الانسان عادة . فهنالك باب يتعلق بالسلطان وآخر بالحرب وثالث بالكرم ورابع بالوفود وخامس بمخاطبة الملوك الخ ... فالكتاب يضم الى جانب الاصول الاخلاقية كما تهتم بها الفلسفة ، مجموعة من الفوائد المتعلقة باللباقة والمجاملة والسلوك الاجتماعي واكتساب عطف الكبراء والنجاح في المساعي الشخصية الخ ...

وهنالك دروس متعددة لا استطيع ان اقف عندها اجتنابا للتطويل مثل المحاضرات التي يقدمها الاستاذ كولان في الاصول اللغوية ، ودروس الاستاذ البستاني عن ابن الرومي ، والاستاذ عركون عن الغزالي ، والدروس الخاصة بشرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري

هذه نظرة خاطفة وناقصة على برنامج الدراسات في السوربون ولم اذكر فيها الدروس المتعلقة بتاريخ الاسلام . كما اني تركت جانبا دروس الكوليج دي فرانس والمدرسة العملية للدراسات العليا ومدرسة اللغات الشرقية ومتحف الانسان الخ ... فهنالك برامج متسعة في ابوابها واتجاهاتها وفيها جزء كبير يتعلق بالعالم الاسلامي المعاصر . وربما عدت اليه في فرصة أخرى ، وانما الذي يجب ان يستثير انتباهنا الان هو هذا الاهتمام الذي لا زالت تحظى به الدراسات الاسلامية في مختلف ميادينها والذي يظهر انه في حالة تزايد مطرد . فماذا يعني ذلك بالنسبة الينا نحن ؟

انه يلفت نظرنا مرة أخرى الى القيمة الحقيقية التي تنطوي عليها الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي بالنسبة للاروبيين ، ويبين لنا في نفس الوقت ان دراسة تلك الثقافة وذلك التراث في تجدد مستمر ، تجدد يستمد قوته من مصدرين : التقدم في اكتشاف التراث والاطلاع عليه عن كثب ، والتقدم في مناهج البحث والتحليل ، كما يدل على ذلك الفرق بين الطبعتين الاولى والثانية من دائرة المعارف الاسلامية .

وهذا يتنافى مع الاعتقاد الذي يسود لدى كثير من المثقفين عندنا الذين يحملون الاقتناع باننا نعرف كل شيء الان عن الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي ، واننا بعد الدراسات التي قام بها اساتذة الجيل السابق امثال طه حسين واحمد امين والعقاد الخ ... اصبحنا في غنى عن العودة الى تلك المواضيع التي قيلت فيها الكلمة الاخيرة .

ولكن العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة ، انه مرقاة لا تنتهي ادراجها ، ولذلك كان من الواجب علينا أن نعود الى تلك المواضيع التي يسود لدينا الاعتقاد اننا نعرفها والتي اطبقنا عليها الغطاء ظنا منا اننا نملك سرها بصورة نهائية ، وهذا ما فهمه الباحثون الاروبيون فاستطاعوا ان يقيموا الدليل على ان العودة للمواضيع المطروقة قد تاتي باعظم الفائدة ، وفي بعض الكتب والدراسات التي صدرت في السنين الاخيرة اصدق برهان على ما اقول .

سلا : محمد أزنيبر

الفرق الباقية على خلافها لجوهر الإسلام

للأستاذ إحسان النمر

الاحزاب السياسية . المتربصون بالاسلام يستغلون الخلاف . الضغط والتعقيب يوجد الجمعيات السرية . الباطنية والروافض وما تفرع عنهم ، وسر بقائهم واستغلالهم . الاسماعيلية . النصيرية . الدروز . اليزيدية . الاباضية . البابية والبهائية . القاديانية . وكيفية اعادتهم الى حظيرة الاسلام الصحيح .

الاحزاب السياسية الاولى :

بعد تحكيم يوم صفين انقسمت الجيوش الاسلامية ثلاثة احزاب : شيعة علي ، الخارجون على علي ، جماعة معاوية . وظل شيعة علي على ولائهم لذريته مع انقسامهم الى فرق وظل الخوارج على عنادهم ثم انقسموا الى فرق . أما جماعة معاوية فقد تبلوروا الى اهل السنة والجماعة الذين ساروا يتمسكون بجوهر الاسلام وبمجموعه . وانما اختلف عنهم الشيعة والخوارج بأئمتهم وانطوائهم على انفسهم حتى فى العقيدة وجعل الامامة من صلب العقيدة الدينية بأدلة واهية .

المتربصون للاسلام يستغلون الخلافات الحزبية :

انضوى تحت راية الاسلام عناصر تضمر له الشر وهم اليهود والفرس والصابئة والسريان ممن كسدت بضاعتهم الفلسفية فما كادت تقع الفتنة حتى استغلوها بدقة وسهر وعمل متواصل وكلما أريد رتقها فتقوها . فالتحكيم الذي يعتبر دائما وسيلة لحسم النزاع اعتبروه كفرا وقابل بعضهم هذا بتطرف فاعلنوا تاليه علي فأمر بحرقهم . ولما اعتدل بعض ائمة آل البيت كزيد بن علي وقال بتسويغ خلافة ابي بكر وعمر رفضوا قوله وتركوه فاطلق عليهم لقب الروافض وقد طوردوا من السنة والشيعة (1) انفسهم فانطووا على انفسهم واتخذوا التقية والسر فى سلوكهم فلقبوا بالباطنية فلهذا ولاعتقادهم بتسلسل ائمة الباطن يبتدعون تأويلا لباطن القرآن والحديث وتركوا الظاهر واولوا كما يشاؤون وقد توسعوا الى حد ابعدهم عن جوهر الاسلام بالكلية مما حمل فقهاء السنة والشيعة المعتدلين على الافتاء بكفرهم .

---

(1) الجعفرية والزيدية لهم عقائد وتشريع جوهري اسلامي ، وقد اصبح يدرس فى الازهر الشريف .

الروافض :

والذين رفضوا الاعتدال فى الموقف من خلافة الصاحبين لم يقفوا عند حد بل ساروا سيرا عدائيا فتطاولوا على الخليفتين ابي بكر وعمر ثم اتخذوا من ذلك وسيلة لمهاجمة من تلاهم واعتقدوا بامامة متسلسلة من ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة علي بن ابي طالب ورفضوا الاعتراف بأي خليفة سواهم واستباحوا الخروج عليهم ، ولما يجدوا مجالا فى قلب الممالك الاسلامية ذهبوا الى الاطراف فكونوا الامارات والدول التي اصبح لها شان كبير فى المشرق والمغرب ثم عظم شأنهم فزحفوا من الاطراف على الداخل فاستولوا على الممالك الاسلامية باكملها ، ثم انتفض السنيون وقلوبهم عن عروشهم فتناثر اشياعهم يتوارون ويعتصمون فى المعاقل الحصينة فاطلق عليهم القاب الاسماعيلية والدروز والنصيرية الذين استغلوا فى القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يفتكون بهم ويكيدون لهم حتى كانوا فى الازمنة الاخيرة خير عون للمستعمرين ، ولم يقتصر الامر على هذه الفرق بل ظهرت الى جانبهم فرق اخرى كالاباضية المنبثقة عن الخوارج واليزيدية المنتظرة ليزيد والبابية والقاديانية التي روجها المستعمرون مما يجب تفهمها وتفهم عقائدها واليك .

الاسماعيلية : (1)

نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق فهو السابع للامام علي كرم الله وجهه وهم شيعة متطرفون اخذوا من الصابئة ومن الفلاسفة واولوا كل شيء الى سبعة ومضاعفاتها ، فالايام سبعة والعوالم السماوية سبعة والرسل المشرعين سبعة وهم : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، والقائم (من الائمة) .

ويقررون ان عدد حروفهم من مضاعفات السبعة اي ثمانية وعشرين ، وان الاسس سبعة وهم : شيث وسام واسماعيل وهرون وشمعون وعلي ، واساس القائم الذي لا يمكن اذاعة اسمه حرصا على سرية المعتقدات .

وايضا مجموع حروفهم ثمانية وعشرون ، والقائم هذا يعتقدون بان الا له او جزء منه يحل فيه ويمكن ان يحدد التشريع او يزيده ، وعلى هذا الاساس ادعى سرا ، وقد نالتهم ضربات كثيرة على حسابها محفوظة الحاكم بامره الالوهية واستمر غيره يدعي هذه القدسية فى تاريخهم ، وهم يؤولون جميع الاوامر والنواهي تأويلا يخرجها بالكلية عن جوهرها نحو قولهم بتناسخ ارواح ائمتهم الى من يليهم ، وينتظرون بعض من ماتوا من ائمتهم وهم ينكرون صفات الله تعالى وانه لا تدركه العقول ولا تفهمه الالباب وان الجنة معناها مجازى وان لا خلود فى النار .

وينتشر الاسماعيليون فى اقطار عديدة وهي الهند وعمان ومسقط وزنجبار وايران والعراق وسوريا وافغانستان وقد استغلهم الانكليز ورفعوا قدر رئيسهم الملقب بأغاخان حتى انه تراس فى احد الادوار جميع مسلمي الهند ، وتكلم باسمهم وقال اغاخان السابق في مذكراته بانه يامر اتباعه بالتعاون مع الحكام ومسايرتهم وهذا ما يسمى بالتقية عندهم وعند امثالهم .

وهم يخالفون اهل السنة فى اعيادهم وصلاتهم وسائر امورهم ، وعندهم من الكبائر انتقاد لاي شخص من آل البيت او نسبة اي نقص اليه اذ هم فى نظرهم معصومون .

وهم يجمعون زكاة اموالهم ويرسلونها الى رئيسهم اغاخان ، وحين بلغ الخامسة والعشرين قدموا له وزنه من الفضة ، ولما بلغ الخمسين قدموا له وزنه من الذهب ، ولما بلغ الخامسة والسبعين قدموا له وزنه الماس فى صناديق من البلاستيك .

اما بخصوص المصحف فعندهم مصحف ولكنهم يؤلون فى التفسير المحكم والمتشابه على السواء كما يشاءون .

ولهم اذان مطول زادوا على الاذان المأثور نحو قولهم : « اشهد ان لا اله الا الله العالم القادر الخالق . واشهد ان محمدا رسول الله الناطق بالتنزيل والدليل الى اوضح السبيل واشهد ان عليا ولي الله ووصيه الناطق بحقائق التاويل والقائم من بعده بالحق المبين ونور الله المدل الى سواء السبيل .. » الى غير ذلك من الزيادات ثم بعد النهاية يضيف اضافات اخرى . ثم يحضرون البخور والطيب ويصلون بامامة اكبرهم ركعتين فى الصباح ومثلها فى المساء ، وهم اذا ذكر

---

(1) معلومات هذه الرسمية استقيتها من كتاب اربع رسائل اسماعيلية للاستاذ عارف تامر الاسماعيلي، ومن خطط الشام لكرد علي ، ومن تاريخ جودت باشا وغيرهم ، ومن ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين .

الامام علي سجدوا له ، اما من حيث الاخلاق فهم مثال الطاعة لائمتهم الى حد الموت مع الشجاعة التامة والكرم والبذل ، وكانوا يعرفون بالحشاشين وقد ضربوا امثلة خطيرة في الفداء . وعندهم مرشدون ممن بلغوا سن الاربعين فما فوق . اما من دونهم فهم رعاع جهلة .

النصيرية :

هم فرق باطنية ينسبون انفسهم الى نصير مولى امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ويلقبون انفسهم ايضا بالعلويين وهم يغالون بعلي كرم الله وجهه ، ويقولون انه لم يمت وانه يسكن السحاب ، فاذا مر بهم السحاب قالوا السلام عليك يا ابا الحسن ، ويقولون ان البرق ضحكه والرعد صوته ، ويقولون بالحلول ، فيقولون بالوهية هابيل ، ومنه حلت في شيت ثم انتقلت الى اسماعيل ثم الى موسى فعيسى فمحمد ، ثم الى علي الى ان التف بالحلة وصعد الى السماء . ويقولون ان ارواح ائمتهم (عقالهم) تصعد الى الكواكب ، ولذا فهم يسجدون للشمس حين الشروق وحين الغروب ويحترمون الكواكب وليس لهم جوامع ولا مساجد بل يجتمعون في بيوتهم ويعتقدون بالتقية اذ انهم يتظاهرون بالاسلام واذا اطلع احد على عقيدتهم قتلوه ، ويعتقدون بوجود الامام المتاله الى آخر الدوران ، وما حكاية سليمان مرشد مدعي الالوهية ببعيدة فقد شنق من عهد قريب . وهم يبيحون الخمور ولا غيرة عندهم ، وكذلك هم يؤولون القرآن حسب اهوائهم ، وهم كالاسماعيلية في تعظيم آل البيت ، وقد وقعت عداوات بينهم وبين الاسماعيلية الا ان الاغاخان السابق يقول في مذكراته بانهم من الاسماعيلية وانهم من المفروض فيهم ان يكونوا من اتباعه الا انهم خارجون . وهم يختلفون عن الاسماعيلية ، ويظن كثيرون انهم فريق واحد . وهم يسكنون في المناطق الجبلية وراء اللاذقية وطرابلس الشام وحماة ، وقد تحصنوا في هذه الجبال . وقد انتشروا في سوريا في هذه الايام ، وهم يتمسكون بعقيدتهم رغم الضربات الكثيرة التي نزلت بهم من السلاطين والملوك والقواد .

الدروز :

هم جمعية كونها الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله للقول بقوله فعظموه واكبروه وقد تغلب على دسائس ومكائد كانت جارية في عهده فشمخ وتعالى وصار يوقع « الحاكم بأمره » بدلا من الحاكم بأمر الله ، وكان له من اتباعه جواسيس قديرون يستطلعون احوال الناس في بيوتهم فيخبرهم بذلك ، فقالوا انه يعلم بالمغيبات ايضا فالصقوا به ادعاء الالوهية فتربصوا به فقتله مجهولون واخفوا امره وقالوا انه عرج الى السماء وبطش من بعده باتباعه الذين كانوا يعظمونه ويقولون بتعاليمه فتواروا واتخذوا سراديب يجتمعون بها ثم هاجروا الى جبل لبنان فجبل الدروز فاندس بينهم داعيان من دعاة الباطنية ، احدهما محمد بن اسماعيل الدرزي الذي شملهم اسمه ، والثاني حمزة بن علي بن احمد ، وقد لقنوهم عقيدة الاسماعيلية وصنف لهم درزي كتابا هو عقيدتهم ابان فيه فكرة تناسخ الارواح وهي ان روح آدم انتقلت الى شيت فشعيب فالى سليمان فالى المسيح فالى فيثاغورس الحكيم فالى محمد ، وان سلمان الفارسي هو همزة الوصل ، وان القرآن انما اوحى اليه وعنه اخذه محمد صلى الله عليه وسلم وعربه . وقد اولوا الاحكام فقرروا ان الصلاة هي الوفاء للاصدقاء ، وان الصوم هو صون اللسان فلا رمضان عندهم ولا عيد فطر ، ومن غرائب الاعتقاد تحريمهم اكل الملوخية لان الحاكم بأمره يكرهها ، وعندهم تفسير للقرآن لغزي لا يعرفه الا رؤساؤهم ويتكتمون فيه غاية التكتم ولهذا فهم طبقتان عقال وجهال ، والعقال يضعون العمائم ويطلقون اللحى ، وهم درجات ايضا يتراسهم شيخ العقل ، والباقون جهال لا يعرفون شيئا ، ولهم زوايا لاجتماع العقال ، لايدخلها غيرهم ، ويقيمون اذكارهم فيها مع الحراسة التامة من الخارج ، واذا تسرب الى احد معتقدهم قتلوه ، الى ان كبسهم ابراهيم باشا واستولى على بعض كتبهم .

وكذلك النساء عاقلات وجاهلات ، ويقولون للعاقلة جويده وللجاهلة غير جويدة .

وهم يختلفون عن النصيرية والاسماعيلية ، بان اخلاقهم عربية ، عندهم كرامة وعندهم غيرة ، ولكنهم في العقائد متقاربون . ان علي الاغاخان السابق يرى انهم اسماعيلية منشقون ، فهو يقول في مذكراته : « نجد الدروز في معقلهم ، جبل الدروز ، انهم في الحقيقة اسماعيليون ، لم يتبعوا اصلا افراد عائلتي في هجرتهم من مصر ، بل حافظوا على ذكرى جدي الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي في مصر واقاموا معتقداتهم على اسس شبيهة الى حد ما باسس الاسماعيلية السوريين الذين هم اتباعي في الوقت الحاضر » . وهم يحملون على الاديان الثلاثة الا انهم يتخذون التقية تجاه القوة فيظهرون المودة لكل دين حين الاجتماع باتباعه .

على انهم في المعاملات والاحوال الشخصية يسيرون بمقتضى الشريعة الاسلامية الا انهم لا

يجمعون بين امرأتين في الزواج ، وقد نفى الامير شكيب ارسلان عنهم دعوى الحلول الالهي ودافع عن تهمة كفرهم الا ان تكتمهم والغازهم في كتبهم أساءت اليهم ولا تزال . على ان في عاداتهم واتصالهم بالمسلمين ما يسهل التفاهم معهم ، وهم يتقربون لاهل السنة ويتشورون تدريجيا ، ولهم مواقف ضد الاستعمار اخلصوا فيها فقربوا من المسلمين .

الاباضية :

هم فرقة من الخوارج انفصلوا عنهم واتبعوا عبد الله بن أباض الحضرمي . وهم يسكنون في عمان وزنجبار والجبل الاخضر في برقة (ليبيا) . وهم معتدلون في عقيدتهم ، فهم يحترمون ابا بكر وعمر ويخطئون عثمان وعلي . قال ابن بطوطة في رحلته عن عاصمتهم نزوا « وهم اباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا اربعا فاذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ويثير كلاما يشبه الخطبة يرضى فيه عن ابي بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلي ، وهم اذا ارادوا ذكر علي رضي الله عنه كنوا عنه فقالوا ذكر عن الرجل ويرضون عن الشقي ابن ملجم ، ويقولون عنه العبد الصالح قاطع الفتنة » .

ويرون ان مرتكب الكبيرة كافر بنعمة الله. ويرون ان الخلافة عامة وليست مقيدة بقريش . ولهم راي انفردوا به فهم يقررون انه لا يجوز للمسلم ان يقوم بالواجب الاسلامي نحو مسلم لا يقوم هو به ، وان يعامل كعدو الى ان يتوب ويقوم بواجباته ، ولهم تشريعهم الذي منه اباحة اكل الحمر الاهلية ويقومون بواجباتهم الدينية بورع ، ولهم امام ينتخبونه حين الضرورة الملحة اذ عندهم ان الامامة سياسة لحاجات الوقت فاذا كان الناس بخير فلا حاجة الى امام . وهم في العهد الاخير يناوئون الاستعمار ويثورون باسم الامام ويرون انه صاحب الحق الشرعي في البلاد لانه ينتخب انتخابا ولا يعترفون بسلطانهم الوراثي ، ولقد كان لجوءهم لتلك المناطق النائية سر احتفاظهم بمذهبهم الا انهم ايضا كانوا يلزمون التقية حين تحكم البلاد دولة قوية كما كانت الحالة حين مر بهم ابن بطوطة ، وكان يسيطر على البلاد ملك هرمز السني .

ولكنهم بعد ذلك نهضوا مكونين دولة ذات اسطول قوي استطاعت رد الاوربيين وانجاد الساحل الافريقي الى ان تفوقوا عليهم واستعمروهم ، وقد هبوا اليوم يقارعون المستعمرين ويستنجدون العالم العربي فخرجوا من عزلتهم معلنين كراهيتهم لاسم خوارج واباضية .

اليزيديون :

نسبة ليزيد بن معاوية ، ويظهر ان بعض اتباع واشياع الامويين نزلوا في جبال الهكارية من بلاد الاكراد هربا من بطش العباسيين . وكان منهم رجل قدير اسمه عدي بن مسافر الاموي أظهر من الورع ما أحله محل القداسة في تلك المنطقة . الا انهم اندس بينهم من ادخلوا عليهم بعض العقائد الباطلة التي سادت في عهد الفرق فشمرتهم واختلطت عقائدهم فتمهد لهم بعض شيوخهم بالجنة دون عبادة وصوم واعتقدوا بالتناسخ والحلول وعبادة الشمس وتقديس الشيطان الذي يرمزون له بالطاووس فاذا شتم احد الناس على مسمعهم الشيطان او ابليس تشاجروا معه وقد يقتلونه. ورأيهم فيه انه امر بالسجود لغير سيده وانه هو سيد الموحدين ، وعلى هذا فهو يستحق على رأي شيوخهم الاحترام لا اللعن ولانه كان طاووس الملائكة رمزوا له بالطاووس .

وقد انتقلوا الى جبل سنجار غربي الموصل ايضا ولهم كتابان مقدسان وهما : (كتاب الجلوة) و (كتاب مصحف رش) وهما من وضع شيوخهم ، وفيهما طقوسهم ومعتقداتهم ، ولهم شيخ ولهم امير من ذرية الشيخ عدي يلقب بك ، ومقام الشيخ عدي هو مزارهم الذي يحجون اليه ، وهو في بلدة ليلش من بلاد الهكارية. وهم يقدسون جبل سنجار كجبل عرفات لاسباب يطول شرحها .

ومع كل هذا فان عندهم القرآن ويحفظون سورا منه ويحفظه شيوخهم لابنائهم ابقاء على العلم فيهم ، الا انهم يطمسون منه كل ما يتعلق بالشيطان وابليس وذلك بوضع شمع عليها زاعمين ان المسلمين زادوها في القرآن: وهذا يدل على انهم اسلام في الاصل وقد ضللهم من اندسوا بينهم حتى ان الشيخ تقي الدين بن تيمية يشهد الشيخ عدي بالصلاح ، وان طريقتهم سليمة ، وانما ضللهم من اندسوا بينهم وسيطروا عليهم من الباطنية الذين سيطروا على تلك الجبال فترى انها من معتقدات الاسماعيلية ، والغالب ان كتابي الجلوة ورش وضعا في ذلك العهد .

ولهم صلاة خاصة لا تشبه صلاة المسلمين ؛ وكذلك الصوم وعدد من الاعياد كذلك . وهم يسيرون في الزواج على تشريع خاص بهم . وكذلك في باقي الاحوال

الشخصية والمعاملات ، وهم يختنون صبيانهم كالمسلمين وفي نفس الوقت يعمدونهم كالنصارى ، ويعطلون يوم الجمعة كليا فيزورون احد المقامات مع الوليمة هناك .

وكذا هم حسب تشريعهم لهم محرمات كتحريم اكل الخص والملفوف والقرنابيط وبعض الخضر . ولا يدخلون حماما ولا مرحاضا لانها مساكن الشياطين فلا يدنسونهـا .

ويحرمون النظر الى وجه المرأة الغير يزيدية . ويحرمون البصق على الارض رو على وجه انسان ، كما يحرمون التلفظ باسم الشيطان او ما يقاربه تقديسـا لمقامه . الى غير ذلك من الآداب التشريعية .

وعددهم لا يبلغ الاربعين الفا حسب الاحصاءات الاخيرة ، لانهم حصل عليهم اضطهادات كثيرة فهدم قبر الشيخ عدي واحرق . وقد سبوهم ونهبوهم .

البابيـــة والبهائيـــة :

في سنة 1260 هـ اصيب التاجر علي محمد الشيرازي بمرض فجاء الى مقامات آل البيت رضي الله عنهم في كربلاء والنجف وغيرها ، وصار يجلس الى المجتهدين ثم سافر الى الحجاز فادى فريضة الحج . ولما عاد صار ينشر افكارا تخالف الاسلام ثم ادعى ان المهدي المنتظر قريب الظهور وانه بابه . وكان بعض المدلسين يترقب مثل هذا فاتبعوه ، وقد بلغوا ثمانية عشر ، فامتحنه المجتهدون وقرروا ان أقواله مخالفة للشرع فحبسته الحكومة اولا في قلعة ماكو في الشمال ونفوا بعض اتباعه خارج البلاد الى بغداد . واستمرت دعايته وقد كثر اتباعه فعقدوا مؤتمرا في صحراء بدشت أعلنوا فيه ما تآمروا عليه وهو أن الباب هو المهدي وان شريعته تنسخ الدين الاسلامي ، فثار عليهم المجتهدون وظهر ان لاتباعه ضلع في مقتل الشاه ناصر الدين ففتكت فيهم الحكومة الايرانية والشعب فقتلوا نحو (2 500) منهم ثم قتلوا الباب نفسه وهو الذي سموا بالبابية نسبة لدعواه .

وكان بين اتباعه شخص بارز اسمه ميرزا حسين علي قد لقبوه بهاء الله فادعى ان الباب اوصى له وانه قد استولى على كتبه وانه هو مظهر الله الاكمل وان جميع الرسل السابقين كانت قضاياهم ناقصة ولهذا فهو ينسخها ، وقد اصدر تشريعا يوحد الاديان الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلام . وكانت الدولة العثمانية قد نقلته من بغداد الى ادرنه ثم الى عكا، ونظرا لمناصرة روسيا له لم تتمكن من القضاء عليه وعلى بدعته بل اكتفت بأن أخذت عليه العهد بأن لا يدعو الى نحلته في بلادها فوجه دعايته الى اوربا وامريكا فانتشرت وصار له بضعة آلاف من الاتباع في تلك البلاد ، وقد سموا البهائية نسبة اليه ، والغي اسم البابية .

وقد أظهر البهائيون عددا من الكتب التي يدعون انها منزلة وموحى بها واهمها الايقان المخطوط بقلم الرحمن . والالواح المباركة .

وقد اعلنوا توحيد الاديان الثلاثة باعجاز القرآن ودعوا الى محكمة عالمية ولغة عالمية وفرضوا صلاة وصوما وحجا باساليب تخالف الاسلام فلاقت قبولا في أوربا وامريكا ونمت حتى بولغ بعدد اتباعها .

وصار اتباعه يقولون له يا ربنا . وقد فرض على اتباعه السلام والمسالمة والاحتراف فهم على جانب من الهدوء ولزوم الحرفة . وهم يدفعون خمسة في المائة من مكاسبهم الى ربهم . وهو ينفق بسخاء كيف يشاء .

القـاديـانيـــة :

نسبة لقاديان البلدة الصغيرة في بلاد الهند والتي ولد فيها غلام احمد برويز وهو من بيت تجارة شب ضعيفا فذهب الى زيارات مقامات آل البيت في العراق وقد جلس على حلقات المجتهدين هناك ثم سافر الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج ثم عاد الى بلاده ايران يظهر النسك والعبادة ، وكان الجو مملوءا بالمنازعات الدينية والمذهبية بسبب نشاط المبشرين المسيحيين ففاجأ الناس باخراج كتاب رد فيه على المبشرين وغيرهم فابتهج الناس به والتف كثيرون حوله واصبح له اتباع ومريدون وقد أغراه هذا الاقبال فأعلن انه المسيح الموعود ــ معلنا ان عيسى عليه السلام قد مات . واعلن انه خاتم النبيئين ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم المشرعين ، وصارت نشراته تنتشر بسرعة ظاهرها الاسلام وباطنها الالحاد . وقد ظاهرته حكومة الهند الانكليزية وانتقل دعاته الى بريطانيا ، وقد اوجدوا جريدة باسم اسلاميك رفيو تنشر عقائدهم ودعايتهم ، وقد قبل دعوته جماعة من الانكليز وابتنوا جامعا في حي ووكنج بلندن ، وقد عرفوا بجماعة الاحمدية ، وقد ترجموا القرآن الى اللغتين الانكليزية والاوردوية ، وقد الفوا عددا من الكتب التي تشرح دعوتهم باللغتين ايضا وقد اوجدوا لهم دعاة في العراق وسوريا وفلسطين ، وكان من دعايتهم ان تفسير القرآن يمكن ان يكون غير

مقيد بل كل عهد بما يناسبه ، وان كثيرا من الاحكـام الاسلامية الاصولية يمكن ان تزول وتتغير .

وقرر غلام‌احمد أن الطاعة واجبة للحكومة المركزية ايـا كانـت .

وقرر ايضا ان الجنة والنار ليسا مكانين ، انما هما كيفيات للانسان من السعادة والشقاء ، وقرر ايضا ان القضاء والقدر مكيدة مجوسية .

وهم يقيمون الصلاة ولكن بأساليب تخالف اهـل السنة والجماعة ، ويدسون فى دعوتهم افكارا الحادية فاضطر سائر المسلمين الى التبـرؤ منهـم والـرد على دعايتهم الا ان الانكليز استقلوا دعوتهم استغلالا دقيقا .

وبما ان اساليبهم فى مظهرها اسلامية تتدفق غيرة وحسرة لما اصاب الاسلام والمسلمين ، وهي مغريـة لمن لا يعرف طرق الدس الالحادية . ولهـذا كانـت مقاومتهم على جانب الصعوبة لا سيما بعد انتشارها فى بريطانيا وامريكا حيث نجحت بعض النجاح وهم اظهروا الاسلام بهذه الصروة المشوهة .

« كلمة ختامية توجيهية »

هذه هي الفرق الباقية فى الاسلام وجميعها نشطة تعمل وينضم اليهم الحاد وجفـاء خريجـي المـدارس التبشيرية مما يحتاج الى تضافر المسلمين وعملهم لنشر عقائد الدين الاسلامي الصحيحة بأساليب تتفق وروح العصر مع ايجاد تيار اسلامي عنيف يتغلب على التيار الغربي ويرجعه بل ويبدده فى ارضه ويطهر ارض الاسلام من الضلالات والمفاسد التي جلبتها حضارة الغرب .

اما بالنسبة الى الفرق المذكورة فى هذه الرسـالـة فينبغي ان نفتح لها صدورنا وان نقلب الاية فلا نصمهم بالكفر والالحاد حتى ولا بالبدع بل يجـب ان نعتبرهـم مسلمين نناقشهم ونباحثهـم فى الشـؤون الاسلاميـة مستشهدين بالآيات القرآنية والاحاديث النبويـة وان نحبب اليهم الرجوع الى هذه المراجع التي لا ينكرونها . وان يجبروا ادبيا او قسـريـا على التعليـم الابتدائـي الاسلامي فى المدارس . وان نضغط عليهم ادبيا لدخول المساجد وشهود المحاضرات فى النوادي والمجتمعـات ، وان نصاحبهم ولا نظهـر لهم اي نفـور ولا نمكنهـم من الانطواء على بعضهم لان هذه الناحية اي الانطـواء على طائفتهم هي التي مكنت المدلسين من تضليلهم وافساد عقيدتهم . والله الموفق للصواب .

نابلس ـ الاردن : احسان النمر

فـي الـبـئـر

قيل لأبى العيناء : هـل بقـى في دهرنا من يلقى ؟ قال : نعم في البئـر ! .



للأستاذ: الراجي التهامي الهاشمي

(II)

لهجة قبيلة خثعم (1)

تنسب هذه القبيلة الى قطحان وهي كهلانيـــة . كانو يسكنون قديما فى سروات اليمن والحجاز . وكان لهم مكان مقدس يعبــدون فيه صنمهـم الذي كانـوا يسمونه بذي الخلصة ، وكانوا يظاهـرون بهذا المكان مكة المكرمة الى درجة انهم اطلقوا عليـه فى حقبـة من تاريخهم « الكعبة اليمنية » .

تتفرع خثعم عن اربع قبائل هي : كـود وناهس واكلب وشهران . ومعنى خثعم الضبع (2) شاركـت هذه القبيلة فى القرآن الكريم بسبعة الفاظ وزعت فيه حسب البيان الآتي :

1) مفردة : « تسيمون » فى سورة النحل الاية 10 التي يقول فيه الله تبارك وتعالى : « هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون» ومعناها بلغة خثعم « ترعون » واعتقد ان الاصل القديم الذي انحدرت منه هذه المفردة هو « السوم » الـذي اصاب شرحه العلامة الامام ابو القاسـم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني حين قال:(3) «السوم اصله الذهاب فى ابتغاء الشيء ، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء » .

ولقد تفرع من هذه المادة صيغ كثيرة موجـودة فى القرآن الكريم كـ «الخيل المسومة» فى الآية 14 من سورة آل عمران . و « مسومة عند ربك » فى هود والذاريات.

جاء فى الصحاح (4) « والسوام والسائم بمعنـى وهو المال الراعـي » .

2) كلمة « شططا » فى الاية 14 من سورة الكهف التي جاء فيها : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالـوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقـد قلنا اذا شططا » ومعناها بلغـة خثعـم كـذبـا .

ولقد وردت ايضا بهذا المعنى فى سورة الجن الاية 4 قال تعالى : « وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا » والاصل فى ذلك كما جاء عند المحققين (5) الافراط فـي البعد والشطط عموما : مجاوزة القدر فى كل شيء وبـه ورد الحديث الشريف « لها مهـر مثلهـا لا وكـس ولا شطط » .

3) كلمة : « منساته » فى سورة سبأ الاية 14 التي جاء فيها : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته ، فلما خر تبينت الجن أن لو

---

1) الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الثاني صفحـة 344 والمراجع التي ينص عليها اسفل هذه الصفحة .
2) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب صفحة 194 من الجزء الثالث الطبعة الثالثة .
3) المفـردات فى غريب القرآن صفحـة 250
4) صفحـة 1955 الجـزء الخامس
5) وعلى راسهم الراغب الاصفهاني فى المصدر السابق صفحـة 260

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » ومعناها بلغة خثعم العصا . وهو بهذا الاستعمال ذاته فى لهجتي حضرموت وانمار .

وسميت العصا منسأة « لانه يطرد بها ويؤخر(6) » ويقول الزمخشري انها « تقرا بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس » ولكنه لم يشر الى من يقراها على هذا الشكل . وبيان قراءتها فيما علمت كما يلي :

ا ــ **قراءة ابن مسعود :** منساته بكسر الميم والتاء مع عدم تخفيف الهمزة ومن ساته مع جعل من حرف جر وتاء مكسورة وعدم تخفيف الهمزة (7) ويشرح الزمخشري هذا الوجه الاخير فيقول « ومن ساته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان (8) »

ب ــ **قراءة ابي بن كعب :** منساته يوافق فى ذلك قراءة ابن مسعود الاولى، منسته بحذف الهمزة تماما(9)

ج ــ **قراءة بن جبير :** منسأته ومن ساته يوافق فى ذلك قراءة ابن مسعود تماما .

ومن هذه القراءات تتضح لنا غرابتها ، وتظهر غرابتها اكثر فى القراءة « من ساته » التي يقول عنها ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتابه « املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن : (10) » وقريء فى الشاذ « من ساته » بكسر التاء على ان « من » حرف جر ؛ وقد قيل غلط قارئها » ويزيد العكبري رادا على ابن جني فيقول : « وقال ابن جني سمت العصا ساة لانها تسوء ، فهي فلة والعين محذوفة وفيها بعد . »

4) مفردة « واق » فى قوله تعالى : « اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد قوة وءاثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » ومعناها مانع بلغة خثعم . وهذه المفردة موجودة فى الآية 21 من سورة غافر . ولقد كررها الحق سبحانه وتعالى بنفس الصيغة مرتين فى سورة الرعد فى الايتين 34 و 38 .

5) كلمة « مريج » الموجودة فى الاية 5 من سورة ق التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج » ومعناها بلغة خثعم مستتر .

ومعلوم ان اصل مرج « الخلط والمروج الاختلاط، يقال مرج امرهم اختلط ومرج الخاتم فى اصبعي فهو مارج (11) » وهو اصل مستمد ، كما لا يخفى ، من معناه فى لغة خثعم .

6) مفردة « صغت » الموجودة فى الاية 4 من سورة التحريم التي جاء فيها : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير » ومعناها بلهجة هذه القبيلة « مالت » وهي موجودة بنفس المعنى فى قوله تعالى : « ولتصغى اليه افئدة الذين لايومنون بالاخرة (12) » اي يميلون باسماعهم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه خلاف اما الجوهري (13) فيجعله من باب عدا ورضي ليس غير، واما المختار فيقول : صغا : مال ، وبابه عدا وسما ، ورمى ، وصدى .

7) كلمة « سجرت (14) » «واذا البحار سجرت » كما وردت بنفس المعنى فى قوله تعالى : « فى الحميم ثم فى النار يسجرون (15) » وفى قوله : « والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع (16) » ومعناها بلغة خثعم جمعت .

---

6) الكشاف الجزء الثالث صفحة 254
7) صفحة 76 –
8) الكشاف الجزء الثالث صفحة 254
9) Arthur Jeffery صفحة 157
10) صفحة 196 من الجزء الثاني
11) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني صفحة 465
12) الانعام الاية : 113
13) الصحاح ج 6 صفحة 2400
14) سورة التكوير الاية 81
15) سورة غافر الاية 72
16) سورة الطور الاية 6

القبيلة الحادية عشرة « مذحج »

اتفـق الجمـيـع اصحاب المطولات اللغويـة والجغرافيون والمؤرخون والنسابون على ان مسكـن مذحج الاصلي هو اليمن (17).

اما وزنها فعلى مسجـد (18) واكد سيبويـه ان الميم من اصل الكلمة، ومنهم من راى ان دالها غيـر معجـم.

اما سبب تسمية هذه القبيلة بمذحج فالمشهور عند العارفين بالانساب ان جدهم الاول مالك بن ادد بن زيـد ازداد على اكمة كانت تعرف بمذحـج فسمـي باسمهـا.

ويظهر ان خلقا كبيرا منهم استوطن فى عصـر قديم حضرمـوت ويقـول المؤرخـون ان تلبيتهـم في الجاهلية اذا حجوا، كانت: « لبيك رب الشعـرى، ورب اللات والعـزى ».

وصنمهم المشهور هو يغوث المذكور، مع اصنام جاهلية اخرى فى الآية 23 من سورة نـوح: « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسـرا ».

ويذكر بعض المفسرين ان يغوث كان على صورة اسد، ويظهر ان عبادته بدات من زمن نـوح، وبقي معبودا حتى ظهور الاسلام.

ومن الد اعداء هذه القبيلة ابناء عامر بن صعصعة الذين حاربوها محاربة لا هوادة فيهـا وقت ظهـور الاسـلام.

ولقد انتقل خلق كبير منهم فى العهود الاسلاميـة الاولى الى البصرة حيث كان لهم فيها النفوذ القوي.

شاركت هذه القبيلة فى القـرآن الكريم بستـة الفاظ وزعت فيه على الشكل الآتـي:

1 ــ مفردة: « رفث » الموجودة فى الآيـة 187 من سورة البقرة. جاء فيها: « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهـن، علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفـا عنكم فالان باشروهن، وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض مـن الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل » الآية.

والرفث هو اللفظ الوحيد المستعمـل فى القرآن الكريم الدال على القبح فى هذا المعنى، وقد اتفق على هذا عدد كبير من المفسرين (19) وبينوا ان الحـق سبحانه وتعالى استعمل لهذا المعنى فى آيات اخـرى كثيرة الفاظا مختارة كـ: « أفضى بعضكم الى بعض » (الآية 21 من سورة النساء) و « فلمـا تغشاهـا » (الآية 189 الاعراف) و « باشروهن » (الآية 187 من سورة البقرة) و « او لامستم النساء » (الآيـة 43 النساء) و « دخلتم بهن » (الآية 23 النساء) و « فأتوا حرثكـم » (الآيـة 323 البقرة) و « من قبـل ان تمسوهن » (الآية 227 البقرة) و « فما استمتعتـم بهـن » (24 النسـاء) و « لا تقربوهـن » (222 البقـرة).

واعتقد ان الحق سبحانه وتعالى استعمل هـذا اللفظ الخشن: اللفظ الدال على القبح، استهجانا لهم لما وجد منهم قبل الاباحة (20)، وقد وردت هـذه المفردة مرة اخرى فى السورة نفسهـا الآيـة 197. ومعناها بلغـة مذحـج: جمـاع.

2 ــ كلمـة: « مقيتـا » الكائنة فى سورة النساء الآية 80 التي يقول فيها سبحانه وتعالى: « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكـان الله على كـل شيء مقيتـا » ومعناها بلغة مذحج مقتدرا. وقد اعطاهـا الزمخشري معاني اخرى (21) هي شهيد وحفيظ (22) واضـاف وقيل مقتـدرا ».

17) الصحاح ج 1 صفحة 340، المنجد فى اللغة صفحة 489، الاعلام الجزء الثامن صفحة 80.

18) باتفاق جميع الباحثين الا لويس معلوف الذي ضبطها بالفتح وهو خطا شنيع، اما ابن خلكـان فقـد ضبطهـا بالضم فى الوفيـات.

19) ومن بينهم الراغب الاصبهاني الذي قال فى كتابه المفردات فى غريب القرآن: « الرفث كلام متضمن لمـا يستقبح ذكره من ذكر الجمـاع ودواعيـه » صفحـة 199.

20) الكشاف الجزء الاول صفحة 115.

21) الكشاف الجزء الاول صفحة 286

22) وقد وردت نفس هذه المعاني فى كتاب « المفردات فى غريب القرآن » لابي القاسم الحسين بن محمـد الراغب الاصبهاني صفحة 414.

ولا بد ان اشير الى ان هذه اللفظة لم ترد الا مرة واحـدة في القــرآن .

3 ـ لفظـة « ظاهـر » الآية 33 مـــن سورة الرعد التي جاء فيها : « افمن هو قائم على كـل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونـه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما لـه من هاد » ومعناها بلغة مذحج « كـاذب » والملاحظ ان الراغب الاصفهاني اغفل عن هذه اللفظة فلم يشــر اليها في كتابه : « المفردات في غريب القرآن » .

4 ـ كلمـة : « وصيـد » الموجودة في الآية 18 من سورة الكهف التي جاء فيها : « وتحسبهم ايقاظـــا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهـم فرارا ولملئت منهم رعبا » ومعنى الوصيد بلغة مذحج الفنــاء . وذهب كثير من المفسرين (23) أن معناهـا المقفلة وعززوا قولهم بالآية : « عليهم نار موصدة » .

5 ـ مفـردة : « كبت » الكائنة في الآيـة 5 من سورة المجادلة التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عــذاب مهيـــن » .

ومعناها بهذه اللغـة « لعـن » ومن نزلت عليـه لعنة الله فهو هالك لا محالة . وقال الراغب الاصفهاني: « الكبت : الرد بعنف وتذليل » وعزز تفسيره بقولـه تعالى : « ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خـائبيـــن » (24) .

6 ـ كلمـة : «الخرطوم » اعتقد عدد كبير من المفسرين والمهتمين بلغة القرآن ان هذه اللفظة من لغة مذحج (25) وليس ببعيد ان تكون هذه المفردة ظهــرت اول ما ظهرت في مذحــج بعد ان تسربت اليهـا مـن اللغة الآرامية او لعلها ثبتت وانتشرت في هذه القبيلة اكثر مما ثبتت وانتشرت في القبائل العربية الاخرى ، الامر الذي جعل هؤلاء المهتمين يحسبونها مذحجيـة ، وهــي في الآراميــة ܚܪܛܘܡܐ « Hartoûmo » بمعنـــى الانـــف (26) .

وتوجد هذه المفردة في الآية 16 من سورة القلـم التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « سنسمه على الخرطوم » وفي كلمة الخرطوم ما فيها من الاستخفاف والاستهانـة بالكافــر المجــرم .

اكاديــر ـ الراجي التهامي الهاشمي

23) منهم الراغب الاصفهاني « مفــردات غريب القرآن صفحة 525 » والزمخشري (الكشاف ج 11 صفحـــة 383) وغيرهما .
24) نفس المصدر اعـلاه صفحة 420 .
25) ومن بينهم ابو القاسم ابن ســلام .
26) غرائب اللغــة العربيــة صفحـة 180 .

تقويم اللسانين مستقيم
وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 4 -

16 ـ **الحياة السياسية ، والحياة الثقافية ، والحياة الاقتصادية** ، وما اشبه ذلك من العبارات المأخوذة من اللغات الاوربية بعد ترجمتها ترجمة فاسدة قولهم : الحياة السياسية ، والحياة الفكرية ، والحياة الاقتصادية ، والحياة الزوجية ، فيكون للشخص الواحد انواع من الحياة ، والحياة في كلام العرب : واحدة ، وهي نقيض الموت ، كما في لسان العرب والقاموس وغيرهما ، وتستعمل في المجاز على النحو الذي ذكره الراغب في غريب القرآن حيث قال:

الحياة تستعمل على اوجه ، الاول للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان ، ومنه قيل نبات حي قال عز وجل (اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها) وقال تعالى (فأحيينا به بلدة ميتا) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .

الثانية للقوة الحساسة ، وبه سمي الحيوان حيوانا ، قال عز وجل (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) وقوله تعالى (الم نجعل الارض كفاتا احياء واموانا) وقوله تعالى (ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير) فقوله : ان الذي احياها ، اشارة الى القوة النامية . وقوله : لمحي الموتى ، اشارة الى القوة الحساسة .

الثالثة للقوة العاملة العاقلة كقوله تعالى : (اومن كان ميتا فاحييناه) وقول الشاعر :

وقد ناديت لو اسمعت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

والرابعة عبارة عن ارتفاع الغم ، وبهذا النظر قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

وعلى هذا قوله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم) اي هم متلذذون لما روي في الاخبار الكثيرة في ارواح الشهداء

والخامسة : الحياة الاخروية الابدية ، وذلك يتوصل اليه بالحياة التي هي العقل والعلم قال الله تعالى (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وقوله (ياليتني قدمت لحياتي) يعني بها الحياة الاخروية الدائمة .

والسادسة : الحياة التي يوصف بها الباري ، فانه اذا قيل فيه تعالى : هو حي ، فمعناه : لا يصح عليه الموت ، وليس ذلك الا لله عز وجل .

والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان : الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، قال عز وجل (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا) وقال عز وجل (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) وقال تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اي الاعراض الدنيوية ، وقال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها) وقوله تعالى (ولتجدنهم احرص الناس على حياة) اي حياة الدنيا .

وقوله عز وجل : (واذ قال ابراهيم : رب ارني كيف تحيي الموتى) كان يطلب ان يريه الحياة الاخروية

المرأة عن شوائب الآفاق الدنيوية . وقوله عز وجل (ولكم في القصاص حياة) أي يرتدع بالقصاص من يريد الاقدام على القتل ، فيكون في ذلك حياة الناس . وقال عز وجل (ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) اي من نجاها من الهلاك . وعلى هذا يكون قوله مخبرا عن ابراهيم (ربي الذي يحي ويميت ، قال : انا احي واميت) اي اعفو فيكون احياء . ا هـ

فالحياة في اللغة نقيض الموت قال تعالى في سورة الملك (2 الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) قال البيضاوي : قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره ، وقدم الموت لقوله (وكنتم امواتا فأحياكم . اهـ

وقال تعالى في سورة النجم (44 وانه هو امات واحيا) ومقابلة الموت بالحياة في الكتاب العزيز جاءت في مواضع كثيرة .

ومن الاستعمال الفاسد قولهم : فلان اعتزل الحياة السياسية . يريدون بذلك ، اعتزل السياسة ، فيقحمون لفظ الحياة تقليدا للغات الاجنبية ، وليس في اقحامه فائدة ، ولكنه يخدش وجه البلاغة العربية ويمسخها . والحاصل ان الانسان ليس له الا حياة واحدة ، متى زالت مات ، فيجب على الاديب ان ينزه كلامه من ذلك الاستعمال ، ولا يستعمل لفظ الحياة الا في الموضع المناسب له كما جاء في كتاب الله ، وفي لسان العرب ، سواء اراد الحقيقة او المجاز .

ايضاح لكلام الراغب

قوله (اومن كان ميتا) قال البيضاوي : مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى ، وانقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء ، فيميز بين الحق والباطل ، والمحق والمبطل . ا هـ

اقول : شبه الله الضالين الذين لايهتدون الى الحق ، ولا يتمسكون به بالاموات . واهل الهدى والاستقامة بالاحياء . فالمراد بالقوة العاملة العاقلة في كلام الراغب التي تعمل عملا صالحا ، وتعقل الحق وتميزه من الباطل .

قوله (وقد ناديت) البيت : يروى بعده :

ولو نارا نفخت بها اضاءت
ولكن انت تنفخ في رماد

شبه الشاعر من يدعى الى النجدة وعمل الخير والاحسان ولا يستجيب لذلك بالميت ، فنفى عنه الحياة . وشبهه في البيت الثاني بالرماد الذي لم يبق فيه شيء من النار . وشبه من يدعوه الى فعل الخير والاحسان بمن ينفخ في رماد ، راجيا ان يوقد منه نارا. ومثل ذلك قولهم : فلان يضرب في حديد بارد ، قال الشاعر يهجو رجلا اسمه سعيد ، ويصفه بالبخل :

هيهات تضرب في حديد بارد
ان كنت تطمع في نوال سعيد

والصواب ان يقال : الشؤون الاقتصادية ، والشؤون السياسية ، والشؤون المنزلية ، والشؤون الزوجية ، الخ . ويقال : اعتزل التمثيل ، بدلا من قولهم : اعتزل الحياة التمثيلية ، وهجر الرياضة البدنية ، بدلا من قولهم : اعتزل الحياة الرياضية .

17 ـ استعمالهم الامكانيات بمعنى الطاقة والقدرة او الامكان ، وهذا اللفظ الدخيل ترجمة فاسدة للكلمة الاجنبية (Possibilités) ولا حاجة بهم الى هذا التعبير المستعار الركيك ، فان فنون القول في لغة الضاد كثيرة طيبة لا ضيق فيها ، فبدل ان يقول الشخص : ليس عندي امكانيات للاقدام على هذا العمل ، يسعه ان يقول : لا استطيعه ، لا طاقة لي به ، لا يمكنني ، لا سبيل اليه ، الى غير ذلك من الكلمات الطيبة العربية الخالصة الاصيلة ، فان هذا المعنى موجود منذ وجد العرب والعجم ، وفي لغتهم عبارات تفي به على احسن وجه ، فما بالنا نترك جواهرنا مهملة ، ونستعير احجار الاجانب ، فمتى نعيد للغتنا شبابها واصالتها وخلوصها ، ان بقينا نتكفف الاعجميين ، ونعرض عن كنوزنا وتراثنا ؟

قال ابن منظور في اللسان : قال ابو منصور : ويقال : امكنني الامر يمكنني فهو ممكن ، ولا يقال : انا امكنه ، بمعنى استطيعه ، ويقال : لا يمكنك الصعود الى هذا الجبل ، ولا يقال : انت تمكن الصعود اليه . اهـ

اقول : ومن كتاب هذا الزمان من يقول : امكن لي ولا يمكن لي ، متوهما ان الفعل لازم فيعديه باللام ،وهو خطأ .

18 ـ اجاب على

ومن الشائع في هذا الزمان قولهم : اجاب على سؤاله ، ولا يمكنني الجواب عليه ، والصواب : تعدية الفعل (بعن) فيقال : اجاب عن سؤاله .

قال في اللسان : والاجابة رجع الكلام ، تقول: اجابه عن سؤاله . ا هـ

وتجيء على بمعنى (عن) قال القحيف :

اذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله اعجبني رضاها

قال ابن هشام في المغني بعد ايراده هذا البيت شاهدا على مجيء (على) بمعنى (عن) : ويحتمل ان رضي ضمن معنى عطف . وقال الكسائي : حمل على نقيضه وهو سخط . ا هـ

وقال العيني والصبان مثل ما قال ابن هشام في تضمين رضي معنى عطف ، اي فلذلك عدي (بعلى) . والشاعر يضطر الى مثل ذلك ، واما الناثر فله مندوحة عن استعمال النادر . وهؤلاء الكتاب الذين يستعملون (على) بعد (اجاب) جاهلون بالنحو ، لا يعرفون انه يتعدى بعن ، وكيفما كان الامر ، فان هذا الاستعمال ليس من الاخطاء الفاحشة في النثر ، اما في الشعر فهو جائز لا يعاب .

19 ـ القيم الدينية والاخلاقية

ومن المعلوم ان القيم هنا جمع قيمة ، ولا معنى لاستعمالها هنا . قال ابن منظور في اللسان : والقيمة واحدة القيم ، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم . ا هـ

واذا قلنا : القيم الدينية او القيم الاخلاقية ، يكون المعنى : الاثمان الدينية ، والاثمان الاخلاقية ، والدين والاخلاق لا تقويم فيهما ولا بيع ولا شراء ، وهذا الاستعمال ايضا مأخوذ من اللغات الاجنبية ، ولا ينبغي استعماله في العربية ، ولا حاجة اليه ، لان استعمال الاخلاق ومكارم الاخلاق ، والتمسك بالدين ، وما اشبه ذلك يغني عنه ، وليس هذا من المخترعات حتى نبحث له عن اسم ونترجم اللفظ الاجنبي ونستعمله .

20 ـ الاسرة

ومن ذلك تعبيرهم عن اهل البيت الواحد (بالاسرة) ، وهو من استعمال جهلة المترجمين ترجموا به لفظ Family الانكليزي واخيه الفرنسي ، وكانوا يترجمون هذا اللفظ من قبل (بعائلة) فعاب ذلك عليهم النقاد ، لان العائلة في اللغة العربية هي المراة الفقيرة ، قال تعالى في سورة الضحى : (ووجدك عائلا فاغنى) اي وجدك فقيرا فاغناك . وقال تعالى في سورة التوبة (28 وان خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله) اي خفتم فقرا ، فانتقلوا الى ترجمته (باسرة) وهو انتقال من خطا الى خطا آخر ، والعبارة الصحيحة هي : بيت او اهل بيت ، قال تعالى في سورة هود (73 رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) وقال تعالى في سورة الاحزاب (33 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويطهركم تطهيرا) فاهل البيت في آية هود : ابراهيم وسارة زوجه ومن يكون معهما على سبيل التبعية ونحوها . والمراد باهل البيت في آية الاحزاب النبي (ص) وازواجه واولاده والتابعون كالموالي .

وقال تعالى في سورة الذاريات (36 فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) والمراد بالبيت هنا لوط واهل بيته الا امراته ، فان الله استثناها من الناجين وجعلها من الهالكين . اما معنى الاسرة فدونك ما قاله صاحب اللسان : واسرة الرجل : عشيرته ورهطه الادنون ، لانه يتقوى بهم . ا هـ

وقال تعالى في سورة الدهر (28 نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) قال البيضاوي : احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب . ا هـ فالاسر هو احكام الربط وقوته ، ومن ذلك سميت عشيرة الرجل (اسرة) لانه يتقوى بهم .

وقال الصبان في حاشيته على الاشموني عند قول ابن مالك في التنازع في العمل من الفيته :

واختار عكسا غيرهم ذا أسرة

ما نصه : ضبطه الشيخ خالد بفتح الهمزة ، وفسره الغزي : بالجماعة القوية ، لكن في القاموس: الاسرة بالضم : الدرع الحصينة ، ومن الرجل الرهط الادنون . ا هـ

وقال ابن منظور في اللسان : وفي الحديث : زنى رجل في اسرة من الناس . الاسرة : عشيرة الرجل واهل بيته . ا هـ

وقال في مجمع البحار : وفيه (اي في الحديث) زنى رجل في اسرة من الناس . الاسرة : عشيرة الرجل واهل بيته ، لانه يتقوى بهم . ا هـ والمراد باهل بيته هنا هو المراد بعشيرته الاقربين ، لا زوجته واولاده فقط .

اما قولهم اسرة المدرسة ، يعنون المدير والمدرسين فيها ، واسرة تحرير الصحيفة ، يعنون مؤسسها والمحررين فيها ، ورئيس التحرير فله وجه ، وهو مقصود ابن مالك بقوله المتقدم :

واختار عكسا غيرهم ذا اسره

أي ذا جماعة قوية ، شبه المتعاونون على امـــر بالاقارب ، فاستعير لهم لفظ الاسرة بجامع التعـاون في كـــل .

21 ـ النشـــاطـــات

ومن ذلك استعمالهم النشاطات ، يريدون بهـا الاعمال ، وهو ايضا ماخوذ من جهلة المترجمين لكلمـة Energy الانكليزية ، وقد اولع باستعماله عامـة الكتاب حتى الذين لا يعرفون شيئـا مـن اللغـات الاجنبية . ومن سوء الحظ ان اكثر الخطباء والكتاب صاروا ياخذون لغتهم من الصحف والمجلات والاذاعة ، لا من الدراسة ، والقرآن وكلام العرب البلغاء ، كمـا يجب ان يفعلوا ، وكما كان الناس يفعلون في زمـان شباب اللغة العربية ، فالى الله المشتكى .

فلفظ الاسرة بمعنى اهل البيت الواحد شـاع وذاع حتى صار خطباء المساجد يستعملونه في خطبهم ، وهذا ما حملني على كتابة هذه المقالات ، راجيا ان ينتفع بها طالبوا الحق من المتكلمين والكاتبين بلغة القرآن .

قال ابن منظور في اللسان : النشاط ضد الكسل ، يكون ذلك في الانسان والدابة ، نشط نشاطا ، فهـو نشيط ، ونشطه هو وانشطه ، الاخيرة عن يعقـوب الليث : نشط الانسان ينشط نشاطا ، فهو نشيـط طيب النفس للعمل ، والنعت ناشط ، وتنشط لامر كذا . وفي حديث عبادة : بايعت رسول الله (ص) على المنشط والمكره . المنشط مفعل من النشاط ، وهـو الامر الذي تنشط له وتخف اليه وتؤثر فعله ، وهـو مصدر بمعنى النشاط . ا هـ

فقد رايت ان معنى النشاط ليس هو المعنـى الذي يقصدونه ، والنشـاط مصـدر لا يجمـع ، اذ لا حاجة الى جمعه ، فانه يدل على القليل والكثير ، كما قال تعالى في سورة الفرقان (14 لاتدعوا اليوم ثبـورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) فلم يقل الله تعالى : لاتدعوا ثبورا واحدا وادعوا ثبورات كثيرة ، لان الثبور مصدر يدل على القليل والكثير ، فاذا اردنا الكثرة وصفنـاه ولم نجمعـه .

قال ابن منظور في اللسان : وفي حديث الدعـاء : اعوذ بك من دعوة الثبور ، هو الهلاك ، وقد ثبر يثبـر ثبورا . وثبره الله اهلكه اهلاكا لا ينتعش . فمن ذلك يدعو اهل النار : « واثبوراه ، فيقال لهم : « لا تدعـوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا » . قال الفراء : الثبور مصدر ، ولذلك قال ثبورا كثيرا ، لان المصادر لا تجمع . الا ترى انك تقول : قعدت قعودا طويـلا ، وضربته ضربا كثيرا . ا هـ

وكذلك يقال في النشاط مثلا : هـؤلاء العملـة يعملون بنشـاط كثير . فلا حاجة الى جمع النشاط ، ولو جمع لم يجمـع على نشاطات ، بـل على نشط بضمتين ، كقذال وقذل .

22 ـ وصف الجمع بالمفرد

ومن ذلك وصفهم الجمـع بالمفـرد ، فيقولون رايات بيضاء ، وابل حمـراء ، والكتب الصفـراء ، والصواب : رايات بيض ، وابل حمر ، وصحائف صفر . قال الله تعالى في سورة فاطر (27 ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرابيب سود) . الجدد جمع جدد ، بضم الجيم وفتح الدال ، وهي الطريـق في الجبل . والغربيب : شديد السواد ، يقال : اسـود غربيب ، بكسر الغين والباء ، واحمر قان ، وابيـض ناصع ، واخضر حانيء ، واصفر فاقع .

وقال تعالى في سورة المرسلات (33 كأنه جمالات صفر) ولم يقل صفراء . وقال ابن عقيل عند قول ابن مالك في الخلاصـة :

(فعـل لنحـو احمـر وحمـرا)

ما نصه : من امثلة جمع الكثرة : فعل ، وهـو مطرد في وصف يكون المذكر منه على افعل ، والمؤنث منه على فعلاء نحو : أحمر ، وحمر ، وحمراء ، وحمر . وقال الخضري في حاشيته : قوله (فعل لنحو) الخ . أي بضم فسكون ، لكن يجب كسر فائه في جمع ما عينه يـاء ، كبيض في ابيض وبيضاء

23 ـ الرضـوخ

ومن ذلك تعبيرهم عن الاذعـان (بالرضـوخ) يقولون : هدده فرضخ له ، اي اذعن ، وهو من الاخطاء الفاحشة ، لان معنى رضخ له اعطاه عطاء قليلا .

قال ابن منظور في اللسان : ورضخ له من مالـه يرضخ رضخا : اعطاه . ويقال : رضخت له من مالـي رضيخة وهو القليـل . والرضيخة والرضاخـة . العطية . وقيل : الرضخ والرضيخة : العطية المقاربة . وفي الحديث : امرت له برضخ . وفي حديث عمـر : امرنا لهم برضخ . الرضخ : العطية القليلة . ا هـ

24 ـ السابـــع والاخيـــر

هذه ايضا عبارة ماخوذة من اللغـات الاجنبية

تقليدا بلا علم ولا هدى ، والصواب : السابــع وهــو الاخير ، لاننا اذا قلنا : السابع والاخيــر دل ذلك على اثنين ، لان العطف يقتضي المغايرة .

25 ـ لوحــده وبمفــرده

ومن ذلك قولهم : ذهب لوحده ، وقاتلهم بمفرده، وذلك من افحش الخطا واقبحه ، وابعده عن لغة العرب الفصحى ، فالصواب ان يقال : ذهب وحده ، وقاتلهم وحده بفتح الدال منصوبا على الحال . قال ابن مالك في الالفيــة :

والحال ان عــرف لفظا فاعتقــد
تنكيــره معنــى كوحدك اجتهــد

قال الاشموني : وكلمته فاه الى في ، وارسلهــا العراك ، وجاءوا الجماء الغفيــر ، فوحدك وفــاه ، والعراك ، والجماء احوال ، وهي معرفة لفظا ، لكنهــا مؤولة بنكرة ، والتقدير : اجتهــد منفردا ، وكلمتــه مشافهة ، وارسلها معتركة ، وجاءوا جميعا . وانمــا التزم تنكيره لئلا يتوهم كونه نعتا ، لان الغالب كونــه مشتقا ، وصاحبه معرفة . ا هـ

قول الاشموني في تفسيــر (فاه الى في) اي مشافهة ، فيه نظر ، لان مشافهة مصدر ، والاولى ان يقدر اسم فاعل ، اي مشافها له .

وقوله (ارسلها معتركة) يعني ارسل الابــل معتركة ، يزاحم بعضها بعضا . قــال الصبان فــي حاشيته لو قال : معاركــة كما قال ابن الخباز لكــان احسن ، لان اسم فاعل العراك معارك لا معترك . ا هـ

اقول : واحسن منهما جميعا ان يقال : معاركــا بعضها بعضا ، لاننا اذا قلنا : معاركــة ، بكسر الراء ، نسبنا العراك اليها كلها . والعراك لا يقــع الا بيــن فريقين ، ولا يقع من فريق واحد .

وقال الصبان في بيان قوله (الجماء الغفير) اي الجماعة الجماء من الجموم وهو الكثرة . والغفير مــن الغفر ، وهو الستر ، اي ساترين لكثرتهــم وجــه الارض . ا هـ

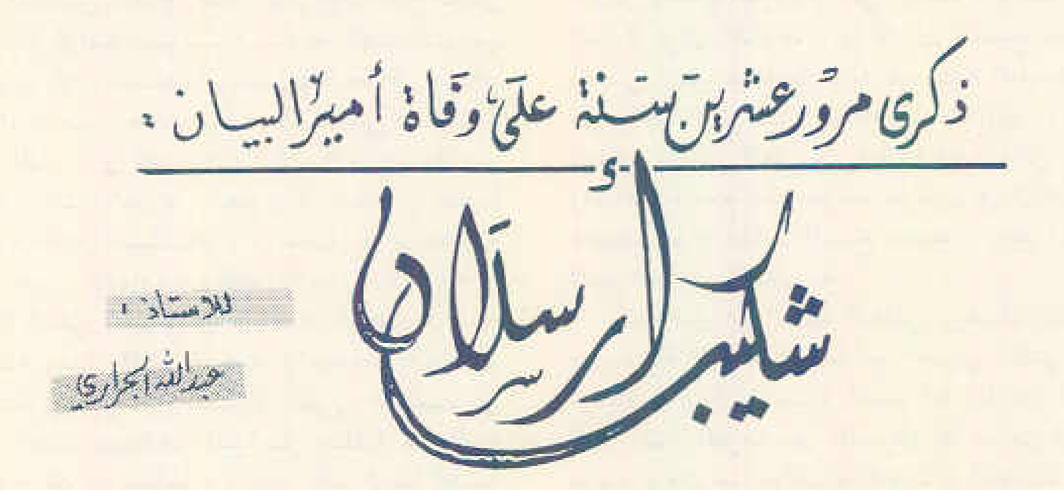
وهذا آخــر هذه الحلقة وموعدنا الجزء التالــي ان شــاء الله .

مكنــاس : تقــي الدين الهلالــي

اكبــاد جائعـــة

كتبوا الى عمر بن عبد العزيــز كي يأمــر للبيت بالكسوة المعتادة للكعبة ، كمــا كان يفعل من كان قبله ، فقال :

« اني رايت ان اجعل ذلك في اكباد جائعة فانها اولى بذلك من البيت » .



ان للشعوب الشاعرة لغايات ، وللامم المستيقظة امرامي بعيدة الاطراف ، نازحة الانحاء ـ تسعى في تحقيقها بكل ما يستطاع من وسائل وما يملك من قوة بيد ان لتلك الوسائل مقدمات واسبابا لها نتائج اولية في رصف السبيل ، وتعبيد المسلك الحافز الى استعمال المنتج منها ، واري على راسها اعداد نشء اولي يزود في بدء نشأته بتربية اخلاقية روحها الدين ووطنية مشتعلة جماعها الثبات وثقافة علمية منشأها المتانة والصحة من شأنها ان تضع الشباب المنتظر وضعا صالحا لاسعاد البلاد وتحقيق الاماني والآمال .

اجل لقد استيقظ الشرق العربي الشقيق من سباته الطويل ، ورقاده العميق شاعرا بالخطر المساور، والتهديد المحدق متدفقا عن تعشق وهوى لميدان العمل في حدود الحكمة والمفاهمة المعززين بثاراء رجال خلقوا وما خلقوا الا للدفاع عن كرامة البلاد ، وشرف المبدا مستعذبين كل اضطهاد وامتهان ، مستسهلين كاداء العقبات وقاصي المجاهل اثناء حلقات شائكة حيث العسف ناشر جناحيه ، والمكر ممسك بالتلابيب مؤمنين ان الحركات الوطنية لا يخدمها شيء كالشدة والعنف ولا يذكي حماسها ، ويضرم نيرانها مثل الجور والعسف لحد الانفجار كل ذلك وافظع كي يكونوا رمزا الحرية ، وقدوة للتضحية في الذود عن حوزة الوطن وعزة كيانه والوقوف في صفوف رسل العدالة وخدمة الانسانية ، ودعاة الحق وزعماء العباقرة ومحبي البلاد ولقد راينا هذا المثل الكامل والفجر لصادق متجليا بصورة واضحة في مؤبننا السعيد ـ امير البيان المرحوم الاستاذ شكيب ارسلان ـ شخصية عالمة نادرة حسرت عن ساقيها في سبيل بناء صرح النهضة وتأسيس بنود الجامعة في طماح ووثوب مملوءين حيوية ونشاطا لا يعتريهما عجز ولا ملل شخصية فذة خلقت لتبحث وتفتش وتلتمس وتنقب ـ تسال الكتب والاسفار ، وتستثير الحوادث والخطوب بثاقب بصيرة والتهاب غيرة لتضع لنا مجموعاتها القيمة ، وموسوعاتها الخالدة التي عنيت عناية خاصة بحوادث الاستعمار ، وما جريات الانتدابات والحمايات فسجلت للحاضر من العالم الاسلامي ـ ما يحفزه للوقوف على اسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم ، بعد انتصار غزواتهم العربية في عقر تلك القارات المسيحية خفاقة الراية ، صحائف سندسية الحلل ، ذهبية الارتسام قدمها (1) الفقيد الامين كحجرات اساسية يسير على ضوئها النشء الجديد ، ويستنير بمشعلها الشباب الناهض . ولا بدع فقد رسمت الشباب كأخته المنبعثة من زاوية الاهمال ـ الخطة الحميدة ، والغاية الناجحة ، فهؤلاء جمهرة الكتاب والادباء واثقون كبير الثقة ان كتب الفقيد كانت وتكون ظافرة برضى القراء، واعجاب الشباب المتنور واثقون ايضا ان الشباب المثقف سيرى فيها نزعاته وآماله ومثله العليا جلية واضحة اتضع الوضوح يتبين من دفين اسرارها ما يجعله يغامر منافسا سواه من الامم التي فاقته في التقدم ، وبزته في الظفر . علاوة على ما اتصف به من علو الهمة ، وكريم الطبع وسعة الاخلاق ، وانشراح الصدر ، والاخلاص للعاملين ، وخدمة الاوفياء بماله

(1) اشارة وتلميح في هذه الفقرات الى بعض تآليفه الخالدة .

وقلمه ونفسه ، ولا ادل على ذلك من بروره الزائد بالاستاذين المخلصين الحاج احمد بلافريج،والحاج الحسن بوعياد ــ ايام كونهما بسويسرة ــ وقد انهك المرض قواهما ، وعم الالم جسمهما وساورتهما مخاطر مؤلمة. لا سيما داء الاخير وقد صوره بقلمه على اعمدة صحيفة « العلم » في عدد 82 لسنتها الاولى ، والامير في كل ذلك ــ مثال المرض الحنون لا يكاد يزايلهما طرفة عين ، خادما مساعدا ، ويتمثل في شخصه الراحل ــ حنون الامهات ، وعاطفة الاباء . ولا غرابة في انطباع هذا الخلق السامي في شخصه المرحوم ، فله اسوة حسنة ومثل كاملة باساتيذ واصدقاء كانت لهم اليد البيضاء في تحرير الشرق العربي الشقيق واستقلاله احتك بجهادهم المتواصل مثاقفا ومجالسا الى ان تكون تكوينا صالحا ، وخلق خلقا كريما اصبح من اجله آية الايات علما واخلاقا ووطنية وايمانا . ولا عجب في رجل ثاقن الشيخ « جمال الدين الافغاني » وتلميذه الاستاذ « محمد عبده » واضعي نواة الاصلاح، ومؤسسي صرح النهضة ، ونافخي روح الحياة في المجتمع العربي ــ ان يجني العالم العربي اليوم ثمرة جهاده الصادق وعصارة ابحاثه المفيدة ، ومن هيامه بآراء الامام عبده ، وشغفه بافكاره وتعزيزها ما حكاه عنه في مقدمة « البينات » للشيخ عبد القادر المغربي :

ومما راقني جدا من آيات « البينات » التنظير الذي بين مصر ومراكش ، وقوله : انه مهما كان من الفرق بين هذين القطرين من جهة الرقي فان تماثلهما على اتمه في دراسة العلوم الاسلامية وطريقة فهمها وتحصيلها .

وقد اخطر ذلك على بالي قصة لا باس من ايرادها هنا تعزيز الراي الاستاذ : منذ نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج احد كبار علماء المغرب الاقصى المدعو بالشيخ (ابراهيم التادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من افراد الافق المغربي لابل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ،وبعد ان قفل من الحجاز زار المسجد الاقصى وقرا فيه درسا ، ثم قدم الى بيروت ــ وكان استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العربية ، فلما بلغه ورود ــ هذا العالم المغربي ، ذهب للسلام عليه ، وكنت معه في هذه الزيارة ، واتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الاستاذ الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » فدار بين الشخصين احاديث طويلة لم افهم منها شيئا ، لحداثة سني ، وقلة الفتي يومئذ للهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام اخبرنا بعد الانصراف بان هذا الرجل عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر ، فكأن الازهر وجامع القرويين شيء واحد . وانما اعجبه منه كلمة لا تزال اتذكرها ، وذلك ان الشيخ محمد اسأل التادلي ، من جملة ما ساله عن حالة العلم في المغرب : هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتاليف ، فاجابه التادلي : ليس العلم بكثرة التاليف ، ولكن بالمدرسة والمثاقفة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الايام الاخيرة ، فاعجب قوله هذا ــ الشيخ محمد . وهو ان حياة العلم انما هي بالمدرسة .

ثم قيل ان الشيخ التادلي يريد ان يلقي درسا بعد صلاة الجمعة في الجامع العمري الكبير فاشرابت الاعناق ، وفكر الاستاذ الامام انه لما كان التادلي من اكابر علماء المغرب مارا بالشرق فلا بد من ان يتكلم في موضوع عال من مواضيع الاجتماع كاتحاد الامة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك . فكان موضوع درس التادلي الذي قضى فيه اكثر من ساعتين ــ هو البسملة وما فيها من العلوم والفنون ، ومرجع ذلك كله الى الباء ، وانحصار العلم في الباء مما يعرفه كل من نال شهادة العالمية من الازهر . فلما خرجنا من الجامع قال لي الاستاذ ــ رحمه الله ــ انظر الى حالة الاسلام وحالة علمائه الذين ينبغي ان يوقظوه ــ ياتي احد فحول علماء المغرب الى المشرق وهو يعلم انحطاط الاسلام وانهيار جوانبه ، فبدلا من ان يحدث الناس بامر اجتماعي يعود بجمع شملهم او ايقاظهم من غفلتهم يكون منه ان يحدثهم بالعلوم المنحصرة في الباء .

والحقيقة أن الذي ينقمه النشء الجديد ، والمتعلمون على النمط العصري من جمود علماء الدين الاسلامي هو انه بينما يكون عالم اوربي اخترع ءالة عظيمة الفائدة للمجتمع البشري ــ كالالة التي اخترعها بعض الالمان في هذه الايام ينظر بها ما تحت الارض كانه فوق الارض ــ بتبحره في القوى الطبيعية .

يضيع العالم المسلم اطول من الوقت الذي قضاه الاوربي في اختراعه ، وذلك في حفظ تعليلات لا طائل تحتها ، وتدقيقات ضاق العصر الحاضر عن سماعها ، وهي من الدروس التي كان عليها معول الاوربيين في القرون الوسطى حذو القذة بالقذة ، فكاننا نحن الان حيث كانوا هم منذ خمسة قرون او ازيد .

هكذا كان الراحل الامين يعتام مختارا للتثقيف والمصادقة رجالا انجبتهم الايام وعجمت عودهم تجارب خطوبها ، ووهبوا من العقل والمعرفة والغيرة على مبادىء الدين وسنن الاسلام ما كان له الاثر الملموس في النهضة . فهذا الشيخ رشيد رضا وءاثاره الفياضة

فى افق النشر والاصلاح شرقا وغربا هـو ايضـا من اصدقاء الفقيد الذين خصهم بتاليف اسماه : « اخـاء اربعين سنة » سجـل فيـه ما دار بينه وبينهم مـن الاحاديث العلمية والاجتماعية والاضطرابات السياسية وحلو الاسئلة والمذاكرات الممتعة ، ولا اصدق دلالة على هذه الصداقة الممتزجـة بالشرايين والنافـذة الى الاعماق من تجليها فى الطرفين باجلى وانصـع صورة وقت مرور الامير الى الحجاز ومنعه من الدخول لمصر ففي ظرف انتقاله من القطار الى الباخرة حضـرت شخصيات من علية المصريين للسلام عليـه بيـد ان رجال الشرطة حالوا بينه وبين اخوانه لحد الاكتفاء فى التحية بالاشارة ، ولكن لحمة الصداقـة الوشيجـة ، والرابطة القلبية التي كانت الجامع الاقوى بين الفقيد الخالد والمرحوم الشيخ رشيد رضا ــ حفزت الراحل الكريم للايمان بالحرية التي تهواها حتى العجمـوات والطيور فاتى بالانسان الناطق ليكسر قيود الضغـط ليخرق قانون الضغط والاستعباد الجائر مترامیا في عنق صديقه الحميم الاستاذ « رشيد رضا » وقـد افقده حب الحرية الطبيعية وخالص الود والصداقة شعوره قائلا : (والقوة تحاول رده وصرفه) انه امام المسلمين فلا مناص من مباشرة .

وبنفس هذه السياسة ، وعين المعاملة يسـام جناب الفقيد عند ما وطئت قدماه تـراب المغـرب الاقصى زائرا شبابه المتطلع لمثله سنة 1930 سنـة الحادثة الكبرى ــ حادثة الظهير البربري ــ التـي كان لقلمه فيها اليد البيضاء شرحا وتصويـرا انـارا الافكار وابان العالم الاسلامي اجمعمدى غاية الاستعمار ونوايا الاحتلال السيئة كمأساة طرابلـس المضطهـدة ايضا . نعم حل بطنجة وكله شوق لزيارة عواصـم المغرب ، وكبريات مدنه التي كم كان له مـن الشغف بذكر آثارها، واستعراض قطورها ومؤسساتها الضخمة فى كتبه ، ككتابه « الارتسامات اللطاف » المستغرق فى الموضوع صفحـات ، شيء يفـوق الافراط والهيـام ويبعث على الاعجاب ، ولكن ابت السياسة الا ان تقفه هناك مانعة ــ فضيلته من زيارة اصدقائه واخوانه ــ صارفة اياه عن مقصده السامـي ومرمـاه الشريف ، فكم كان لاصدقائه الاعزاء ، واخوانه المغاربة الاوفيـاء من اشواق ولواعـج لا ياتي عليهـا الحصر متطلعيـن لمشاهدة محياه الكريم ، والاستلذاذ باحاديثه الحلوة ، وطرائفه الممتعة ، نعم وقف الامير المرحوم امام الواقع متحملا هذا الاعتداء الخانق والتصرف القاسي مقتنعا بكلمات نثرها على الشباب الطنجي ، ومن حضـر من الاخوان هناك حيث الظرف ظرف تردد فيه على طنجة وفود من ابناء المغـرب (او الداخليـة كما يقولـون) للحضور بمهرجانات تقـام سابـع عيد المولد النبـوي (ببوعراقية) كلمات كلها نصائـح غالية ، وارشـادات لامعة ــ روحها الايمان ــ كان لها وقع حسـن فى نفوس الشباب المتعطش فى طليعتها الحث على العلم ودراسته، والاعراض عن السفاسف وكل ما لا جدوى وراءه منقرا على الوتر الشاعر ، واقفا على الدواء الناجع لصـلاح الامم والشعوب (العلم ايها الشباب العلم) .

كل ذلك بعبارته المتعارفة الرائقة ، واسلوبـه السهل ، وبيانه الساحر الاخاذ الذي يستهوي القارىء ويملك عليه مشاعره بما يبعث فيه من نشاط ، ويخلق فيه من استعـداد واندفـاع لحب المطالعة والنـزوع للاستفادة بانشراح . اسلوب سلس اكتسبه كما قال رحمة الله عليه من دراسـة « مقدمة ابن خلدون » كما ان ما كان لقلم صديقه الشيخ رشيد رضا من السلاسة والسهولة هو نتيجة دراسة كتاب « احياء الغزالـي »

وطبيعي ان امثال هذه الكتب المتينة التعبيـر ، الشريفة الغاية لها سـر خاص فى تكويـن دارسيها ، وتعويدهم التعابير الصحيحة ، والتراكيب الواضحـة وتخير الاسهل منها عطفـا على القارىء وسعيـا وراء الافهام المنشـود من التحبير صـادفيـن عن تراكيـب الاعجاز الناشئـة عن التقعـر فى التعبير واستعمـال الوحشي والغريب .

فلله انت ، ولله جهادك المتماسك الذي لا يتساه لك شعبك خصوصا ، والعالم العربي عموما ، وقد بدا فجره الصادق يشع بأنوار السعادة فى سماء سوريـا ولبنان التي فارقتها وهي ترزح تحت نير الاضطهـاد والارهاق ، وعدت اليهـا (وعلم الحريـة يرفـرف فى جوائها المستقلة) .

وكم يدفعني هذا لاستعراض قولة العجوز التي شاهدت « الخليفة عبد المومن الموحدي » وقد رجـع لمسقط راسه اماما متوجا ، بعد ما فارقه شابا مملقـا لا يجد فى جيبه درهما يسلك به « وادي ابى رقراق » حتى اضطر لقطعه سباحة : ــ هكذا يعود الغريب الى بـلاده ــ .

ففي ذمـة الله ورواق رحمته ايهـا المجاهـد ، الهمنا الله الصبر والثبات على المبدا والعقيـدة وعلى العهد الى الملتقى فى عالم الخلود . (1)

الرباط : عبد الله الجراري

---

1) توفى يوم الثلاثاء 15 محرم عام 1366 ــ موافق 10 دجنبر سنة 1946 .



ورقات من تاريخ النكبة في بدايتها

للأستاذ الشيخ طه الولي

يوم الاثنين الواقع فى 7 جمادى الثانية من سنة 1387 هجرية (11 يوليه 1967) زرت الشيخ علي شيخ العرب فى بيته بطرابلس الشام برفقة اخي فؤاد الولي استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم فى المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ علي بما فطر عليه من ادب اسلامي عريق مقبلا علينا مستندا الى عصاه يستعين بها على مساعدة كاهله بحمل السنوات التسعين التي ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ علي شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية فى طرابلس الشام ، ذلك بأنه كان الى امد قريب مسؤولا عن هذه المدارس فى دائرة الاوقاف الاسلامية فى المدينة المذكورة ، لذا فانه من غير شك ، وبالاضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد ان الشيخ بارك الله له فى صحته وعمره ، بادرنا بالحديث عن ذكرياته التي علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة فى الوظائف الدينية والسياسية والعسكرية ، سواء فى العهد العثماني ، ايام عبد الحميد الثاني او اثناء حكم الاتحاد والترقي ايام محمد رشاد الخامس أو فى العهد الفرنسي وما تلاه بعد ذلك، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان على اثر الحرب العالمية الثانية (1929 – 1945) .

وشيخنا الفاضل الشيخ علي شيخ العرب ولد سنة 1879 وتدرج فى أول عمره بالوظائف الحكومية فى مختلف أجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وادارية وسياسية ، مما أتاح له التنقل عبر البلدان التي كان يظلها تاج بني عثمان فى حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على الوان مختلفة من الشعوب بعاداتها وتقاليدها واغراضها .

ورافق حفظه الله تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية فى العصر الحاضر ، فركب الجمل والحصان والبغل والحمار كما ركب القطار والسيارة والطيارة وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية والعمائر الحربية والغواصات وانه اليوم يركن الى جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الزجاجية الى آخر تطورات الابداع البشري لتتركه يربط ما بينها وبين اخيلة الماضي التي تزدحم فى خاطره بعد ان اصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ . .

قال الشيخ :

– لقد كنت مفتش اسطول فى العهد الحميدي ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (1908) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد احمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الاداري بالاوقاف الاسلامية بطرابلس الشام ، ثم ها انذا وبين يدي التسعين من عمري تجدني متعكفا فى بيتي الملم من ذاكرتي ما ادونه من الحوادث والاحداث التي مرت بي فى مختلف مراحل حياتي لتكون تحت تصرف الناس علهم يجدون فيها عبرة او تذكرة مما ينفع أولي الالباب !

ثم اطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم وكأني به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى ورده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته واردف يقول :

يا شيخ طه ، كأني بك تريدني على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين بعد الذي اصابهم من الذل والهوان بفلسطين ، وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج .

قلت : اجل يا فضيلة الشيخ . فان ابناء جيلنا الذين كتب عليهم أن يعيشوا هذا الذل والهوان قد غشيت افكارهم معلومات كاذبة شحنها الغرب بالاضاليل تمهيدا لما اوقعنا به من احابيل هي فيما يتصل بموقف ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان آخر الحصون التي دافع بها الاسلام عن وجوده العالمي ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وربيبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود وأخذ العرش الذي رفع سادته راية محمد صلى الله عليه وسلم 600 سنة يترنح تحت الجالسين عليه ابتداء من السلطان محمد رشاد حتى سقط مقضيا عليه هو والسلطان محمد وحيد الدين ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بني عثمان خلفاء المسلمين وملوك الزمان السلطان عبد المجيد خان سنة 1922 ميلادية .

قال الشيخ ، شيخ العرب :

كان ذلك سنة 1902 ميلادية ، نحن في اسطمبول عاصمة الخلافة الاسلامية وفي قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي امام جامع العرب في دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني ، ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشريفات المتبعة في القصر السلطاني ، فقد استقبلهم باديء ذي بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

1 ـ مزراحي افندي ، مدير احد البنوك

2 ـ جاك ـ لا اعرف بقية اسمه

3 ليون ـ لا اعرف بقية اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصروا على الانفراد بمولانا السلطان الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة الاعظم . فلم يجد اليهود الثلاثة بدا من قبول الامر الواقع والنزول عند رغبة تحسين باشا الذي استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون بان يقوموا

اولا : بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة .
وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين في اي يوم من ايام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم في قرب القدس الشريف اثناء وجودهم بفلسطين للزيارة .

وبالفعل فان رئيس الكتاب تحسين باشا نقل الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة وما لبث ان سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالي:

ـ تحسين ، قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلي :

اولا ـ ان ديون الدولة ليست عارا عليها لان غيرها من الدول ، مثل فرنسا ، هي الاخرى مدينة وذلك لا يضيرها .

ثانيا ان بيت المقدس الشريف قد افتتحها للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولست مستعدا لان اتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود .

ثالثا ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن ان تحتمي وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

واخيرا ، مرهم ليخرجوا من عندي وان لايحاولوا بعدها مقابلتي والدخول الى هذا المكان . »

وتابع الشيخ ، شيخ العرب كلامه معي وقد اخذته الحمية الدينية وتملكته رغبة عميقة بتصحيح الوقائع التي أريد بها تشويه سمعة ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني ، تابع قائلا : « ثم انني علمت بان السلطان عبد الحميد ، ارسل على التو الى ناظر الداخلية في عهده ممدوح باشا بان يطلب بالشيفرة الى رؤوف باشا متصرف القدس ليقوم هذا بالتحري عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس الشريف ، ولا يبقى في الارض المقدسة ايا من الطائفة

اليهودية غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة وان لا يسمح لهم بالمكوث فيها الا بمقدار هذه الزيارة .

ثم تابع الشيخ شيخ العرب حديثه المتهدج برنة مثقلة الجرس بالام الذكريات ..

« وفي سنه 1908 نجح اليهود باخراج جمعية الاتحاد والترقي الى ملعب اهوائهم السياسيه وقد كانت هذه الجمعية القناع الخارجي الذي تقنعت به جماعة الدونما المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التي نصبها نصارى تلك البلاد لمخالفيهم فى العقيدة الدينية سواء من المسلمين او من اليهود ، ونزل السلطان عبد الحميد اناني عند رغبه طالبي الحريات الدستورية واعلن « المشروطية » .

بيد ان غاية اليهود لم تكن المشروطية بما فيها من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتها ازاحة عبد الحميد من طريقهم الموصل الى فلسطين بعد ان تبين لهم ان هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ، ولهذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين واوعزوا لهم بالخروج فى الشوارع والمناداة بتطبيق الشريعة المحمدية ، وهو ما سمي يومئذ « بحركة الارتجاع » قاصدين من وراء ذلك احراج السلطان ودفع الاتحاديين الى الثورة عليه والتخلص نهائيا منه تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه فيما بعد ، وقد آتت هذه الحركة الارتجاعية اكلها الشهي بالنصر لليهود ، مع الاسف ، وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا ، فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله ورجله طالبا ازاحة العرش من تحت سيده الذي رفض النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وفي 7 مارس 1919 تقدم الى رحاب القصر المنيف بلدز ثلاثة من اعيان البلاد العثمانية وهم :

1 ــ عارف حكمت ، (ياور ، فريق بالبحرية)
2 ــ مزراصي افندي قراصوه (اياه) عضو اعيان
3 ــ ارستيدي باشا (رومي) وزير النافعة سابقا

ثلاثة اعيان ، مسلم مأجور ، ويهودي حقود ، ونصراني موتور .

دخل هؤلاء على السلطان الذي استقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وكبرياء ، وكانت وقفتهم بين يدي مولاهم على ابشع ما تكون قلة الادب وجفاف ماء الوجه ، غير انهم امام عظمة عبد الحميد وقوة شخصيته لم يسعهم الا التظاهر باللياقة والاحتشام .

اما عارف حكمت ، فقد اخذ لمولاه التحية الرسمية بكل ادب واحترام .

فقد تذكر هذا الضابط المسلم فى ساعة من ساعات يقظة الضمير انه فى حضرة ولي امر المسلمين الذين هو احد ضباطهم .

واما اليهودي القذر ، فقد مد يده بكل وقاحة الى جلالة السلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية .

بينما بقي ارستيدي الرومي ساكنا فى وجوم كانه من غير ابناء هذه الدنيا .

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت المهيب بلهجة الحاكم الواثق من نفسه موجها كلامه الى الذين وقفوا باهتين بين يديه :

ــ هل انتم من الاعيان ؟

فاجابوا : نعم .

تابع السلطان كلامه التقريعي اليهم :

ــ ومن عينكم بالاعيان ؟

فسكتوا جميعا ولم يحيروا جوابا .

عندها التفت السلطان كالجريح من خشاعم النور ، ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ، الم تترب فى هذا القصر يتيما (فقد كانت ام عارف المذكور احدى الخادمات بالقصر السلطاني) ثم ادخلتك المدرسة البحرية العسكرية ، ثم ارسلتك الى اوروبا حتى تخرجت برتبة اركان حرب ؟ .

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة بان تقتل من يتلقاها لو كان عنده مثقال ذرة من كرامة .. فمهمتك التي جئت لها لا باس بها .

والتفت جلالته الى ارستيدي الرومي (النصراني) قائلا :

« من جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا النافعة ، ثم عضوا فى الاعيان ... قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت .

وقال اخيرا لليهودي مزراصي كلاما ذكره فيه يوم جاءه من سنوات ست يطلب السماح لليهود باحتلال فلسطين مقابل ثمن يدفعونه لامير المؤمنين .

وكان السلطان اراد افهام اليهودي الوقح بـأن هذه الوقفة التاريخية التي تحمل خلع امير المؤمنيـن في لحظاتها الحاسمة انما هـــي صدى لتلك الوقفـة التاريخية السابقة التي انكفـا فيها اليهود على اعقابهم مدمومين مدحورين امام صلابة السلطان في الدفـــاع عن حرم الله وبيته المقدس في فلسطين .

ولكم كانت كلمات السلطان المظلوم قوية وبليغة وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين على يد اثنيـن احدهما نصراني يوناني ، والآخر يهودي صهيونـي ، ومعهما ذلك المسلم الذي كان الى جانبهما كالطرطور في مؤخـــرة بردعـــة الحمـــار .

وكان ختام حديث السلطان الجريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمته المقدسة :

« ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانيـة ، وخليفة المسلمين ، قرار الخلع ، عمل سيندم عليـــه من ارسلكـــم بـــه ! . . . »

ودون ان يمد يده الى اليهود ليأخذ منه ورقـة التبليغ ، طلب الى ياوره « علي جودت » (الذي ظهـر انه كان من الاتحاديين فيما بعد) وأمره بأخذ الورقـة من اليهودي وان يتسلمها منه ثم يسلمها بعـــد ذلك لابنته عائشة سلطان (التي ما تزال تحتفـــظ بأوراق عبد الحميد ، وهي ما تزال على قيد الحياة وتقيم في تركيا بعد ان تركت سويسرا حيث كانت من قبـــل ، ولعائشة المذكورة كتاب على جانب عظيم من الاهميـة عنوانه : « بابام عبد الحميد » (أبي عبد الحميد) .

هذه المحاولة التي قام بها اليهود لـــدى الباب العالي في دار السعادة بسطمبول ، لم تكن يومها ســـرا محجوبا عن المتتبعين للنشاط الصهيونـــي المسعور سواء في اوروبا او في آسيا . فلقد اشارت اليه اقـلام الكتاب وبعض الجرائد والمجلات مما كـــان يصدر في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي ، من ذلـك ما نشرته مجلـــة المشرق ، اذ قالت هـــذه المجلـــة الكاثوليكية الكبرى في الصفحة 1094 من المجلد الثاني الصادر سنة 1899 ما يلـــي :

« لمـا كان اللورد غوش الاسرائيلـي سفيـــرا بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلـك النواحي (ملفاد ومؤاب في عبر الاردن) التي مساحتها نحو ستمائة الف هكتارا مستعمـــرة لليهـــود ، تحت نظارة الباب العالي ، يسوسونها كما يشاؤون ، بشـرط ان يدفعوا لمولانا السلطـــان مبلغـا عظيما من الدراهـم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير ان الدولـة السنية لم تلب دعـــاء غـوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة بالاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح » ا.هـ

ويظهر ان محاولة « غوش » التي اشارت اليهـا المشرق وهي سابقة على محاولة اليهود الثلاثة الذيـن اشار اليهم الشيخ شيخ العرب في مذكراته ، يظهـر ان هذه المحاولةنبهتالمسلمين ودار الخلافة العثمانيةالى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاستانة العلية الى توجيه انظـار الحكـــومة والاهالـــي الى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكين هـــؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين والقدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة « المعلومات » ونقلت عنهـــا جريدة « ثمـرات الفنون » في الصفحة 3 من عـــدد صفـــر سنـــة 1224 / سنة 1217 و 13 حزيـران سنـــة 1899 ما يلـي تحت عنـوان : اليهـــود في سورية وفلسطين :

« . . . لليهود ميل شديد تقادم فيهـم لمجـاورة القدس ، لان تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم في الازمنة الغابرة . . . وقد جذبتهم معتقداتهم الدينيـة الى مجـــد اسلافهـم ، فقام الكثيرون منهـــم على المهاجرة الى انحاء القدس وتوطن فريق منهم في تلـك الجهات وصار لهم قسم كبيـــر من الاراضي وما زال الكثيرون يرغبون في الهجرة وشراء الاراضي ، وهـــذا مما يضر بصوالح الدولة والامة معـــا . اذ تصبـــح القدس في يوم من الايام وهي بيد اليهود فقط (لقـــد اصبحت القدس فعلا بيد اليهـــود فقط بعد ثمانيـة وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فينشأ من هـــذا مسائل جمة . ولا تخفى اهمية القدس الدينية لانهـــا احد الحرمين الشريفين ! . وتتابع الجريدة قائلة :

وقد سمعنا ان الدولة شعرت بالخطر فأصدرت امرا الى متصرف القدس ، حظرت فيه بيع الاراضـــي الاميرية الى اولئك المهاجرين كما نصحت الاهالـــي بأن يحافظوا على اراضيهم ولا يبيعوها لليهود ! . . » ا.هـ.

واني لاخال هذه الكلمة كانها اول صيحـة بانذار المسلمين ممـــا انتهوا اليه اخيرا . وهي صيحة تلتهـــا الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانـــذارا ، ولكـــن المسلمين تصاموا على الاصغاء اليها واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها فاصبحوا اليوم ينظرون الى قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك وهما فـــي اسر اليهود وايديهم قاصرة عن الثار لكرامة الامـــة

والدين ، فياويلهم من حساب يوم عظيم يوم يسالهم رب المسجد عن قدسه وصخرته فيقولون كما قال الذين كفروا من قبل : « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلون السبيلا ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . » ولن يغني هذا الجواب عند الله في شيء .. كما ان تفرقهم شيعا واحزابا ومذاهب لم يغن يوم الهول الاكبر في الدنيا من شيء . وهكذا خسر المسلمون دنياهم حين تركوا دينهم ، ثم خسروا دينهم حين نسوا أخراهم . ولله الامر من قبل ومن بعد واليه عاقبة الامور .

ونعود الى حديث المحاولات اليهودية التي حدثنا عن بعضها الشيخ شيخ العرب فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة اخرى تلت تلك التي قام بها السفير اليهودي غوش وسبقت تلك التي قام بها اليهود الوقحين الثلاثة وعلى راسهم مزراصي قراصوه افندي . وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحافي البريطاني « كريسبي » في جريدة « اتشام » (المساء) التركية كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعي » البيروتية في عددها 926 السنة العاشرة في 2 غشت سنة 1922 ص 19) قالت الجريدة :

« ارسل المسير كريسبي » الى جريده (اقشام) التركية مقالا حول القضية الصهيونية بمناسبة الحوادث الاخيرة التي جرت بفلسطين ، ومما جاء في هذا الحديث بتاريخ 29 تشرين الاول سنة 1922 هذه الفقرات التي ننقلها فيما يلي الى قراء المعرض والتي يشير فيها الكاتب الى حادث وقع له خلال سنتي 1900 — 1901 قال :

« ... كان الدكتور « هرتزل » في ذلك العهد رئيس تحرير القسم الادبي في جريدة (نيوفري) في فيينا ، فارادني ان اسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد ان بسط لي بحزن شديد كيف ان غليوم الاول والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقاهما في رحلته الامبراطورية الى فلسطين . فقد وعده هذا الاخير ان يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الاستانة اكتفى البرنس بان عرفه الى عزت باشا (العابد) الذي ما كاد يسمع بالغاية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) .

وقد قبلت بان اهتم شخصيا بقضية الدكتور هيرتزل ومطالبه ، خصوصا وان هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعي التي كنت اقوم بها يومئذ .

وبدات بكل شجاعة عملي ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام « جمال الدين افندي » (وكنت على صلة دائمة به) لفقدت كل امل بنجاح مساعي ، فان هذا « الشيخ » اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور « هرتزل » الى الاعتاب السلطانية وتقدماته ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة ، واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في انحاء العالم بفلسطين ، ان يدفعوا الدين العثماني البالغ ، اذا لم تخني الذاكرة 22 مليون ليرة انكليزية ، ويتعهدون كذلك ، ببناء اسطول كامل للدفاع عن اراضي الدوله العليه .

وفي هذه الاثناء قبل أن يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام ... ولكن هذه المحاولات حبطت ولم تنجح ! . » (انتهى)

والذي كتبه مسيو كريسبي في هذه المذكرات هو في الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية في الارض المقدسة . وها نحن نقدم للقاريء ما كتبه هرتزل نفسه في مذكراته التي طبعت بالالمانية في تل ابيب سنة 1924 ميلادية حول هذا الموضوع الذي اثاره مسيو كريسبي بعد الحرب العالمية الاولى (1914 — 1918) . قال هرتزل ، بعد فشل محاولاته الماكرة :

« بعث السلطان الي وساما عالي الدرجة ومع الوسام جواب مفزع في هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة في هذا الامر (التوطن بفلسطين) فاني لست مستعدا لان اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ! .. » ا.هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من راي الدولة العثمانية وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم لاغتصاب فلسطين وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! ..

واخيرا تمكن اليهود من غرز اظافر اطماعهم في قلب فلسطين بعد أن ازاحوا من دربهم العائق الرئيسي

الذي كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد وانتباهه الى اساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل ..

وباعلان الدستور (المشروطية) ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، شرعت مصاريع ابواب فلسطين امام تدفق اليهود . وتقول مجلة الكلمة في عددها الصادر بتشرين سنة 1911 ص 422 التي نقلتها مجلة المشرق في المجلد 15 سنة 1912 ص 80 :

« ان الدستور العثماني ... فتح لليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود في تركيا ان اخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة .

فقبل كل شيء انسلوا الى الوظائف العالية في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر ان مديري دفة جمعية تركيا الفتاة هم « يهود » .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور في تركيا قد ملأ قلوب بني اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الاتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية ... ومما يؤكد هذه الحقيقة ان جريدة « التيمس » الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة بممالئها لليهود رأت ان تذكر اليهود بالدور الذي لعبوه في تهييج النصارى ضد الاسلام .

على ان تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ولا سيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد « تركيا الفتاة » التي احست من جراء استسلامها لليهود مكروهة في اكثر انحاء المملكة العثمانية ! ... » ا.هـ.

وفي معرض الحديث عن تأييد « جمعية الاتحاد والترقي » لليهود في بلوغ مآربهم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الايام ، يقول عارف العارف في كتابه : « المفصل في تاريخ القدس » جزء اول ص 299 :

« اندس عدد غير قليل من الدونمة (الذي سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشأهم) في حكومة الاتحاد والترقي امثال (جاويد بك) وزير المالية من « سلانيك » بساريا افندي وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياح وزير التجارة والزراعة وكان هذا ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (بالتشين) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء في ادارة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هي العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقي سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين ، وسنت ايضا قانونا آخر اجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتلك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وهي كثيرة) بالمزاد العلني. وعن طريق هاتين الجمعيتين تمكن الصهيونيون من شراء اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ... » ا.هـ.

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود ونياتهم في زحفهم المتوحش نحو فلسطين نرى ان نرجع القلم الى ما سمعناه من الشيخ علي شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول ، بارك الله له في صحته وعمره :

« سنة 1916 ، خلال الحرب العالمية الاولى ، كنت في جبهة بئر السبع مع القائد الالماني « فون كريس » وجاءت شكوى من اليهود بيافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابي ، فارسلني الجنرال « فون كريس » الى يافا للتحقيق في شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ونزلت ضيفا عن السيد علي افندي المستقيم من اعيان يافا . وانهيت التحقيق مع مضيفي ومع غيره عن حالة حسن بك الجابي ، وعلمت ان عداوة حسن بك الى اليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة انكلترا واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحي العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابي الى تل ابيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة 1910 م اي بالفترة اربع سنوات قبل اعلان الحرب العمومية (سفربر) وتحقق عندي ان مجموع اليهود بفلسطين بعد أن كان في عهد عبد الحميد بين اربعين الى خمسين الفا اصبح الآن فوق الثمانين الفا.

وعدت الى بئر السبع وقدمت تقريرا الى « فون كريس » وكتبت في التقرير ان شكوى اليهود من حسن بك الجابي اسبابها احتقارهم لاسباب المعيشة . ولم اذكر « لفون كريس » شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الاركان الحربية التركي (رشدي بك ثم باشا) الذي يعلم بأن القطاعات الالمانية عندها يهود يقومون باعمال التراجمة بين الالمان والاتراك ، والعرب وانهم يستغلون وظائفهم التي تمكنهم من الاطلاع على الاسرار للتجسس

على حركة الجيوش العثمانية في جبهة سيناء وبرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانكليز ... »

اما بعد ،

فلقد لعبت سباط سبتموس سفيروس (الليبي الذي تزوج عربية من حمص اسمها جوليا دمنة ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قام به ضد سلفه) في القضية اليهودية سنة 135 للميلاد فغادروا القدس الشريف ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الامين الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندنوا قائلين مع البكاء والنحيب والامل اليائس بالعبرانية :

« من اجل القصر الذي اصبح خاليا ، نبكي في الوحدة وننوح »

« ومن اجل القصر الذي هدم »
« ومن اجل عظمتنا الراحلة »
« ومن اجل رجالنا العظام المائتين »
« ومن اجل الحجارة الثمينة التي احرقت »
« ومن اجل ملوكنا الذين كرهوه »
« نتضرع اليك ، كن رحيما بصهيون »
« اجمع شمل ابناء اورشليم »
« عجل الينا يا مخلص صهيون »
« انزل رحمتك في قلب اورشليم »
« فلتكلل صهيون بالمجد والجمال »
« اعد الينا مملكة صهيون حالا »
« وامنح العزاء الى النائحين على اورشليم »

كان ذلك منذ سنة 125 بعد الميلاد ، ونحن اليوم في سنة 1967 بعد الميلاد . واذا لنجد دولاب الدهر يدور حاملا في الخامس من شهره السادس القرار للتائهين ، والفرار لابناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت اجفانهم من طول البكاء يمسحون دموعهم بالخناجر التي ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط باهازيج النصر بعد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة ، بينما أمتنا المسلمة في عربها واعجميها ، التي ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ولا نواحا تتحول في مدى ايام قلائل الى اشباح ذليلة تضطرب على ابواب الامم تسأل هذا القائد وذاك الرئيس ان يعيد لها الارض السليبة بما فيها القدس الحبيبة كرم لعيون مبادىء الامم المتحدة والقوانين التي وضعت لاجارة المستضعفين من بغي المعتدين .

يا له من موقف ما كان لنا ان ننتهي اليه لو كنا صادقين . وانا اليوم لنتساءل في لهفة جازعة :

— هل جفت دموع اليهود لتستفيض من عيون المسلمين الدموع . لقد جعل اليهود من اطلال سور بقي في هيكلهم الذي دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا ، حائطا للبكاء طوال مدة بدات سنة 125 ميلادية وانتهت في منتصف السنة 1967 ميلادية .

فهل رضي المسلمون ان يستحيل المسجد الاقصى الذي جلله بالطهر آباؤهم واجداد كرام ، ان يستحيل انقاضا تئيت تحت حطامها كلمة الله الخالدة في اولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ ! .

ايها المسلمون في مطالع الشمس من الارض ومغاربها ، تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم في الايام الخالية ، وآمال ابنائكم في الايام الآتية ، كل هؤلاء واولئك ، في تطلع اليكم ومعها مقدسات تراثكم في فلسطين وللجميع نداء واحد صادر من اعماق الثرى الذي توسدته ارواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله عبر الاجيال والقرون .

انه نداء الشهيد المجهول .. من اجل الاسلام والمسلمين ، من اجل المقدسات في فلسطين

فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى

بيروت — طه الولي

علي بن أبي طالب الشاعر

للأستاذ أبي طالب زيان

اجتمع فى رهط النبي وآله ، ما لم يجتمع فى غيرهم من سائر بطون العرب ، علما ووراثة ، وحنكة وتجربة ، غير أدب تاهوا به وفخروا ، على من شافههم ، او قعد لمنازلتهم بالكلم أو تصدى لهم بالبيان

اجتمع فى علي بن ابي طالب وحده ، قرابة ومصاهرة للنبي عليه السلام ، واتفق له تربية وتنشئة وتعلم وقيادة وخلافة ، واجتمع فى نفسه تهيؤ واستعداد ، لقول الشعر ، املتهما عليه ما عاش عليه من الغمرات المشبوبة ، والتعرض الشاكي بالقول والفعل لابن عمه ، الذي احتضنه منذ طفولته ورعاه ، تخفيفا من عيلة عمه ، أو حبا واعدادا لخلفه من بعده ، وان يكن بعد الثلاثة الذين حملوا الامانة ، وقادوا الامة ، ابى بكر وعمر وعثمان .

لم يكن غريبا على علي ، ان يحس احساس الشعراء ، لكن ليس كالذين كانوا ينالون من الرسالة المحمدية ، او يجرحون كيانها او يشككون فى صدقها حتى ان هذا الحس ، قد تعدى الى علم بعض الصحابة، حين ذهبوا الى علي يرجونه فى رد عاديات ، عبد الله بن الزبعرى ، وابى سفيان بن الحارث ، وعمرو بن العاص فى الجاهلية . . .

ومما كان يؤكد هذا الاستعداد ، ويقر الذين ذهبوا الى علي يرجونه المنافحة والوقوف فى هذا الميدان القولي ، قول علي نفسه ردا على هؤلاء الذين سفروا عنده ، لو اذن لي رسول الله . . .

ولقد شاء الرسول ، ان يصرف عليا عن رد هذا الفحش . أو اراد له التهيأة والاستعداد لما هو اكبر من ذلك ، او اراد ان يتولى غيره ، ممن لايكونون على هذه الامة ، فندب ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . .

وفي ظني ، ان هذه الحادثة التي جعلت النبي يؤثر الشعراء الثلاثة على علي ، لاتنقص من مقداره ، او تفل من عزمه وتصميمه وان لم يأذن له ابن عمه ، او يأمره بما امر به اضرابه من القوالين الذين كانوا لسان صدق فى دعوة الخلد ، ومحور ارتكاز للمشاكلة والرد والوضوح . .

والغرابة هنا مستبعدة ، اعتمادا على القرائن والادلة ، فليس يوجد من بني هاشم على الكثرة الكاثرة فيهم من لم يقل الشعر . . فقد اورد الرواة شعرا كثيرا وان يكن متفرقا ، لابي طالب والد علي نفسه ، كما اوردوا كذلك شعرا لاعمامه ، عبد الله وحمزة والعباس، كما ذاع شعر لسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس ، وجعفر بن ابي طالب وابنى علي : الحسن والحسين وزوجه فاطمة ابنة ابن عمه صاحب الدعوة ، حتى كان هذا التتبع الذي دفع ابن رشيق فى « العمدة » الى ان يقول : « ليس من بني عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي عليه السلام » .

واللصوق الذي آثره النبي ، والاستجابة الحبيبة

التي دفعت بالامام علي الى ان يلزمها بما عمرت به من الزهد والنسك وما اتسمت به من الورع ولزوم الحق والصدق والعدل ، تقف دون الانتظام في سلك الشعراء، الذين يستقيدون لشياطين الشعر ، او يملكونها الهوى والغرض ، او النزوع الى الافحاش ايا كان شأنه ، ومهما كان الغرض الذي تقود اليه .

على ان الاختلاف الذي اثير حول شاعرية علي، والشكوك التي ضربت بجرانها على نسب بعض الابيات او القصائد التي قالها اليه ، لم تمنع من وقفات على بعض الابيات تأخذ المطالع اينما ولى وجهة نظر مرجع من المراجع ، او جرى باحث وراء هذه النبضات التي زاحمت جل القصيد في عهد الرسول او بعده الى ان ودع الشاعر الدنيا ، الا ان تكون هذه الحكم والامثال التي اختتم بها حياته ، او عايشها على حب لها او ايثار لمفهومها او فعلها في نفوس الصحابة والتابعين ، ومن عاش يؤيد الدعوة ، او يقف منها موقف العداء او المرتاب على السواء .. !!

وليس صحيحا ان يشك شاك في النسب ، او يذهب مذاهب في ابيات هي من صنع علي ، ومن فيض قريحته ، اذ ليس في الامكان اذا وازنا بين الملابسات التي قيلت فيها الابيات ، او اذيعت فيها القصيدة ، ان نتردد لحظة في ان عليا هو الذي قال :

تلكم قريش تمناني لتقتلني
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها اثر

والباحث في هذا الخاطر الذي املى على علي هذين البيتين ، يجده واضحا ، ولا يمكن ان يتعداه ، اذا عرف ان هذا الشعر ، انما يعبر عن شعور صاحب الرسالة بعد ما هاجر الى المدينة ، او كما قال بعض الرواة في مكة نفسها عندما اجتمعت الآراء ، وعقدت النية على التخلص من محمد عليه السلام ، فكان علي الناطق وكان الشعور المحس ، وكان التعبير الذي يدور بخلد ابن عمه ، او كان هو هو ..

ومن المسلمات ، ما قاله الامام يوم « صفين » عندما سلم رايته للحضين بن المنذر ، وان لم يسلم من الاستبعاد ، او النسب الى غيره :

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل : قدمها حضين تقدما
ويوردها للطعن حتى يزيدها
حياض المنايا تقطر الموت والدما

والقلبة في المناسبة ترتفع الى ان تقضي على كل كلام قد يراد به نفي الشاعرية عن علي ، او نقض هذا الذي عبر به الشاعر .. فهو يمتدح الحضين ، ويعبر عن مشاعر الصدق التي جعلته يسلمه الراية ، ويأتمنه اهلا لها ، في ميادين الطعن ، واحواض المنايا ، في يوم هو يومه الذي لاينفك عنه ، او ينفصل عن دنياه او يند عن تاريخه في الجهاد ، او شرفه العسكري في ساحات القتال .

ومن المأثورات التي اجتمعت لعلي في خاصة امره ، ودخيلة نفسه ، استعداده ودرسه قبل خوضه اية معركة من معترك الكلام ، سواء كنت كبيرة الاثر او صغيرة الاتجاه ، لعله ما يترتب على حكمه ، او يعقب رايه من اختلاف او اتفاق ، او ما قد يسفر عن التعبير ان رأى هو توضيحا او خروجا الى الصعيد العام .. فكثيرا ما كان يسأل وكثيرا ما كان يجيب ، لكن بعد تهيؤ او اعمال ، الا ان تكون مسالة يحتار فيها العقل ، او يقف دونها مشدود الطنب ، او منقد الزناد ..

سئل الامام يوما في مسالة من هذه المسائل التي تحتاج الى اناة ، ولا تخضع لرأى من الآراء يلقى كما تلقى سائر الاراء ، فما كان منه وهو العليم بالرأي ، الملم بمشكلات الايام ، الا ان دخل بيته ، ثم خرج في رداء وحذاء يعلو وجهه الابتسام ، وتبين على أساريره امارات الجد ، فبادره احد الجلوس :

مالك يا امير المؤمنين ، انك ان سئلت عن مسالة كنت فيها كالسكة المحماة .. ؟ فقال علي : لم يكن بد من الدخول والخروج لاروض ذهني على ما اخترته جوابا ، وخفت من امر هو في ، فقد كنت حاقنا ولا راي لي في هذه الساعة ...

على ان ابن ابي طالب، اراد الجواب الذي لا جواب بعده ، واراد تبصير جلسائه بما دار داخل نفسه او تحدث هو به اليها ، اراد الدل بما عنده من علم ، وما عليه من معرفة ، واراد الضرب على عوده الشاعر :

اذا المشكلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصـ
ـواب عمياء لا تجتليها الذكر
مقنعة بامور الغيوب
وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشقة الارجبي
او كالحسام اليماني الذكر

وقلب اذا استنطقته الفيو
ب امر عليها بواهي الدرر
ولست بامعة في الرجال
اسائل عن ذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الاصغرين
ابين مع ما مضى ما غبر

ويشهد الله على حادثة بعينها وقعت له ، او كان يمكن ان يقع امثالها لغيره من الناس الذين يمتحنون في دينهم او اخلاقهم او مدخراتهم من التراث ، الا ان ما وقع فيه علي يصح ان يصاحبه الدليل الذي قاله ، او دفع به الشبهة عن نفسه ، او على الاقل آثر الاحتفاظ بدينه ، وهذه عصمة من الله ، لولاها لا تزلق في هذا المأزق ، او لم يجد مخرجا ، او كان ضعيف الايمان ..

كان الخليفة يردد وهو شاعر ، هذا البيت الذي تضمن الحفظ والمفاخرة والثبات عند ما سوم ان يقر بالكفر ، حتى يسير معه الذين خرجوا عليه الى الشام :

يا شاهد الله علي فاشهد
اني على دين النبي احمد
من شك في الله فانى مهتدي

وان جاز شك في نسبة شعر الى علي ، فلا يجوز هذا الشك ، وقد احاطت به الحادثات وملكت على على الشاعر اقطار نفسه ، فلا يعود يرى الا هذا التنفيس عن نفسه المكروبة التي اصابها الجزع حين ودع شريكة حياته ، ابنة صاحب الدعوة الكريمة :

ارى علل الدنيا علي كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد
دليل على ان لا يدوم خليل

ومما لا يقبل النسبة الى غيره لوضوح المناسبة ، وحصرها في علي ، التزام الرد الذي يجيب به على السؤال ، وهو معين بالملابسة ، محدود الجوانب ...

كتب اليه اخوه عقيل ، يسأله عن حاله ، طالبا منه اطلاعه على مايدور حوله ، او يتنويه ازاء ماهو فيه... لكن جواب على الشاعر ، لا يريد فيه الشرح والاسهاب ، او اطلاع الناس على ماهو فيه ، ويكفي ان يكون ...

فان تسألني : كيف انت ؟ فانني
جليد على عض الزمان صليب
عزيز علي ان ترى به كآبة
فيفرح واش او يساء حبيب

ومن شعر علي ، وتكفى فيه الدلائل والقرائن ، ولا تذهب الى سواه مهما كان من تعلة ، او غرض ، يبعد الشاعر عن موضعه بين الصفوة المختارة التي نفثت يوم احد ، او فرحت يوم اجلاء بني النضير ..

ومناسبتان من مناسبات كثيرة ، تظهر اننا على مكانة علي بين الشعراء ، وتطلعنا على هذا النفس المعطر الذي يستجيب لدواعي الساعة ، او يحلق عند غرض كريم ..

وليس يدخل في باب النيابة عن الرد ، او يشعر بهذا الشعور ، الا من يقصد او يطلب منه ولو من واقع الحال ، التعبير عن الواقع المضروب ..

يذكر الرواة : ان دحيما الكلبى وفد على علي ، وهو يومذاك امير المؤمنين وكانت وفادته بمثابة الاجتلاء او الاختبار او المعرفة ، لا سيما ومعاوية يجد من يطريه او يثني على فعاله وان كان ذلك في مجلس امير المؤمنين نفسه ، وما زال دحيم يوسع في مدحه ، ويقلب في سيرته بما يرضي معاوية ويسيء عليا ، حتى كان هذا الخاطر الذي حلق في سماوات ذلك المجلس :

صديقي عدوي داخل في عداوتي
واني لمن ود الصديق ودود
فلا تقربن مني — وانت صديقه —
فان الذي بين القلوب بعيد

والمناسبة الثانية ، لا تقل اثرا عن الاولى ان لم تفقها غرضا ، او تعلو عليها بمناسبتها التي قيلت فيها ، وهي مناسبة لا شك ، تملى على القرائح ما تتفاخر به ، او تبرز طواعية في الميدان ..

انشد علي والمسلمون ينقلون اللبن لبناء مسجد النبي عليه السلام بالمدينة ، بعد ان وصف معركة .. صفين .. وما كان فيها ، وما وقع بين رحاها من ضحايا :

لا يستوي من يعمر المساجدا
يداب فيها راكعا وساجدا
وقائما طورا ، وطورا قاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ونظرة واحدة الى شعر علي ، تخرجنا من هذا الشك الذي ران على شعره ، وضرب على عبقريته ، ويعد به عن مواطن القوالين الذين يوحى اليهم . وان كان بالحكمة والموعظة .. فشعر الشاعر يقلب عليه اللفظ السهل ، والمعنى الذي يأخذ باللب ، والاسر الذي يشيع في كلامه كله ، عدا ما جبل عليه طبع الشاعر

من ارساله اللفظ غير ذميم حتى ولو كان في معرض الرد الذميم ..

والمتامل في هذه الابيات التي قالها ، وقد ضاق صدره ، يجده لا يتناول احدا ، او يومىء ولو من بعيد الى هذا الذي ضاق به على عادة الشعراء في عصره او قبله اذا هم تعرضوا لمثل ما تعرض له علي ، او امتحنوا بما امتحن به الشاعر :

لئن كنت محتاجا الى الحلم ، انني
الى الجهل في بعض الاحايين أحوج

ولي فرس للخير ، بالخير ملجم
ولي فرس للشر ، بالشر مسرج

فمن شاء تقويمي فاني مقوم
ومن شاء تعويجي فانني معوج

وما كنت ارضى الجهل جدا ولا ابا
ولكنني ارضى به حين أحرج

فان قال بعض الناس فيه سماجة
لقد صدقوا ، والذل بالحر أسمج

ومن يعطي سيفه « فاطمة » تغسل عنه دمه يوم احد ، الا ان يكون زوجها علي ، ومن يصف لها نفسه ، ويفاخر بها ويطمئنها غير هذا الذي يقول :

افاطم هاك السيف غير ذميم
فلست برعديد ، ولا بمليم

لعمري لقد قاتلت في حب أحمد
وطاعة رب بالعباد رحيم

وسيفي بكفي كالشهاب ، اهزه
اجز به من عاتق وحميم

فما زلت حتى فض ربي جموعهم
وحتى شفينا نفس كل حليم

ولعلي شعر كثير ، اوحى اليه في مناسبات كثيرة، ومواقع شهدها وتاثر بها ، والواقع اننا نظلمه اذا نحن جرينا على نهج الذين يشككون في شاعريته ، او يسلبونه هذه الميزة المتفردة ، التي لقيت نفسا صافية مستجيبة، يزينها عقل راجح بصير ، واطلاع واسع ، وملازمة لبلاغة النبوة ، وفهم لاسرار الرسالة ، وتربية قبل ذلك في حجر سيد البلغاء .

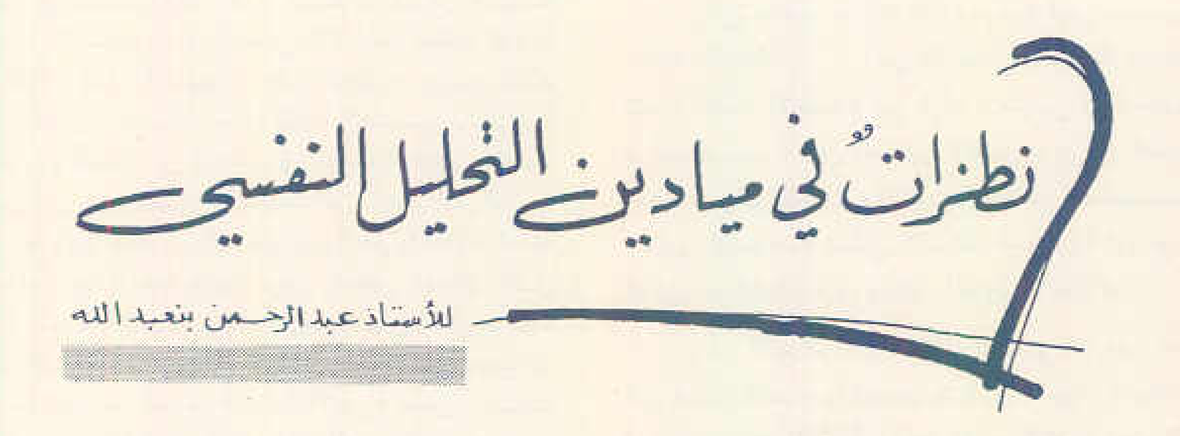
واما ما شكك فيه بعض الرواة من شعر هو لغير الشاعر ، فمن باب الظن والتخمين اللذين يذهبان بالفضل ، ويعصفان بالكنوز ، ولا يستبقيان الا الريب وان ارتفع الشك ، وزال ما الفته من اهواء ..

ومن يذهب الى التراث ، وينقب في المصادر والامهات ، يهله ، ان يرى ديوانا من الشعر ، يسلك عليا بين الشعراء ، ان لم يبزهم بما اوتيه من حكمة وسداد راي وعبقرية فذة ، تقدر على التعبير بالمنظوم ، كما قدرت عليه بالمنثور ، الذي عد من جوامع الكلم .

القاهرة : ابو طالب زيان

الاستمتاع بالرزق

قال اعرابي : الرزق الواسع لمن لا يستمتع به ، بمنزلة الطعام الموضوع على قبر .



بين علم النفس والفلسفة :

بوسعنا أن نتحدث اليوم عن اسلوب جديد في المباحث النفسية المعاصرة ، في مراميها ومناهجها وفي اللون الذي تصطبغ به هذه المباحث في نظرتها الى الانسان .

وقد امتدت الصلات بين المباحث الفلسفية والنفسية حقبة من الزمن طويلة ، اذ من المحقق ان البحوث النفسية تجتاز منذ خمسين سنة ثورة نظرية جذرية .

والبحوث النفسية ربيبة الفلسفة بلا جدال باعتبارها منهجا للانسان يتناول جوهره فيما يتصل بمعطياته الدفينة ، والفلسفة قد حققت هذا الغرض بصورة كاملة الى ان تضاءلت الوشائج التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس بفعل التعارض بين مذاهب الاولى على عهد النهضة الاوروبية . ولعل أبرز أحداث القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهور النظريات الايجابية التجريبية والعدول عن الاستبطان والبحث في الاسباب والاصول . وقد تأثرت مباحث علم النفس كثيرا بهذا التيار فنشأ على غرار علوم الطبيعة ما يسميه العلماء البسيكوفيزياء والبسيكوفسيولوجيا وعلم النفس العددي Psychologie quantitative

وعلم النفس الذي ما زالت تشده وشائج متينة الى الفلسفة ينأى بدوره عن الاتجاهات والنزعات النظرية ويهتم بالتجربة. وبرجسون ينسج على منوال الظواهريين حين يقرر أن التجربة الداخلية يمكنها ان تتسم بالدقة والموضوعية ، مثلها في ذلك مثل التجربة الخارجية ، وبصورة اعم ، فان المباحث النفسية الحاضرة كلها تجريبية . وسواء كانت البحوث النفسية في الماضي استبطانية او تجريبية فانها كانت تعنى بالانسان عموما ، على نقيض ما نقراه اليوم من كتابات تهتم به في مختلف ظواهره وحالاته ، في وجوده اليومي وباعتبار الوسط الذي يحيى فيه. اي انها تهتم باحلامه ورغائبه ومشاريعه والعلماء يرون في ذلك وسيلة للوصول الى معرفة القواعد الاساسية التي تقرر مصير الانسان .

وقد اتسعت ميادين المباحث النفسية في الآونة الاخيرة فشملت كثيرا من الميادين التي تأبت على البحوث الاستبطانية وأصبحت تعنى بسيكولوجية العمل وسيكولوجية الفن والطب السيكوسوماتي وعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي ...

المدرسة التحليلية :

والحديث عن المدرسة التحليلية يقودنا حتما الى اثارة مبدا اللاشعور الذي يرجع للمدرسة التحليلية الفضل في ابراز معالمه وتوضيح قواعده ، وان كانت الكتابات الفلسفية قبل ظهور المدرسة التحليلية لا تخلو من اشارات متعددة اليه . ذلك ان برجسون قد اكد في كثير من مؤلفاته بأن دراسة اللاشعور والاشتغال بخبايا النفس الانسانية من اختصاص المباحث النفسية التي

سيعرفها القرن العشرون وان هذه المباحث ستحقق من المكاسب ما حظيت به العلوم الفيزيائية والطبيعيـــة في القرون السالفة .

وبرجسون محق في تخميناته ، فقد جاء التحليـــل النفسي في مستهل هذا القرن ليميط اللثام عن البنيـــة النفسية اللاشعورية في النفس الانسانية فنشر فرويد سنة 1900 كتابه الشهير « علم الاحلام » ووضع بذلك قواعد التحليل النفسي معطيا لكلمة اللاشعور مضمونها الحقيقي . والحقيقة ان التحليل في الوقت الحاضر متفتح، اكثر من اي وقت مضى ، لمختلف النزعات والتيارات — فهو يسعى من جهة الى التوفيق بين النظريات الاساسية التي جاءت في كتابات فرويد وبين التطور الخلاق الذي تفرضه المعرفة العلمية ويمليه المنهج الذي سارت عليه العلوم الفيزيائية والطبيعية . والملاحظ ان آثار فرويد قد اتسع نطاقها بعد الحرب الكونية الاخيرة بصورة شملت معها كثيرا من الميادين كالفلسفة والفن والادب وعلـم النفس العام وعلم النفس التطبيقي وعلم الاجتماعيات ... والواقع ان التحليل النفسي ، بما حققه من مكاسـب وخبرات ، قد احدث في عالم المعرفة ثورة جدريـــة في العلوم الانسانية كشفت النقاب عن واقع الوعي النفسي من الوجهة الادبية والوجهة الاجتماعية ، كما تصـدت لاعماق العقل الانساني بما ينطوي عليه من معطيـات حيوانية خفية ومعطيات اخلاقية في غاية النبل والسمو .

وجب ان نشير الى نظريات التحليل بخصـوص التربية حين تدين بصورة جلية مواقف الكبت التي يتخذها بعض المربين وآثارها الخفية والبارزة في نشوء الاعراض العصبية . وقد أكدت الدراسات الاكلينيكية في التحليل النفسي مدى اهمية الغرائز الاجتماعية في تحقيق الغايات والاهداف الفكرية والفنية بواسطة التصعيد حين تنجو من آثار القمع وتتجه الى غايات امثل .

وقد تبين من خلال الدراسات التجريبية التـــي اجريت على شذاذ المراهقين أن الامر لا يعدو ان يكون تكوينا عائليا جائرا وان الاباء يتحملون مسؤولية خطيرة في الانحرافات التي تصيبهم . والجدير بالذكر ان السينما تلعب دورا أساسيا في نشوء هذه الاعراض بما تصوره من بطولات زائفة تقوم على الشدة والعنف وتعتمـد وسائل الاثارة الجنسية في اطار بوليسي مشوق .

أما عن الجانب الاجتماعي فان العلماء اذ يقررون اهمية المكاسب التي حققها التحليل النفسي فيما يتصل بمعرفة الانسان ، فانهم لا يتمالكون عن ابداء استيائهم من اغفال التحليل للوشائج الوثيقة التي تصل بين الفرد والمجموعات الانسانية وسكوته عن الظواهر الاجتماعية التي لا تخفى اهميتها على احد .

والى جانب ما ابتدعته مدرسة ليفي ستـراوس Lévi-Strauss من نظريات اجتماعية جديدة وما نشره علماء الاجتماع من آراء تتعارض في معظمها مع مركب اوديب ، فان الدكتور لاكاش يرى من الضروري احداث مراكز للبحث والتكوين التحليلي للمتخصصين في العلوم الاجتماعية لتتأتى الاستفادة بصورة أوسع مـن النظريات التحليلية في ميدان العلوم الاجتماعية .

وعن الاجرام فان التحليل النفسي قد عني به ايضا الى جانب القضاء والمهتمين بشؤون الاجرام ، وقد انعقد في باريس سنة 1950 مؤتمر دولي للاجرام ضم عددا لا يستهان به من القضاة والمحللين وكذا المهتمين بشؤون الاجرام واطباء العقل لتبادل وجهات النظر ومقابلـــة آرائهم ونتائج ابحاثهم في الموضوع .

والذي يبعث على الاهتمام في دراسات هـــؤلاء الاخصائيين ان العدوانية الاجرامية التي كان يعتقد أنها تملك على المجرم حواسه ومشاعره لا تظهر الا ساعة القيام بالاجرام وأن حياة المجرم تكاد تخلو من ظواهر العدوان والسادية . ذلك ان وجوده اليومي يطبعه الهدوء والنظام ولا اثر لاصداء العمل العدواني الذي كثيرا ما يمارسه بانتظام .

والمحللون يأملون أن يمتد التحليل النفسي ، بصفة رسمية ، الى كل الاشخاص الذين تنعدم في حياتهـم المسوغات الحقيقة للاجرام أو الذين تشكل حالاتهم الغازا مغلقة في مفاهيم القضاء والقضاة .

واذا كنا قد عرضنا في بداية المقال الى الصـلات التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس في مفهومه العام ، فاننا لا نرى مانعا من التعرض هنا للتحليل النفســـي الظواهري الذي أسهم في اجلائه بنصيب وافر كل مـن الدكتور لاكاش والاستاذ لاكان وكثير غيرهمـا مـــن الظواهريين وعلماء الجنس في البلاد الالمانية . وقد الح الاستاذ لاكان بصورة خاصة على العلاقـة الذاتيـــة المزدوجة التي تتسم بها الحالات التحليلية وحـالات التحويل Transfert وقد مكنته تجربته الواسعة من الاستفادة من البحوث التحليلية ، وهو يعتبر العصاب عرضا وجوديا ، معتمدا هذه النظرية في تطبيقاته العملية.

والذى لا جدال فيه ان هناك تقاربا فى وجهات النظر الظواهرية ومعطيات المذهب التحليلي والدراسات التي قام بها المحللون الامريكيون والمباحث الاخيرة التي صدرت عن الجمعية الفرنسية للتحليل .

والتحليل النفسي يرى من جهة اخرى أن النتاج الفني يترسم غايات اجتماعية مثلى ويتوخى تقدير الاخرين ويشركهم فى تذوق الاثر الفني ، اذ ان هذا الاخير يستثير المطامح اللاشعورية ويعمل على ارضائها ، هذا الى جانب اللذة التي تقترن بجمال الشكل على حد قول فرويد فى كتابه « حياتي والتحليل النفسي » .

تجب الاشارة فى الاخير الى الدراسات القيمة التي قام بها عدد من المحللين الى الآثار الفكرية على ضوء التحليل النفسي (انتصار البطل — التحليل النفسي لفيكتور هوجو — الرمزية الدينية — حكمة دون كيشوت ... وغيرها كثير) .

فى هذه التأملات التي ادرجناها عن علائق التحليل بالفن وشؤون الفكر ، وما يتخللها من نظريات وجودية ما يؤكد أن باستطاعة التحليل اليوم أن يسهم فى النقد الفني والسيكولوجية الجمالية وتحليل المفاهيم والقيم التي تنطوي عليها روح الفنان .

وفى السطور السالفة نظرة مختصرة الى مختلف الميادين الفكرية التي يمكن أن تطبق فيها بنجاح شتى المدارس التحليلية او التي امدتها بنظريات ومفاهيم جديدة .

كما ان بعض هذه العلوم التي تسميها علوما انسانية والتي تهتم ، على نقيض العلوم البحتة ، بالقيم الانسانية قد تقبل بارتياح مبادىء التحليل النفسي فى الوقت الذي تلكأ بعضها الاخر فى قبول هذه المكتسبات. ومما يبعث على الامل ان كثيرا من العلوم كعلم النفس وعلم الاجرام وعلم الاجتماع والظواهرية التي كانت — الى بضع سنين خلت — تتردد فى اعتماد النظريات التحليلية قد تقبلتها واستفادت منها كثيرا مما سيساعد على ابتداع معرفة عملية للانسان ، تقوم على الثقافة والتقنية معا .

وقد يسر التحليل النفسي للاطباء العثور على الاسباب النفسية التي تكمن وراء كثير من الادواء الجسمية .

كما فتح لعلماء النفس آفاق البحث فى المأساة الانسانية وجعلهم ينصرفون عن الاشتغال بالوظائف والملكات الى البحث فى حياة الاحياء وما تزخر به من عواطف ومشاعر ...

والصلة اليوم بين التحليل النفسي واللغة جد وثيقة ، خاصة فيما يرجع لدراسة اللاشعور . وقد ادت المبادلات بين اللغويين والمحللين الى جلاء المفاهيم اللغوية واستكناه المعطيات النفسية التي تقوم وراءها .

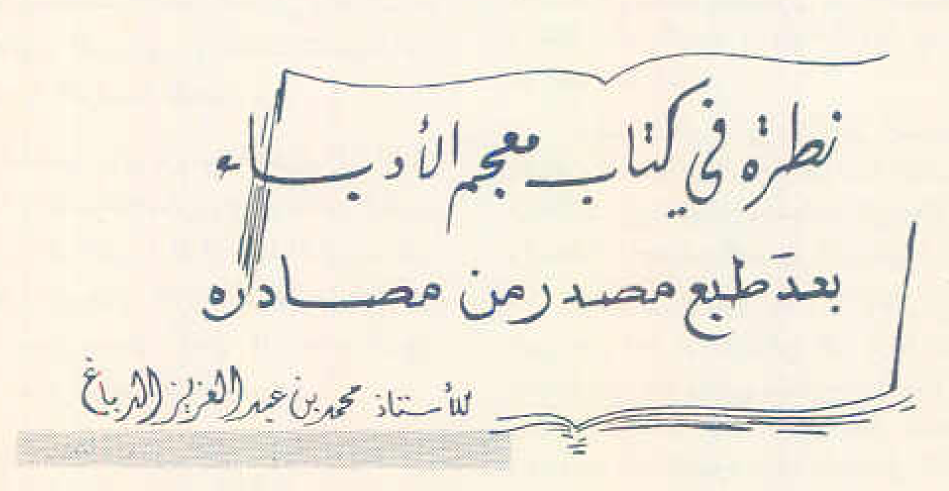
والتحليل يدعو فى ميدان الاخلاق الى اعتماد سلوك يقوم على احترام الوشائج التي تربط بين الانسان على اختلاف نوازعه وتباين مشاربه من تعاون وتضامن وتسامح واخاء .. وقد اظهر للملان سعادة الانسانية رهينة بتوحيد الجهود والامكانيات فى الكفاح المقدس من اجل الحياة الكريمة وتنسيق الصلات القائمة بين الناس وتحقيق أسباب التراحم والصفاء لمكافحة الفقر والجهل والمرض . والتحليل بوصفه عملا تلتقي فيه شروط التجرد والموضوعية يسعى لنشر وتعميم النزعة العالمية قصد تطويع السلوك الانساني لحقيقة الكون . والشعور بالاثم ليس له ما يسوغه فى نظره الا المساس بحرمة الشخصية الانسانية وقداستها ، بصرف النظر عن العوامل الخفية التي تملأ حياة كثير من الافراد والجماعات ولا تقوم على اساس منطقي سليم .

واضح أن التحليل النفسي بشتى مدارسه ، قد أصبح بعد مرور أزيد من ربع قرن على وفاة مؤسسه محط اهتمام الباحثين من كل فروع المعرفة بعد ان ظهرت فعاليته فى جلاء كثير من الجوانب التي يلفها الغموض فى مختلف مضامير العلوم والاداب والفنون . ولقد أصاب برجسون كبد الحقيقة حين اشار فى كثير من كتاباته الى أن القرن العشرين سيحقق لعلوم اللاشعور من التطور ما نالته العلوم الفيزيائية والطبيعية منذ امد بعيد . ومباحث التحليلية قد بلغت فى الآونة الاخيرة حدا من العمق والموضوعية يعتبر غنما ثمينا على الصعيد الانساني .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

المراجع :

— E. d'Asier : La psychanalyse et son apport à la science de l'homme.
— A. Hesnard : L'œuvre de Freud.
— Alfred Adler : Connaissance de l'homme,



- 5 -

1) لما انتقل الاسلام الى بلاد الاندلس وتوطد امر المسلمين بهذه البلاد ارتبط فكر الاندلسيين بتعاليم الدين وارتبط لسانهم بلغة القرآن ، ولم يقتصر اهتمامهم على الجانب اللغوي والادبي والفني ، بل اهتمت طائفة كبيرة من علماء الاندلس بالدراسات الدينية فرحلوا الى الشرق ليجمعوا كتب الحديث ويرووا كتب القرآن والتفسير وينقلوا ما جمع في سيرة الرسول والصحابة ورجعوا الى بلاد الاندلس مطمئنين الى تعاليم الاسلام عاملين على شرحها وتحليلها واذاعتها بين الناس .

والذي يتتبع تاريخ الاندلس يجد ان التنافس الذي كان بين الدولة الاموية في الاندلس والدولة العباسية في الشرق قد احدث تنافسا عاما بين الاندلسيين والشرقيين أيضا ، ودفع رجال الاندلس الى البحث العلمي والى الجد في تغيير احوالهم من الجهل الى العلم، ومن الخمول الى العمل، ومن الاقتصار على ما عند الشرقيين الى الاجتهاد والانبساط .

ولقد كانت في تاريخ الثقافة الاسلامية جوانب هامة تسير جنبا الى جنب في جميع الاقاليم ، خصوصا بعد نهضة التدوين وازدهار حركة التاليف ؛ فقد أصبحت الاقاليم الاسلامية كلها تعمل من اجل تحصين الاسس التي ينبني عليها الاسلام ، ويرتكز على فهمها الدين . فان القرآن والحديث نقطة الاستناد عند كل مسلم وكل دارس للتشريعات الاسلامية وتطورها .

واذا كان المسلمون يعلمون حصانة القرآن ضد التزييف والتزوير نظرا لما كان قد قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه من تضييق على جميع المدلسين حينما ارسل نسخا من المصحف الى مختلف الاقاليم فانهم يعلمون كذلك ان الحديث قد تسرب اليه الموضوع واندمج فيه الدخيل لذلك تصدوا لهذا الامر الجلل فالفوا الكتب المختلفة ليبينوا فيها ما صح من الحديث وما بطل واعتنوا بكيفية التدوين وبتراجم الرجال الذين روي الحديث عنهم ليكون في استطاعتنا معرفة حقيقتهم فيعيننا ذلك على التعديل والتجريح ، وسار المؤلفون في تدوين الحديث على طرق مختلفة ، منها طريقة التصنيف على الابواب الفقهية والاحكام الدينية من غير اعتبار للشخص الذي روى الحديث ، وكانت هاته الطريقة تدعو الى تكرار الاحاديث داخل المصنفات لتعدد معانيها واهدافها . ومنها طريقة المسانيد ، تلك الطريقة التي تذكر الصحابة وترتبهم حسب الحيثيات التي يختارها المؤلف ، واذا ذكر صحابي ذكر بازائه ما روى من الاحاديث .

واشتهرت الطريقتان معا في الشرق الى ان حاول الجمع بين الطريقتين مؤلف اندلسي اطلع على ما عند المشارقة في هذا الفن وتعمق في فهم الاحاديث بعد ان حفظ منها العدد الجم الكبير ، فألف كتابا في الحديث يعد من أشهر ما الف في تدوينه وضبطه والتحري فيه وسار فيه على طريقة المسانيد اولا ، فرتب التدوين حسب اسماء الصحابة ، ثم رتب الاحاديث التي رويت

عن كل صاحب حسب الابواب الفقهية والاحكام الدينية ، وبذلك صار كتابه مصنفا مسندا فى آن واحد. ولقد روى فى هذا الكتاب عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف .

ان هذا المؤلف القيم والمحدث الشهير والحافظ المدقق يعد من المع اساتذة الاندلس فى التوجيه الديني انه ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد الاندلسي صاحب التفسير الجليل الذي وصفه ابن حزم بقوله : « انه الكتاب الذي اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف فى الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري » .

ولد بقي بن مخلد فى رمضان سنة **احدى ومائتين** 201 هـ وتوفى فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة 276 هـ .

وقد وقع عند طبع كتاب معجم الادباء تحريف في ذكر سنة ولادته حيث ذكر انه ولد سنة **احدى وثمانين** (1) . وهذا خطأ بين لا يخفى على القراء جر الناسخ اليه تشابه صورة (ثمانين) (بمائتين) وقد ذكر المصحح تراجم مختلفة لبقي بن مخلد نقلها من عدة كتب ، وفيه ذكر لسنة الولادة الحقيقية ، ومع ذلك غفل عن تغيير الخطا الذي وقع فيه النساخ .

22) روى بقي بن مخلد عن طائفة كبيرة من العلماء بالمشرق فاخذ بالحجاز ومصر ودمشق وبغداد والبصرة والكوفة ، وتنقل بين ربوع هاته الاقاليم يتتبع العلم انى وجده حتى لقب بالمكنسة ، لانه كان لا يترك عالما يعرف صدقه وثقته وضبطه ، فلا يذهب للاخذ عنه ، وقد بلغ العلماء الذين روى عنهم مائتين واربعة وثمانين رجلا .

وفى كتاب الحموي ذكر لطائفة من هؤلاء الاعلام اعتمد فى ذكرهم على كتاب الحميدي فقال : (2) «وبقي من حفاظ المحدثين وائمة الدين والزهاد والصالحين ، رحل الى المشرق فروى عن الائمة واعلام السنة ، منهم الامام ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل وابو بكر بن عبد الله بن محمد بن ابي شيبة ، واحمد بن ابراهيم الدورقي **وخليفته بن خياط** وجماعات اعلام يزيدون على المائتين » .

والناظر فى كتاب الجذوة المطبوع بتصحيح الاستاذ ابن تاويت الطنجي يجد انه سقط منه ذكر **خليفة بن خياط** ، ولعل ذلك انما هو غفلة من الناسخ او نسيان من المنضد الذي صفف حروف الكتاب عند الطبع ؛ فالحميدي على ما يظهر لا يغفل عن ذكر ابي عمر وخليفته بن خياط الشيباني ، لانه يعلم اثره الفعال فى تكوين بقي الذي حمل كتبه الى بلاد الاندلس فاذاعها .

ان خليفة بن خياط الف كتابا فى الطبقات وكتابا فى التاريخ ، ابتداه بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الى سنة 232 هـ (3) ، وقد كان استاذا ماهرا اخذ عنه رجال الحديث واعتمدوا عليه فى كتبهم ، فممن ارتكزوا على روايته ،الامام البخاري فى صحيحه ، وفى تاريخه ، وبقي بن مخلد فى كتبه العامة ، بل ان الخزانة العامة ببلاد المغرب تشتمل على نسخ نادرة من المخطوطات ، ومن بينها كتاب التاريخ لخليفة بن خياط برواية بقي ابن مخلد (4) . وهذا مما يدل دلالة واضحة على الارتباط المتين بين ابن مخلد واستاذه .

فورود اسمه فى النص الماخوذ عن الجذوة دليل على ان الحميدي لم يغفله فى تاريخه ، وان عدم ذكره فى النسخة المطبوعة انما هو غفلة او نسيان .

لهذا ارجو من الذين ستتاح لهم الفرصة مرة اخرى لطبع كتاب الجذوة نظرا لاهميته ولقلة النسخ الموجودة منه ان لا يهملوا هاته الملاحظة ، وان يضيفوا

---

1) معجم الادباء للحموي ، الجزء السابع ، صفحة 81 . اما الحميدي فلم يذكر زمن ولادته . اقرا ترجمته بقي بنفح الطيب ، الجزء الثالث ، صفحة 272 بالطبعة المنقحة من طرف الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد .

2) معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 76 ، وكتاب الجذوة صفحة 177 .

3) جاء فى العدد الثالث من دعوة الحق ، السنة العاشرة ضمن الانباء الثقافية ما ياتي : « ستصدر وزارة الثقافة كتاب الطبقات للمؤرخ العباسي خليفة بن خياط وكتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وقد حققه سهيل زكار المعيد فى قسم التاريخ في جامعة دمشق ، وقد تمت طباعة التاريخ والجزء الاول من الطبقات تحت الطبع .

4) ورد فى العدد الثالث من السنة التاسعة من دعوة الحق وهو العدد الخاص بمنجزات وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى عشر سنوات من عهد الاستقلال ، ذكر لهذا الكتاب فى قائمة لنوادر المخطوطات الحبسية ، وقالوا عنه هناك : « وهو من الغرائب التي لا يعرف لها وجود فى مكان آخر .

الى الكتاب ما سقط منه ، وان يجمعوا مرة اخرى بين الاستاذ وتلميذه ، فانه من غير اللائق ان نترك خليفة ابن خياط بعيدا عن تلميذه وبينهما هذا الاتصال الروحي الذي يجب ان نعمل على تخليده تشجيعا للعلم واحياء للروابط الفاضلة ، وابقاء على ذكر عالم جليل في كتاب يعد من اشهر الكتب التي يعتمد عليها في تاريخ الاندلس ، فان وجوده في الكتاب سيحدث فضولا علميا في القارئين ، يدفعهم الى البحث عن خليفة والتعرف على تاريخه ، وفي ذلك فائدة كبرى ، وفرصة للاطلاع على حياة عالم لا يذكر في كتب التراجم الا باحسن الصفات ، ولا ينعت الا بافضل الالقاب ، فهو الذي يقولون عنه : « انه كان مستقيم الحديث من متيقظي رواته (1) » .

توفي خليفة بن خياط في سنة 240 هـ موافق 854 م (2) .

23) لقد تقدم لنا ان بقي بن مخلد روى عن كثير من الاعلام ، ومن بينهم الامام احمد بن محمد بن حنبل الذي يعتبره كثير من المحدثين والمفسرين اقرب الى رجال الحديث من رجال الفقه .

وهو صاحب المسند الذي يحتوي على ما يقرب من اربعين الف حديث ، تكرر منها ما يقرب من عشرة آلاف .

وقد كان من اساطين السنة ، في العراق في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري ، فقد ولد ونشأ ببغداد سنة 164 هـ ، وجال في كثير من الاقاليم بحثا عن الحديث وحرص على تاليفه وتفسيره ، وعلى الاعتماد عليه ، وظل وفيا لاجتهاده الى ان توفي سنة 241 هـ ، وقد كان من اتقى الناس واكثرهم ورعا فاستفاد الكثيرون من اخلاقه وعلمه وشجاعته في مواجهة الظلم والتعدي .

ويعد استاذا لاكبر رجال الحديث كالبخاري ومسلم وبقي بن مخلد الذي نتحدث عنه الان .

وجريا على العادة التي سار عليها كثير من المؤرخين والمترجمين للعلماء والادباء في الاستغناء عن ذكر الاب احيانا ، فقد قالوا عن ابن حنبل انه **أحمد ابن محمد بن حنبل**، ثم قالوا مرة اخرى **أحمد بن حنبل** ومن المعلوم انه لا تناقض بين الصيغتين اذ هما معا لا يقصد بهما الا الامام المشهور .

اذا علمنا ذلك ، فان الاكتفاء بذكر احدى الصيغتين كاف في التعريف بابن حنبل ، وذلك ما وقع بالفعل في النسخة التي اعتمد عليها الاستاذ ابن تاويت في طبع جذوة المقتبس ، فقد اقتصرت على ذكر احمد ابن حنبل ، ولكن الاستاذ ابن تاويت عقب على ذلك بتعقيب وجيز قال فيه : « وفي البغية احمد بن محمد ابن حنبل » من غير ان يشير لماذا عقب هذا التعقيب، وهل فعل ذلك شكا في صحة النسبة الاولى او ايثارا لها على غيرها او ابرازا للفرق بين كتاب الجذوة وكتاب البغية او اتماما للفائدة .

وانا ارى ان هذا التعقيب من غير تبيين سببه ، سيجعل القارىء في ارتياب وشك ، فلا يعرف الأصوب من الصيغتين ، وسيحدث له ابهاما وتساؤلا في نفسه يدفعه الى البحث عن الرواية الصحيحة ، مع ان كلا منهما صالح ، اما التي اوردت اسم الاب فلأنها سارت على الاتجاه الطبيعي في ذكر الانساب ، واما التي حذفت الاسم فلكونها سارت على طريقة الاستغناء عن ذكر الاب والاكتفاء بذكر الجد ، وهذا شيء يحصل كثيرا في التراجم العربية .

وعليه فلا فرق بين الصورتين رغم وقوع الاختلاف في الطبع ، ففي كتاب الجذوة حذف منه اسم الاب ، ولكنه في النص المأخوذ الموجود بكتاب الحموي قد ذكر .

وهذه الاشارة ضرورية للقارىء رغم انها لا تخفى على المهتمين بالدراسات الادبية وبدراسة رجال الحديث والفقه .

24) ورد في كتاب الجذوة (3) اسم لأحد الائمة الذين روى عنهم بقي بن مخلد وهو الحافظ الشهير **ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة** وهو من رجال الحديث الذين كان لهم فضل ايام ازدهار التدوين فصنف وحفظ وروى واذاع علمه بين الناس

1) كتاب الاعلام للزركلي ، الجزء الثاني .
2) في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ، الجزء الثاني ، صفحة 14 ، اقوال متناقضة في ذكر زمن وفاته ، فقد قيل انه توفي سنة 230 هـ ، وقيل انه توفي سنة 240 هـ ، وقيل انه توفي سنة 246 هـ . ولكن اغلب الاقوال في الذكر عند المؤرخين انه توفي سنة 240 هـ .
3) جذوة المقتبس ، صفحة 167 .

وهو كوفي مولى للعباسيين توفي سنة 235 هـ وولد سنة 159 هـ (1).

وانما دفعني الى الحديث عنه وجود تناقض بين كتاب الجذوة وبين النص الماخوذ منه الوارد في كتاب معجم الادباء (2) فقد جاء في كتاب الحموي انه **ابو بكر ابن عبد الله** بن محمد بن ابي شيبة بزيادة ابن بين ابي بكر وعبد الله، فاوهم هذا النص ان عبد الله اب لابي بكر مع ان ابا بكر انما هو عبد الله نفسه ينعت بهذه الكنية، وعليه فما يوجد في كتاب الجذوة اصوب واولى.

25) ليست الاختلافات المتقدمة في الحديث عن بقي مخلد جامعة لكل ما يوجد من فروق بين النص الاصلي الموجود في كتاب الجذوة وبين ما اخذ عنه في كتاب الحموي، فان هناك اختلافات اخرى متعددة، قد يتوصل اليها القارىء بطبيعته، وقد يكون الدافع اليها الاختصار الذي كان يدعو الحموي الى الاكتفاء بذكر بعض الاعلام دون تتبع جميع الاجزاء، وقد يكون الدافع اليها التاويل الذي يتوصل اليه بعض القراء حين يجدون التشابه بين بعض الحروف فيؤدي ذلك الى اختيار قراءة ما يجعلونها ملائمة للاحرف وملائمة للمعنى المقصود حسب تاويلهم.

ولا بأس ان أقدم جزءا من كتاب الجذوة لتبيين الفروق الموجودة بين هذا النص في كتاب الجذوة المطبوع وبين نظيره في كتاب المعجم.

قال الحميدي: « قال لنا ابو محمد علي بن احمد: « فمن مصنفات ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن، فهو الكتاب الذي اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث مصنفه (3) الكبير الذي رتبه على اسماء الصحابة رضي الله عنهم فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام، فهو مصنف ومسند (4)، وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فيه (5) في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا (6) ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهر (7)، ومنها مصنفه في فتاوي الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي اربى فيه على مصنف ابي بكر بن شيبة، ومصنف عبد الرزاق بن همام، ومصنف سعيد بن منصور، وغيرهما (8)، وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه، فصارت تواليف هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام لا نظير لها، وكان متخيرا (9)، لا يقلد احدا، وكان ذا خاصة من احمد بن حنبل وجريا في مضمار ابي عبد الله البخاري وابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وابي عبد

---

1) انظر ترجمته الموجزة بكتاب الاعلام للزركلي، الجزء الرابع.
2) معجم الادباء، الجزء السابع، صفحة 76.
3) في كتاب الجذوة قال: ومنها في الحديث مصنفة بجعل نقطتين على الهاء، وهو خطا ظاهر وقع من المصحف فقط.
4) في كتاب الجذوة شكلت لفظة مصنف ولفظة مسند بفتح ما قبل الاخر على صيغة اسم المفعول باعتبار الضمير المخبر عنه عائدا على الكتاب، واما في كتاب الحموي فقد شكلتا على صيغة اسم الفاعل باعتبار عودة الضمير على المؤلف نفسه وهو اولى لانه يناسب ما بعده من الضمائر.
5) كذا في الجذوة، واما في المعجم فلا وجود لهذا الجار والمجرور، وهو الصواب ليكون الكلام منسجما مع السياق العام، وليكون في التعبير خفة وسلامة.
6) في كتاب الحموي ذكر انه روى عن مائة واربعين وثمانين رجلا، واشار المصحح الى تصويب هذا الخطا وما عند المصحح موافق لما في كتاب الجذوة.
7) في كتاب المعجم، قال: وسائرهم اعلام مشاهير على وزن مفاعيل بزيادة مد بين العين واللام وهو الموافق للصواب.
8) اقتصر الحموي على ذكر مصنف ابن ابي شيبة
9) في كتاب الحموي وكان بحرا ومصححه ذكر انه يوجد بنسخة اخرى، وكان متخيرا، وسنتحدث في التحليل عن الوجه الصحيح.

الرحمن النسائي (1) رحمة الله عليهم » . هذا آخر كلام ابي محمد (2) .

ان التعرض لهذه الاختلافات اصبح امرا ضروريا بالنسبة الى الدراسات الادبية والتاريخية والفقهية .

ويمكن ان ناخذ نقطة واحدة من هذه الفروق التي لاحظناها في هذا النص لنعرف سبب التاويل المرجح لصيغة على اخرى فقد تقدم لنا ان الحميدي في كتاب الجذوة ، قال عن بقي بن مخلد : « وكان **متخيرا لا يقلد احدا** » في حين ان مصحح كتاب الحموي حين طبع الكتاب آثر ان يقول : « **وكان بحرا** لا يقلد احدا » ونبه على انه يوجد في الاصل عوض لفظة بحر لفظة متخير .

ولم ادر لماذا رجح البحر على التخير ، ولعله فعل ذلك لكونه يربط بين سعة علمه وجواهر معرفته بالبحر الذي في احشائه الدر كامن .

وقد ذكر الاستاذ ابو زهرة في كتابه عن ابن حزم الاصول التي اعتمد عليها هذا الامام في ثقافته وارجعها الى الحديث وكتبه العامة ، ثم الى **طائفة المتخيرين** الذين لم يكونوا مقلدين لمذهب معين بل كانوا يجتهدون وعلى راسهم بقي بن مخلد .

فالمتخيرون اذن يمثلون طائفة من المجتهدين الذين لم يقتصروا على التقليد والتقيد بمذهب معين وهذا يفسر لنا اعجاب ابن حزم بكتب ابن مخلد ، لانه وجدها تمثل روح الحرية التي أصبح يدعو اليها في مذهبه والتي دفعته الى التصريح بأن التقليد حرام ولا يحل لاحد ان ياخذ بقول احد من غير برهان (3) .

وان هؤلاء المتخيرين الذين كانوا لا يقلدون احدا بعينه لم يكونوا اعداء للائمة السابقين ، ولكنهم كانوا يرون ان مؤهلات الفكر يملكها كل انسان ، ولذا يجب على المسلم ان يتفهم كتاب الله وسنة رسوله ، وان يطلع على آراء الفقهاء المسلمين ليكون بذلك سليم الايمان قوي العقيدة ، وان يربط بين ما بلغ اليه المجتهدون وبين اصول التشريع ، فاذا اطمأن الى نتائجهم قبلها والا استخدم اجتهاده لفهم هاته الاصول بنفسه .

فالتخير اذن يمثل منهاجا اجتهاديا يجعل جميع الائمة سواء ، ويدفع الفرد الى الاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله ، ويجعل المسلم قوي الملاحظة ، كثير الاطلاع ، متين الحجة ، يرتبط بالله عن طريق التامل والبحث عن المعرفة الصادقة ، ولا يقتصر على التقليد الاعمى الذي يفقد به الانسان حجة البرهان وسعة العلم .

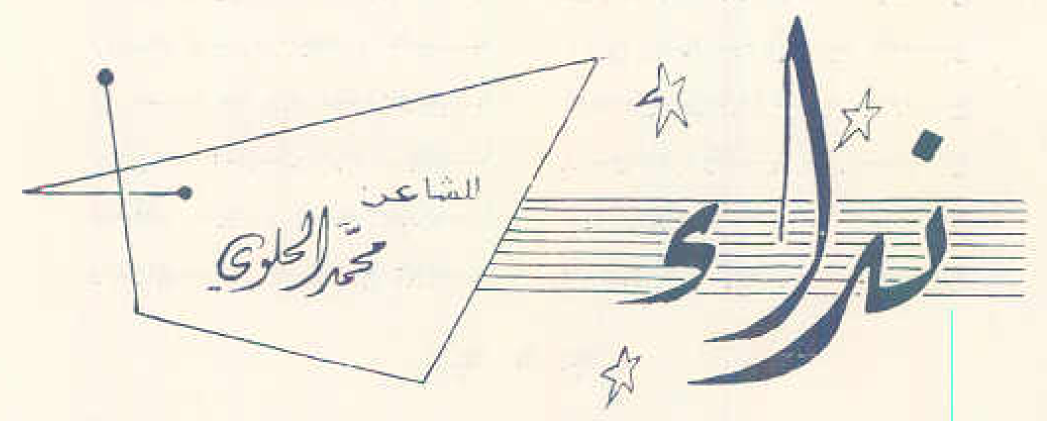
اذا علمنا ذلك راينا ان نسخة ابن تاويت كانت اسلم حينما نصت على ان ابن مخلد **كان متخيرا** لا يقلد احدا ، وانها كانت اصوب مما آثاره مصحح كتاب معجم الادباء حين قال عن بقي ، وكان بحرا لانه بفعله هذا كان قد غفل عن المقصود بالتخير ، ولم ينتبه الى حقيقة مقصوده ، والله اعلم .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) لم يذكر الحموي في سياق كلامه ابا عبد الرحمن النسائي .
2) النص الذي ذكرناه ماخوذ من كتاب الجذوة صفحة 167 ، ومقابله يوجد بكتاب معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 77 .
3) كتاب ابن حزم لمحمد ابي زهرة ، صفحة 275 .

ديوان المجلة



اخي هناك على خطوط النار — في دبابة تصلى العدا او مدفع
الله خلف زنادك الرامي اذا — ضغطت يداك فلا تهن او تجزع
يدك الصناع قلاع امتك التي — وقفت وراءك في التحام اروع
سلمت يداك تصبها نارا على — سرطان عالمك المهيض الموجع
سطر بمدفعك الرهيب روائعا — في مجد يعرب مثلها لم يسمع
واملأ فم الدنيا بباسك مرعبا — واسكب غناءك غنوة في مسمعي
انا حلفنا ان نطهر ارضنا — من رجس صهيون ومكر الجشع
بالنار والشهداء نغسل عارنا — ونعيد ارض الوحي لا بالادمع
وبوحدة جبارة سنشنها — شعوا تدمر كل وغد مدعي
سنذيقهم كاس الحمام مريرة — بسوى الهزيمة كاسها لم تترع
والبغي ما لمعت بوارق نصره — الا لتوذن باقتراب المصرع
انا بنوا الاحرار شعب لم يهن — رغم الخطوب وللعدا لم يركع
(بيض الوجوه كريمة احسابنا — شم الانوف من الطراز الارفع)
ان نابت الجلى فنحن رجالها — واذا دعا الداعي فاكرم من دعى
شدنا على اسس العدالة ملكنا — وعلى دعائم مثلها لم يرفع

❊ ❊ ❊

أبدل من حشدوا الحشود ودوخو — كسرى وقيصر في جحافل تبع ؟
ابدل من طلعوا على الدنيا كما — طلعت ذكاء على رقود هجع ؟
أتغيب تلك الشمس بعد بزوغها — وضيائها فكأنها لم تطلع ؟ !

أيذل ابناء الاسود ولم تزل ... اظفارهم مسنونة لم تقلع ؟
قسما بروحك يا صلاح وزحفها ... وجهادها عصب الصليب ويوشع
لنشنها حربا تدمر ما بنت ... أحلامهم بيد الكرى من مطمع
ونعيد للحرم المطهر قدسه ... وتزيح عنه يد المغير المقمع
لن يحتموا منا ولو ملكوا الفضا ... فقضاء يعرب ما له من مدفع
لن ترهب النابال فوق رجالنا ... ونسائنا ونكاله بالرضع
عملاقهم سيصير عند قدومنا ... قزما تقهقره اشارة اصبع
وشجاعهم لا يستطيع لقاءنا ... الا بوجه في الحديد مقنع

* * *

الله أغير أن يعز عصابة ... داست محارمه بغير تورع
والله اكبر ان يمزق امة ... هبت لتحمي قدس تلك الاربع
هي فسحة القدر التي تزجي بهم ... وتسوق ركبهم لأوخم مرتع
وهي النذير لامة لعبت بها ... اهواؤها في صفها المتصدع
عشرون عاما واصلت أيامها ... صهيون في ثكناتها والمصنع
دابت تدعم جيشها ونظامها ... وتعد عدتها ليوم مفزع
وبنو العروبة سادرون كأنهم ... في مأمن وظلال واد ممرع !
نخر الخلاف صفوفهم فاستقبلوا ... في فرقة هول المصاب المفجع
وتناكروا والخطب في بحرانه ... كالسيل مندفعا بأرض بلقع
وصحوا على هول المصاب كأنما ... هبوا على اصدائه من مضجع !

* * *

فعسى النوائب تجمع الشمل الذي ... عصفت به وتعي الحوادث من تعي
وتحية لك يا اخي من شاعر ... خلف الخطوط بقلبه المتلذع
يهدي قوافيه اليك وليته ... اهدى اليك قذائفا في مدفع !
لكنها أغلى وأثمن ما يرى ... في عالم متحلل متصنع
والى اللقاء وفوق ثغرك بسمة ... وعلى جبينك تاج نصر اروع
في فرحة تحيي موات عروبتي ... وترد أنفاسي وتجري أدمعي

محمد الحلوي

زيارة خاطفة ولكن ..

مرحباً بالحمامتين ...

للشاعر مفدي زكرياء

مرحبا بالحمامتين ، واهلا   لكما مهجتي الفدا ، وحياتي
اشرقا كالصباح في (وكر حبي)   واخطرا كالنسيم في امسياتي
واغمرا بالحنان قلبا مشوقا   هائما بالجمال في الكائنات
شاعرا .. كالملاك ... يستلهم العيـ   ـش وحيا مجنح الكلمات
يعصر اللحن من شفاه العذارى   ويصوغ الغنا من القبلات
وقوافيه من قدود الصبايا   مائسات طروبة ساحرات
الامان الامان ... (هادية) القلـ   ـب الى (منيتي) الى صبواتي
عانقاني حمامتي . فاني   علوي . من السماء صفاتي !
وامرحا بالامان بين ذراعـ   ـي ، فانني الامين في خلواتي .. !
واسكبا الدفء والفتون بجسمي   والامان الامان من نزواتي .. !
واقنعا ، في الصبى ، بحلو الاماني   وانعما في الغرام بالخطرات
واهمسا – يا حمامتي – فاني   لست ممن يبوح بالهمسات
واقرءا الحب والصبابة عني   انا في الحب صاحب المعجزات
واذا تم موعد ، وافترقنا   للقاء ... تذكرا صلواتي ...

مفدي زكرياء

احزان فارس

للأستاذ عبد الكريم الطبال

الثلج ينبت فى يدى ، يمتد أشجارا بلا ظـــل ولا زهــر
يلتف كالاسوار فى وجهى ، ويغلق كل أبوابى عن السـر
فالنار فى عينى تموت . لان أرياح الصقيع تموج كالبحـر
والصوت يغرب فى فمى كالبرعم المسجون فى أكمامه الصفر
فانا اذا لم أشد فى الثارات فى زحف الى ساحاتنا الحمـر
لم أزرع البركان فى مستنقع الاقزام ، لم اهتك عن الستر
فلان أوتارى بلا لحن . لان اناملـى دوح بـلا طيـر
لكن سأكسر كل أشجارى . لازرع فى يدى قيثارة الشعـر
فلتصرخ البومات فى الاشجار : يا ويلاه سوف يعود السحر
ليطير عشى فى الرماد . لتسقط الاوراق ذاوية الى القبـر
لتخر أسوار الجليد . لتكبر الافاق فى غاباتها الخضـر
لتفيض من بين الانامل أنهر بيضاء فى أرض من العطـر
موشية بغريب أضواء بصبح فى تلاوين الـرؤى بكـر
وليصمت الاحباب فى عرس الدماء الى فى ترتيلة الفجـر
فانا وقيثارى سأمتشق اللهيب نضىء فى الساحات كالبدر

شفشاون : عبد الكريم الطبال

السبورة

للشاعر: محمد بن علي العلوي

وزنجية لونها كالظلام
تربعت الصدر في الغرفة

ترى أنها خلقت للعلى
وللمجد عاشت وللرفعة

وتزعم ان البها حلية
وقد خصها الله بالحلية

ومن عجبي انها قد غدت
ترى أنها ربة الحكمة

وقد حسبت انها بلغت
بروعتها منتهى القمة

غراها الغرور فضحت به
تباهي الحسان بلا حشمة

وقد اسندت ظهرها للجدار
كفعل العروسة فى الحفلة

تحيط بها نظرات الصغار
لتكشف النور في الظلمة

وتشتد من حولها ضجة
فما تشمئز من الضجة

ومنيتها أن ترى وجهها
وما قد علاه من الصبغة

وأن تنظر العين ما نمقت
خطوط الوشام على الطلعة

فيا ليتها لثمت بالنقاب
واخفت به طلعة العنزة

ويا ليتها سترت قبحها
فكم ملأ القلب بالغمة

تذكرني دمية (الكرنفال)
وما شوه الله للعبرة

اذا ما دخلت لحجرتها
ارى ظلمة الليل فى الحجرة

وتفتح لي حضنها كالغراب
يمد الجناحين من ربوة

وترغمني أن ادغدغها
على رغم ما بي من العفة

يلذ لها أن تمر يدي
على صدرها الصلب في رقة

ويطربهـــا أن أداعبهـــا — وافصح باللمـس عن لوعتـي
فيـا اخت ليـل طويـل الاسـى — ويـا بنـت عـود مـن الارزة
عـلام الحـداد ؟ ومـن ذا الـذي — فقـدت مـن الاهـل والاسـرة ؟
سئمتـك يا جلـد مـا عـزة — رمتـه المقادير في وجهتـي
وعفـت لاجلـك كـل السـواد — ايـا امـة النحـس والخسـة
ويـا عمـة الفـاق قد اضمـرت — لـك اليوم فـرط القلى مهجتـي
صحبتـك منـذ الصبـا مخلصـا — فما ذا استفـدت من الصحبـة ؟
وضحيـت طـول السنيـن فلـم — الاق سـوى الهـم والمحنـة
وقضيـت شـرخ الشبـاب ارى — بجانبـك الهـم بالجملـة
لكـم تبتغـي النفـس لـو قـدرت — طلاقـك مـن غيـر مـا رجعـة
لزمـت الوفـاء فكـان الجـزا — غبـار الطباشيـر في المقلـة
فشكـرا لخالـق هـذا الـورى — علـى مـا حبانـا مـن القسمـة

❊ ❊ ❊

يفتـح قـوم عيـون السـرور — على منظـر الزهـر فـي الجنـة
وافتـح وقـت الضحـى مقلتـي — ولسـت ارى غيـر ذي الفحمـة

فاس : محمد بن علي العلوي

ــ لـم افتــح لــه ــ

قال سالم بن ابـي الجعـد :

اشترانـي مولاي بثلاثمائـة درهم ، فاشتغلت بالعلم . فما مضى علي سنة ، حتى جاءنـي الخليفـة زائـرا ، فلـم افتـح لـه .



للأستاذ: علال الهاشمي الفيلالي

رتلي ـ ربة الحياة ـ صلاة   هي نجوى حقيقتي ورؤايا ! ..
واسكبي قدسي السنا ، واشيعي   في دمي النسك ، كي يفور هوايا
وانشقي كالشذى من الله عطرا   ، واجتلي في السماء طيف هدايا
كنت نورا في عالم الغيب ، حتى   لفك الليل في سجون الحنايا
فتلقيتني جنينا هميدا ؟   ثم ابدعتني شفيف السجايا
انت نهر الحياة ! اضحى حراكا   في فمي ، وارتعاشة في دمايا
كان يرغي في داخلي قبل علمي ! ..   اتراه يفيض بعد نهايا ؟
اين نبع الحياة ... اين مداه .. ؟   كيف زهو الضحى ، وسحر العشايا؟
زورق الفكر ... اين شطك منه   قد تلاشى لهاته في الخفايا
الرؤى .. ما الرؤى .. ؟ اطيف غيوب   ام صدى الروح في شعور البرايا ! ؟

* * *

خالد انت ... ام انا في سماء ؟   او انا انت لم تكوني سوايا .. !
نحن ظلان : انت ظل اليه   وانا ظل طينة وخطايا .. !
فامرحي قبل ان تميل بي الريح ،   وتذوي مثل الزهور منايا
وانزعي في ظلال حبك حينا   انت معنى الخلود من دنيايا .. !
فلنسر في الهموم ، في الليل ، في الو   حشة ، في الحزن ، بين وادي الرزايا
حيث اجنى قبل الشروق شعاعا   والف الاحلام ملء هوايا
كل ما في الحياة انت ... ولولا   ماؤك العذب ما ارتوت شفتايا
فيك ـ يا ابن الحياة ـ اسرار قدس   هي لله في الضمير مرايا

الرباط : علال الهاشمي الفيلالي

التاريخ المغربي بين أخطاء الحاضر وآمال المستقبل

للأستاذ : علي الوزاني

من اهم واجبات الفكر المغربي الحديث ، قسم الدراسات التاريخية الذي انصرفت اليه نخبة من مثقفينا البارزين ، ويكاد بعضهم يقف كل جهوده على هذه الناحية لا يتجاوزها ، وهو سعي مشكور ونافع وضروري في هذه المرحلة التي نجتازها من تطورنا الفكري الحديث ، اذ اننا نلتمس الطريق الى شخصيتنا كمغاربة ، حتى لا تضيع وسط ركام من ثمار الثقافة الاتية من شرق وغرب ، فلم يكن استقلال المغرب الا اعادة الامور الى نصابها ، وفرصة لتنقية النفس المغربية من رواسب وضع متعفن ، حمل فيما حمل الينا الضياع في طريق غير طريقنا الطبيعي بصفتنا مجموعة من البشر لها كيان انتصب عملاقا عقودا من السنين ، ولكن اغارت عليه قوى عاتية اتخذته لها هدفا فشوهت معالمه ، وكاد أن يتهاوى تحت ضرباتها القوية ، حتى استحال العملاق قزما يتقهقر في استحياء وتخاذل .

ولكن ها هو اليوم ينتفض وتعود اليه حيويته فيحاول الوقوف على رجليه وسط الاعاصير الهوج ، أعاصير الثقافة العالمية التي طوقت العالم ، وعرضت الشخصية القومية لكل امة صغيرة تبحث عن نفسها الى خطر شديد .

فلا يسعنا والحالة هذه ، الا ان نبارك هذه الجهود المثمرة التي نرى آثارها القيمة بارزة على صفحات مجلاتنا ، ولاسيما مجلة « دعوة الحق » التي تولي هذا الجانب قسما كبيرا من عنايتها . ووفاء للحقيقة والتاريخ اذكر الاساتذة : المنوني وعبد العزيز بنعبد الله ومحمد ابراهيم الكتاني وعبد الله كنون وابن تاويت كأعلام بارزين ، ترتبط اسماؤهم بهذه المرحلة من تاريخنا الفكري ، وستكون ابحاثهم نبراسا لمؤرخ المستقبل ، حيث سيجد الطريق أمامه معبدا ، فيبدأ من حيث انتهوا ، منتفعا بفتوحاتهم التاريخية المظفرة ،

وكلنا يعلم الصعوبات التي تواجه وتتحدى من يتصدى لكتابة تاريخ المغرب ، لعوامل شتى ، منها ندرة المصادر ، فاقلها هو الذي عرف طريقه الى الطبع ، وأكثرها ما زال مخطوطا يرقد في غياهب الظلام ، اما في المكتبات العامة ، او في بعض المكتبات الخاصة ، هذه التي يوجد اكثرها بين ايدي شحيحة ، تأبى أن تجود بشيء من نفائس ما تملكه من ذخائر الفكر المغربي . ولست افهم كيف يحبس انسان تراثا ولا يتركه يتخذ طريقه الى ملايين المثقفين في المغرب والمشرق ، ليكون منهلا من مناهل المعرفة ، وليكشف عن جانب من جوانب العبقرية العلمية او الادبية للامة ، وانما يبقيه غارقا في الظلام ، نهبا للارضة ، عرضة للتلف ، مع انه ملك عام ، باعتبار انه صورة من صور الحياة العقلية للامة المغربية ، من حق كل مغربي أن يستفيد منها .

اضف الى ذلك ان فك طلاسم الخطوط القديمة بعد الجهد المضني للحصول على المصادر — يكلف الباحث كثيرا من التضحيات الجسام ، وكذا ما تزدحم به المخطوطات من اعلام يتوقف التعريف بهم على مراجعة عدد ضخم من المراجع ، وما اقلها واشق

وسائل الوصول اليها . هذا علاوة على كون هذه المخطوطات تختلط فيها الحقيقة بالاسطورة ، والواقع بالخيال ، الامر الذي يكلف الباحث احاطة تامة وشاملة بموضوعه ، وبطبيعة الاحداث والوقائع في تسلسلها التاريخي . وليس غرضنا هنا هو الاحاطة بالعوائق الكثيرة التي تقف في وجه الباحث ، وانما اتينا ببعضها عرضا ونحن بصدد تصور الجهد الكبير الذي يبذله كتاب التاريخ عندنا . اقول كتاب التاريخ ، ولا اقول (المؤرخون) بالمعنى الدقيق للكلمة ، لاعتقادي ان ليس كل من يكتب عن التاريخ يسمى (مؤرخا) ما دام المؤرخ الحق هو ذلك الذي يكون له منهج في دراسة التاريخ . ونحن الان نمر بمرحلة التجمع والحشد . تجميع اكبر عدد ممكن من الحقائق والمعلومات التاريخية وحشدها والتقاطها من مظانها المختلفة ، فمن حديث عن مناهج التعليم في دولة مغربية ، الى حديث عن اشهر مؤلفات حقبة معينة ، الى آخر عن مسجد ما الخ . وما زال لم يوجد عندنا بعد ، ذلك المؤرخ الذي ياخذ بكل هذه الخيوط المتفرقة ، ليضمها في نسيج واحد . ومن الطبيعي أن نمر بهذا الطور الان ، كمقدمة تتلوها نتائجها البعيدة المدى في المستقبل القريب أو البعيد ، فالمؤرخون لا يظهرون عادة الا بعد انتهاء مرحلة التجمع تجميع المادة التاريخية ونقدها وتصحيحها ثم تقديمها الى جمهور القراء كمراجع ميسرة يسهل تناولها والانتفاع بها على أوسع نطاق واشمله . خذ لذلك مثلا ابن خلدون ، فهو لم يستطع أن يكتب كتابه العظيم في التاريخ ، الا بعد أن سبقته مرحلة وضع الموسوعات الضخمة كتاريخ الطبري ، والكامل لابن الاثير وغيرهما وهؤلاء بدورهم ما كانوا ليعملوا عملهم العظيم . لولا ان الذين سبقوهم وضعوا بين ايديهم اشتاتا من الروايات والاخبار والاساطير، بحيث تهيا لهم ان يكونوا منها هياكل عظيمة للعصور التي ارخو لها ، اي انهم حولوها من معلومات متناثرة الى سياق تاريخي مسلسل، وبذلك استحقوا ان يحرزوا لقب مؤرخين (1) .

هذا وان عندي شعورا قويا بان مؤرخ المغرب يوجد جنينا في احشاء هذه الايام ، نظرا لتتابع الابحاث التاريخية وتعدد جوانبها وخروج المخطوطات الى وضح النهار ، ونظرا لتطلع جمهرة المثقفين الى ذلك اليوم الذي تتحول فيه هذه المواد الخام الى عمل منظم محكم التبويب ، فيه خلق وابتكار ، من حيث اسلوب التفكير التاريخي الخاضع لمناهج البحث . فقد جرت العادة بان يوجد المؤرخ عند ما تشتد الحاجة اليه ، وتتهيا المقدمات الضرورية لوجوده . ويقوى تطلع الناس اليه وترقبهم لظهوره بين حين وآخر . وكل هذه العوامل موجودة عندنا الان ، هذا بالاضافة الى البناء الضخم الذي أقامه الاجانب لتاريخ المغرب الحضاري ، على ما فيه من ثغرات وسموم لا يسلم منها عادة كل بحث يكتبه اجانب عن بلاد غير بلادهم ، تربطهم بها صلة ليس فيها تكافؤ ولا احترام ولا نزاهة، هي صلة الغالب بالمغلوب ، والحاكم بالمحكوم ، والقوي بالضعيف ، والمستغل بمناطق النفوذ ، بحيث لم يسلم ما كتبوه من روح الدس والتآمر والتزييف ، مما تندس في تضاعيف الحقائق الكثيرة القائمة على منهج العلم ومقرراته ، فهذا العمل على علاته كفيل بتقديم مساعدة قيمة لمؤرخ الغد .

ومن هنا يتضح لنا مدى العمل النافع المثمر الذي تصدى له مثقفونا المعنيون بالمادة التاريخية ، وهو التمهيد الفعال الايجابي لميلاد المؤرخ المغربي المنتظر ، كما تمهد الامطار لموسم الربيع . الا ان مثل هذا العمل لا ينجو عادة من بعض العيوب والثغرات ، شان سائر الاعمال الثقافية التي تاتي عقب الجفاف الفكري والنضوب الثقافي ، اذ انها اعمال رائدة ، لا تعتمد على سند من محاولات سابقة ، اللهم الا نتفا متفرقة هنا وهناك ، وليس من شانها أن تقيم العثرات ، وتعصم من الزلق .

ولست اريد باعطاء نظرة موجزة عن هذه العيوب التنقيص من قيمة المجهود الكبير ، المبذول من طرف اولئك الرواد المعنيين بالتاريخ المغربي فقد اشدت بعملهم القيم في كلمات سابقة ، وانما اريد التنبيه اليها عن حسن نية ، ومساهمة مني في ابراز نواحي النقص المتصلة بجانب من جوانب تطورنا الفكري الحالي . وهي عيوب تكاد تكون طبيعية — ولو في جزء منها على الاقل — اذا نحن نظرنا الى الوسائل المحدودة التي يملكها من يتصدى لكتابة تاريخنا ، ولكنها قابلة للاصلاح اعتمادا على دروس التجربة ، وعلى ما يمكن أن يسفر عنه النقد البناء النزيه .

وملاحظتي الاولى هي انني لا ارى واحدا انقطع لحقبة معينة من تاريخ بلادنا الفكري او السياسي او الاجتماعي أو الاقتصادي فوقف كل جهوده عليها ، وانما

1) كان الاستاذ الجليل عبد الله كنون سابقا لاوانه ، عندما وضع كتابه العظيم (النبوغ المغربي) الذي سيكون خير عون لمؤرخ المستقبل ، اذ وضع له علامات على الطريق ، وازال منها الكثير من العقبات .

كل باحثينا المعنيين بالتاريخ يوزعون جهودهم بين عهود قد تكون متباعدة ، على حين ان الحاجة ماسة الى التفرغ لكل حقبة على حدة ، قصد التوغل في اعماقها ، وقراءة جل او كل ما كتب عنها ما بين مخطوط ومطبوع، للافادة منه في تكوين هيكل لتلك الحقبة في ابعادها المختلفة . فنحن نرى ان من يكتب التاريخ عندنا — باستثناء البعض — تارة يعثر بمحض الصدفة على مخطوط قديم فينشره ، لينتقل بعد ذلك الى الحديث عن برج او صومعة او قبيلة ، ومن هذا الى ترجمة مقتضبة لعلم من اعلام الفكر المغربي ، وهكذا تتصل هذه الكتابات التي لاصلة بينها الا انها تنصب على التاريخ، اذ تعوزها الوحدة الموضوعية ، ولا سبيل الى انكار ان عملا من هذا القبيل ناتج عن مجهود يكون اجدى وانفع لو انه بذل في ناحية من النواحي لاعطائها حقها من التحليل والدرس . هذه واحدة .

اما الثانية فهي ان كتابة التاريخ عندنا تعوزها النظرة الواسعة ، والشمولية التي تعني رصد الظاهرة التاريخية حدثا كانت او شخصية او مظهر من مظاهر الحضارة ، مع ربط الصلة بينها وبين سائر المؤثرات التي عملت فيها من اجتماع وسياسة واقتصاد وفكر ، حتى تبدو في جذورها العميقة ، وصلاتها الممتدة البعيدة المدى . قد نجد شيئا من هذا فيما ينشر على الناس من تاريخ المغرب الفكري والسياسي ، ولكنه يحتاج الى كثير من التوسع والاحاطة ، اما اخذ الظاهرة التاريخية كعنصر منعزل عن بقية العناصر المرتبطة بها كما هو واقع الا في حالات استثنائية شاذة ، فهذا فيه تشويه للتاريخ ، وقتل لروحه الاصيلة المتمثلة في اتصال الاحداث والوقائع والاشخاص وسائر المؤثرات الظاهرة والخفية وتجاوبها وتبادلها التاثير بكيفية شبيهة جدا بما يحدث بين ظهرانينا اليوم ، وبما سيحدث غدا وبعد غد والى ما شاء الله ، نعم قد تجد الباحث الذي لا يهمل هذا الجانب في بحثه او مقاله ، بيد ان المراد هنا ليس هو مجرد التعرض للاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي رافقت ظاهرة من ظواهر التاريخ ، بل هو وضع الظاهرة في مكانها الطبيعي من تلك الاوضاع ، وعقد الصلة بينهما برباط محكم حتى لتبدو الظاهرة في مكانها الطبيعي المقدور لها . واعتقد ان هذا ما يندر وجوده فيما ينشر علينا من ابحاث تاريخية ، وهذه ثانية .

واما الثالثة فهي أن النصوص غالبا ما تبقى جثثا هوامد ، فلا تستنطق لتهب اعمق ما عندها من اسرار فانت تجد عندنا البحث المزدحم بالنصوص والشواهد الاتية من هنا وهناك ، ولكنها تبقى في سياقها شحيحة لا تفتح آفاقا للتأمل، ولا ابوابا الى الملاحظة والاستنتاج ذلك لان الكاتب يترك النصوص غارقة في صمتها العميق لا تفتح شفتيها لتتحدث ، فجل كتاب التاريخ عندنا يهيمون بالنقول ووفرة المراجع لذاتها هياما كبيرا ، ويكدسونها بالعشرات ، حتى ليكتظ بها المقال او البحث ، وكثيرا ما تجد المقال مقتضبا ضيق الجوانب، ولكنه مشحون فوق طاقته بالنقول ، ومذيل بعشرات المراجع التي كانما يؤتى بها لتدل على مبلغ اطلاع الكاتب ، لا لتؤدي خدمة ضرورية للموضوع المطروق . فهذا الكلف الزائد بالحشد والتجمع لذاتهما يعوق الباحث عن الوقفة الطويلة عند النص الواحد ، لتقليبه على مختلف وجوهه ، قصد استخلاص اقصى ما يمكن ان يعطيه من غوامض واسرار . فضيلة أن يتوفر الباحث على مراجع كثيرة متعلقة بموضوعه ، ولكن يخدش وجه هذه الفضيلة ان تحشر هذه المراجع حشرا من حيث لا داعي الى ذلك ، اما لضيق جوانب الموضوع ، حسب الحدود التي رسمها له الباحث ، واما لان الموضوع نفسه لا يتطلب كل هذا العمل ، خصوصا اذا عرفنا ان بعض كتابنا يكون بصدد مسالة، فاذا به يستطرد الى اخرى قد لا تكون لها علاقة بالاولى وذلك لاتخاذها مناسبة للزج بالمصادر المتعلقة بها ، الامر الذي يسيء الى الكتابة التاريخية باعتبارها ذات قواعد واصول . لعلك سائلني الان عن الامثلة المؤيدة لهذا الذي اقول ، ولكن الامثلة بلغت من الكثرة وسعة التداول ما يغني عن ايرادها .

ورابعة ، وهي ان التاريخ يكتب عندنا غالبا مفصولا او يكاد عن مؤثراته الخارجية . فمن يقرا ما كتب عن تاريخ المغرب الفكري والسياسي يخيل اليه ان المغرب معزولا عن التاريخ في البلاد العربية الاخرى وعن التاريخ في بعض دول اوروبا ، مع ان الواقع خلاف ذلك ، فلم تكن تطورات الاحداث في بلادنا الا متصلة باحداث وقعت في بلاد اجنبية ، قريبة او بعيدة ، بحيث بادلتها التاثير ، وكان لها اصبع في صنعها ، فنحن لا نشذ عن عباد الله في تاثرهم بكل جماعة من البشر تربطنا بهم روابط من الفكر او العقيدة او السياسة او الاقتصاد في حالة السلم وحالة الحرب ، في حالة التواصل وحالة التقاطع ، وانما نحن كغيرنا من الناس ، اخذنا واعطينا ، وتركت المؤثرات الخارجية بصمات اصابعها على كل واجهات حضارتنا وتاريخنا ، بطرق واساليب مختلفة ، بكيفية مباشرة حينا ، وبكيفية غير مباشرة احيانا . فأين هي الجهود المبذولة عندنا

للكشف عن صلة تاريخنا وحضارتنا المادية والمعنوية بتاريخ وحضارة أمم أو شعوب أخرى ربطتنا بها صلات قد تقوى وقد تضعف ، ولكنها على كل حال لم تتركنادون ان تخلف فينا أثرا من آثارها ؟ لا يكفي أن نكتب فصلا عن تاريخ العلاقة بين المغرب وبين دولة ما ، فهذا لا يغني فتيلا عن رؤية هذه العلاقة في عمقها واتخاذها أساسا من أسس دراسة ورصد حقب من تاريخنا ، كان لهذه العلاقة اثر فيها وفي طبيعة احداثها وماجرياتها والذين كتبوا عن هذه العلاقات — مع احترامي لعملهم — ادعوهم دعوة مخلص الى ان يحاولوا ايضاح آثارها على مختلف أوضاعنا قديما وحديثا . أما تركها لتظل ضمن اطارها الضيق ، دون أن تخرج عنه لتكون من أسس الدراسات التاريخية ، عندما نتناول بالحديث — مثلا — قيام دولة وسقوط أخرى ، أو قيام بعض الفتن والقلاقل وما الى ذلك ، فبالرغم من اني لا انكر قيمة هذا العمل ، فاني في الواقع ارى انه يجب الانتفاع به في محاولة وضع ابعاد جديدة لتاريخنا عند ما يكتب ، سواء بالنسبة للسياسة أو الاقتصاد أو غيرهما من نواحي الدراسة التاريخية . اريد من كتاب التاريخ عندنا أن يتبينوا الجسور التي عبرناها أو عبرها الغير الينا ، مضيفين هذا الجهد الى جهودهم الهادفة النافعة حتى لا تبقى علاقاتنا بغيرنا باهتة غامضة ، وانما تصبح ملموسة شديدة الوضوح .

وخامسة ، وهي أن الكتابات التاريخية عندنا ، قسم كبير منها ينحو منحى انفعاليا مبالغا فيه احيانا كثيرة ، بدافع من حسن النية ، وامتلاء بامجاد تاريخنا الحضاري ، حتى لربما يطلق الكاتب العنان لعواطفه ، فيتحول القلم الى مزمار ، والكلمات الى نشيد من اناشيد الحماسة الوطنية ، وهذا من شأنه ان يسيء الى الغرض الذي يتوخاه ، ولو ان عمله هذا ترجم الى لغة اجنبية لكانت نتيجته على عكس ما توخاه الكاتب ، فاذا شاء احد الحماسة فهناك قوالب لغوية اخرى خلقت لاداء مثل هذا الغرض من شعر وخطابة وليترك التاريخ الى أن تهدأ عواطفه ، ويتوب اليه رشده ، اذ ان التاريخ ليس منبرا للخطابة، ولا عكاظ لالقاء القصائد وانما التاريخ حقائق ومستندات ، تعرض في هدوء أعصاب وروية وتعقل ، وبعد عن الانفعالات .

واذا كنا قد أهبنا بكاتب التاريخ ان يلزم الموضوعية والدقة والتحري والبعد عن الحماس والخطابة ، فنحن لا نستطيع مطالبته بان يتجرد عن قدر معين من التحمس ، خصوصا في الموضوعات الحبيبة الى نفسه، الاثيرة عنده ، مما يدخل ضمن تارخه القومي . فلاشك ان هناك بعض الدول او الشخصيات التاريخية التي يتحمس لها المؤرخ ويعجب بها اعجابا كبيرا من شأنه ان يجعل حديثه عنها لا يسلم من بعض التحمس ، يمكنك أن تلمس ذلك عند بعض المؤرخين الذين تصدروا لتاريخ الدولة الاموية او العباسية ، ودونك كتاب (قيام دولة المرابطين — صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الاقصى) للدكتور محمد احمد محمود ، فقد اشاد مؤلفه بدولة المرابطين اشادة عظيمة لا يكون كفاء لها في سموها وروعتها الا عظمة المرابطين انفسهم وروعة نضالهم في المغرب والاندلس ، لاعلاء كلمة الاسلام ، ورد عادية المعتدين ، بل ان في عنوان الكتاب نفسه ما يشي بتحمس المؤرخ ، يظهر ذلك في عبارة (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الاقصى) الموضوعة مباشرة تحت عنوان الكتاب . ونفس الشيء نقوله بالنسبة الى كتاب (حياة محمد (ص)) لهيكل ، حيث بلغ اعجابه بصاحب الرسالة العظيم شأوا بعيدا جعل قلمه يدبج صفحات مشرقات تفيض اكبارا واجلالا للنبي الكريم . ولكن كلا من الرجلين لم يبلغ به التحمس الى حد الاخلال بالامانة العلمية والخروج عن مقتضى الموضوعية . وأنت واجد هذا القدر من التحمس في كتابات الاجانب عن تواريخ بلادهم وأمجادهاوحضارتها واقرأ موسوعة ديرانت (قصة الحضارة) الواقعة في واحد وعشرين مجلدا ، وقف عند حديثه عن حضارة اليونان ، ثم عن حضارة عصر النهضة ، لتلمس مقدار ما أبداه من آيات الاعجاب ، دون أن يترك ذلك يجره الى الخروج عن طبيعة التاريخ وحقائقه البارزة . فهذا النوع من التحمس لا ضرر منه ، بشرط ان يكون معتدلا مقيدا بقيود الموضوعية والدقة العلمية . أما كتاب التاريخ عندنا ، فالحق أن فيهم من يكتب بهدوء أو بتحمس غير بالغ ، ولكن هناك آخرين يتجاوزون ما رسمته لهم قواعد كتابة التاريخ ، ويطلقون العنان لعواطفهم بشكل غير مقبول ، ولهذا الفريق أسوق هذه الملاحظة راجيا أن يتوبوا الى شيء من الاعتدال .

والى هنا اود أن اقف عند مسألة اعتقد ان من الواجبات اثارتها في هذه المرحلة من تاريخنا بالذات ، تلك هي ان تاريخ المغرب الحديث لم يلق العناية الكافية او قل لم يلق عناية على الاطلاق ، من طرف المعنيين بتاريخنا . فجل ابحاثهم ان لم اقل كلها تتناول تاريخ المغرب القديم والوسيط ، وقل ان تتجه الى تاريخه مع أنه حقبة مزدحمة بالاحداث ، حافلة بالوقائع ، عرف المغرب اثناءها شرا كثيرا وخيرا كثيرا ، وتعرضت فيها الارادة الوطنية لاختبار قاسي خرجت منه ظافرة بنعمة

الاستقلال ، الامر الذي لفت نظر الاجانب ، فكتبوا عن هذه الحقبة عدة مجلدات ، من بينهم الاستاذ روم لاندو الذي اشتغل بتاريخ المغرب الحديث ، فافرد له بحوثا قيمة رغم ما ينقصها من عمق وشمول . ونذكر هنا بكل اعتزاز كتاب (المسألة المغربية) لمحمد خير فارس فهو قد القى اضواء على كثير من احداث هذه المرحلة من تاريخنا الحديث .

فما الذي جعل باحثينا لا يولون هذه المرحلة الاهمية التي هي جديرة بها ؟ لعل مرد ذلك الى انهم فضلوا تناول المراحل البعيدة من تاريخنا على المرحلة الحديثة ، لكون هذه معاشة ووثائقها ميسرة، فلا خوف عليها من ان يلفها الغموض ، ففي امكان الباحث تناولها وقتما شاء ، على حين ان الحقب القديمة يخشى عليها من ضياع قسم كبير من حقائقها ، نظرا لقلة مصادرها، وصعوبة الحصول عليها ، ومشقة الانتفاع بها وهي على حالتها الحاضرة ما بين قليل مطبوع ، وكثير مخطوط . هذا علاوة على ما يخلفه القدم على الحقب القديمة من قداسة وجلال ، من شأنهما ان يثيرا خيال الباحث ، ويستدعيا اهتمامه المتزايد ، بينما الحقبة الحديثة ينتظر بها ان تصبح ماضيا بعيدا لتظهر بوضوح نتائجها البعيدة المدى في تاريخ المغرب . قد أكون مصيبا في هذا التعليل وقد اكون مخطئا ، وسواء كان هذا او ذاك ، فالشيء الذي لاشك فيه ان وراءنا مرحلة مهمة من تاريخنا ، على حين انها حظيت باهتمام الاجانب، وليس من مصلحة أجيالنا القادمة ان نستمر في اهمالنا اياها ذلك لاننا من شهود هذه المرحلة ، والذين يكتبون تاريخنا فيهم من عاشها طولا وعرضا وعمقا ، وبحكم ذلك فهو ملم باسرارها ، التي ربما لا مصدر لها الا المشاهدة والمعاناة الحية ، وحرام أن تضيع تلك الحقائق بعد مرور عقود من السنين ، بانتهاء جيل المرحلة ، ودخول اجيال جديدة في حياة مغرب المستقبل تريد أن تعرفها ، فلا يتاح لها ذلك الا من خلال ما بين يديها من وثائق قد لا تكون كافية ، ولا مستوفية لكل عناصر الحقبة ونواحيها . وكم من حقائق تاريخية ضاعت علينا وعلى غيرنا ، لان المعاصرين لها لم يقوموا بتدوينها بوصفهم من الذين عاشوها وكانت لها اصداء قوية أو ضعيفة في حياتهم ، فكان أن تعرضت لخطر شديد ، وقطع في شانها بالظنون والتخمينات . وسوف لا تعذرنا الاجيال المقبلة اذا لم نقم بهذا الواجب الان ، لان القدر كتب لنا أن نعيش في عصر العلم والطباعة ، ولان الحقبة التي نعيش اليوم فصلا من فصولها تعتبر من ادق حقب التاريخ المغربي . واذا لم نكتبها فسيكتبها الاجانب ، كما كتبوا عما سبقها ، بل هم قد كتبوا عنها فعلا ولعلهم بسبيل أن يزيدوها درسا وبحثا ، وحينئذ لا يكون امام تلك الاجيال الا أن تعتمد كلية على المراجع الاجنبية، ويكفي ان نتصور هذا ليدرك فداحة اهمال باحثينا لتاريخ المغرب الحديث . وها نحن نرى الان ان المشارقة الذين تصدوا لتاريخ المغرب القديم والوسيط ، كان جل اعتمادهم على المصادر الاجنبية لقلة المراجع العربية ، فحملت بحوثهم بعض ما جاء فيها من عيوب ، بالرغم من الاحتياط الشديد والتحري الدقيق .

واخيرا يبدو من خلال ما قرأته من ابحاث تاريخية ان اكثر باحثينا لا يدخلون في اهتمامهم ان هناك قراء يجب ان يتخذ الكاتب وسائله للوصول الى نفوسهم وعقولهم لكسبهم واستمالتهم ، خصوصا اذا عرفنا ان شبابنا مفتون بحضارة الغرب وتاريخه ، الامر الذي يفرض فيما يفرضه محاولة جذب هذا الشباب وانتزاعه من احضان تاريخ الغرب ، ليلتفت الى تاريخ بلاده ضامنا اللذة العقلية والفنية معا ، وهذا يتطلب الاعتناء بالاسلوب عند كتابة التاريخ ، ليكون رشوة لذوق القارىء وتاليفا لقلبه، اما الكتابة التاريخية عندنا ، فهي غالبا ما تتخذ اسلوبا جافا خاليا او يكاد من الرونق والمائية ، مع العلم بأن الباحثين يكاد الاجماع ينعقد بينهم على ان التاريخ مزيج من العلم والادب ، فلا هو بالادب الخالص ، ولا هو بالعلم الخالص ، وانما فيه من هذا وذاك ، وقد نص الكثيرون من الذين تعرضوا لهذا الموضوع ، على أن التاريخ لا يمكن أن يدرس بنفس الدقة العلمية التي تجري عليها التجارب العلمية داخل المختبرات ، ذلك لان التاريخ حقب ولت ومضت ، فلا نتعرف عليها الا بآثارها وهذه متشعبة الدلالة ، خاضعة لعوامل شتى قد تؤدي احيانا الى طمس حقائق التاريخ أو تشويهها ، كما نصوا على أن الماضي البشري نفسه لم يكن ميتا ليعرض في صورة ميتة جافة، وانما كان مليئا بالوان النشاط الروحي والدوافع العاطفية التي تستكن وراء الاحداث والاشخاص ، وليس من سبيل الى اعادة الماضي حيا نابضا كما كان الا باللجوء — عند الحديث عنه — الى الاسلوب الادبي الذي يحافظ للحقائق على موضوعيتها ، وفي الوقت نفسه يوصلها الى عقل القارىء ونفسه بكيفية محببة الى النفس ، تجعل من احداث التاريخ مصدر لذة عقلية وروحية في وقت واحد . وهنا لا يسعني الا ان انوه بما نشره الاستاذ عبد القادر الصحراوي من فصول في تاريخ المغرب ، تجمع بين الدقة العلمية وجمال الاداء

نجاءت كتاباته نموذجا حسنا للشكل الذي أحب أن يكتب به تاريخ بلادنا واقرأ اذا شئت تلك الصفحات المشرقة التي تشع من كتاب (الفتنة الكبرى) للدكتور طه حسين ، وتاريخ سيرة سعد زغلول للمرحوم العقاد لتضع اصابعك على الاسلوب الحي المشرق ، الذي أعده خير معرض لاحداث التاريخ .

اما بعد ، فلا اخفي على القارىء اني مملـــوء اعجابا بهذه الفئة المخلصة من ابناء بلادي ، مكبر لها كل الاكبار ، لما تتجشمه من غوالي التضحيات ، في سبيل اظهار امجادنا وبطولاتنا وروائعنا التاريخية . فليس من السهل أن يترك الباحث الصفحات الناصعة البياض الواضحة السطور ، الجميلة الطبع ، الى دفاتـــر وكراسات وصحف قديمة تآكلت بمرور الزمن ، واكل الدهر عليها وشرب ... من اجل ان يحمل الينا اطرافـــا من احاديث اجدادنا الاقدمين ، وينشر علينا صورا من عبقرياتنا التليدة ، هذا مع قلة القراء ، وندرة وسائل النشر ، وانطباق الشفاه ، وصمتها القاتل عـــن الاعتراف بالجميل ، وكم يكون جميلا ان يضيف الـــى حسناته تلك حسنة اخرى لا تقل عن سابقاتها خيرا وبركة ، بان يجتهد حسب طاقته ليقدم الينا احسن ما يستطيع ، وما ذلك على همته بعزيز .

بقلم : عبد العلي الوزاني

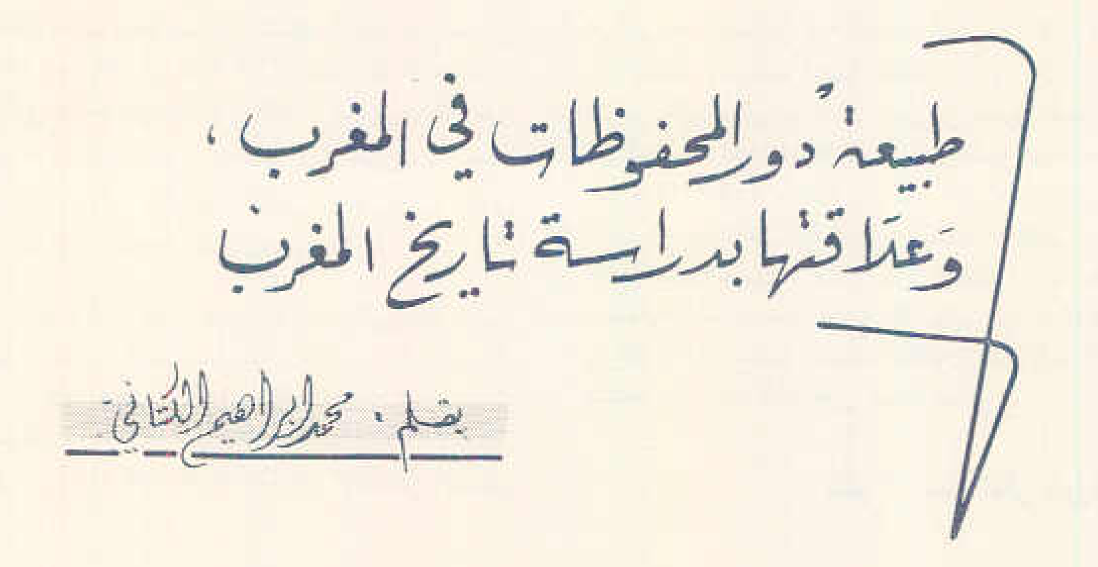
الـــى وجـــه البخيـــل !!

لمست أعرابية كف أبيها فالفتها خشنة فقالت :

هـــذه كـــف أبـــي خشنهـــا	ضرب مسحاة ونقل بالزبيـــل

فاجابها ابوها :

ويك لا تستنكري خشن يـــدي	ليس من كد لعـــــز بذليـــل
انما الذلة ان يمشـــي الفتـــى	ساحب الذيل الى وجه البخيـــل



بعث الينا الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني محافظ قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط محاضرة كان قد قدمها لمؤتمر المستشرقين الدولي السابع والعشرين المنعقد فى آن آربر . ميشيكان (الولايات المتحدة فيما بين 13 ـ 19 غشت 1967 عن طبيعة دور المحفوظات فى المغرب وعلاقتها بدراسة التاريخ المغربي .

.. هذا هو العنوان الذي اقترح على ، واصطلاح (دور المحفوظات) اصطلاح غير مستعمل بالمغرب . وانما يستعمل احيانا فى بعض بلاد الشرق العربي ترجمة لكلمة (ارشيف) التي تترجم غالبا بالوثائق . ونحن نفضل ترجمتها بالمستندات لان الوثائق تستعمل فى المغرب فى الوثائق العدلية التي خصصها المغاربة بمؤلفات عديدة ، وكان لها منذ عهد بعيد دور مهم جدا فى الحياة الثقافية والاجتماعية بالمغرب .

1 ــ ومهما يكن ، فان المغرب ليست فيه ــ لحد الان ــ مؤسسة قومية لحفظ وثائق الدولة ومستنداتها التاريخية من مراسلات رسمية ، ومعاهدات وما اشبهها . وتنظيمها وفهرستها ، على غرار ما هو موجود فى كثير من الدول الحديثة .

2 ــ مع انه توجد بالمغرب ثروة مهمة جدا من المستندات التاريخية مفرقة فى القصور الملكية ، وعند بعض الاسر التي سبق لبعض افرادها ان كانوا وزراء او سفراء او كتابا لبعض الملوك او الوزراء .

*

3 ــ وانما توجد فى المغرب مكتبات لحفظ الكتب وهي تنقسم الى : مكتبات قديمة ، ومكتبات حديثة .

*

4 ــ فالمكتبات القديمة توجد فى المساجد والزوايا ، وهي اوقاف اسلامية بحيث لا يمكن بيعها او تفويتها ، وانما يقتصر على الاستفادة منها والمحافظة عليها للاجيال المتعاقبة .

وهي كثيرة فى المغرب ، مثل مكتبة جامع القرويين بفاس ، ومكتبة الجامع الكبير بتازة ، ومكتبة الجامع الكبير بمكناس ، ومكتبة الجامع الكبير بوزان ، ومكتبة ابن يوسف بمراكش ، ومكتبة المعهد الاسلامي بتارودانت .

ومكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت ، ومكتبة الزاوية الحمزاوية بآيت عياش ، ومكتبة تانغملت ، ومكتبة بزو ، وغيرها . وهي مكتبات للمخطوطات كما توجد بالمغرب مكتبات خاصة مثل :

مكتبات القصور الملكية .

ومكتبات الافراد من العلماء والباحثين .

5 ــ واما المكتبات الحديثة بالمغرب فاهمها .

1) المكتبة العامة للكتب والمستندات بالرباط .

2) والمكتبة العامة للكتب والمستندات بتطوان .

وفي كل واحدة منها :

1) قسم خاص بالمطبوعات ، من كتب وصحف ودوريات بمختلف اللغات . ويلحق به قسم للبيبلوغرافيا المغربية .

2) وقسم خاص بالكتب العربية المخطوطة . ويلحق به قسم حديث لحفظ ملفات الوثائق الادارية لبعض الوزارات .

6 — وتوجد في قسم المخطوطات بالرباط دفاتر تشتمل على مستندات رسمية تاريخية وهي مرتبة ضمن الكتب الخطية ، ويحمل كل واحد منها رقمه ضمن ارقام المخطوطات المتسلسلة . وتجعل له جذاذة خاصة به .

مثل بقية المخطوطات (1) ومنها ما زال لم يفهرس بعد .

7 — وفي الخزانة العامة مستندات تاريخية في ورقات منفردة وهي نسخ من رسائل رسمية وشبهها.

ولم يتسع الوقت لفهرستها بعد .

8 — وبها مجموعة مهمة من الصور والخرائط التاريخية .

9 — ومن اهم المستندات التاريخية المغربية سجلات الاوقاف المسماة بالحوالات وهي تشتمل على بيان املاك المساجد والزوايا والمؤسسات الاحسانية .

وقد استخلص المؤرخ النسابة السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى سنة 1363 هـ ، 1943 م من حوالات فاس مؤلفا ضخما في المؤسسات الاحسانية بفاس . وتفت عند اولاده على نسختين منه بخط مؤلفه .

وقد صور قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على الشريط (الميكرو فيلم) أزيد من 60 مجلدا من هذه الحوالات .

وصور حوالي عشر مجلدات تتضمن وثائق اخرى .

10) واما المكتبة العامة بتطوان . ففيها أيضا بعض المستندات التاريخية . والعمل جار لفهرستها (2)

11) كما وقع الشروع اخيرا في فهرسة وثائق القصر الملكي بالرباط .

12) كما توجد كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب في خارج المغرب . في وثائق الدول التي كانت للمغرب معها علائق ديبلوماسية ، وهي جل الدول المتحضرة ، في افريقيا ، وآسيا ، واوروبا ، والولايات المتحدة .

13) وللمكتبة العامة بالرباط **فرع في باريس باسم القسم التاريخي المغربي** مهمته البحث عن الوثائق المغربية الموجودة في مختلف البلاد الاوربية ، ووضع فهارس لها وترتيب ما يوجد منها في كل بلد حسب العصور ، ودراستها ونشرها بنصها العربي مصورا وبالحروف المطبعية مع ترجمتها الى لغة البلاد التي وجدت بها .

14) وقد صدر منها لحد الان حوالي 18 مجلدا ضخما بعنوان مصادر :اريخ المغرب غير المطبوعة . وهي تتضمن بعض ما يوجد في البرتغال واسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولاندة عن العلاقات بين المغرب وهذه الدول .

15) وفي هذا القسم بباريس صناديق كثيرة تتضمن عددا كبيرا من جذاذات فهارس كثير من الوثائق الموجودة في كثير من الدول .

16) ولكن كثيرا من دول اخرى لا اثر للوثائق المغربية بها في هذا القسم، مثل تركيا وامريكا، وغيرهما

---

1) راجع الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح . القسم الثاني ، الجزء الثاني ، مطبوعات افريقيا الشمالية بالرباط 1958 م ، رقم 2101 ، 2102 ، 2123 ، 2128 .

2) راجع احمد المكناسي ومصطفى الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاي الحسن الاول 1294 — 1311 هـ (1877 — 1894 م) (القسم الاول) المجموعة الاولى ، تتضمن 413 وثيقة . من 100 مطبعة منيرفا ، تطوان ، 1921 المكناسي ومحمد الغازي الرويقي وثائق لدراسة تاريخ المغرب مراسلات وزراء مولاي الحسن الاول 1291 —1308 هـ (1874 — 1891 م) المجموعة الاولى القسم الثاني ، ويتضمن 308 وثيقة من 110 مطبعة المكتبة العامة بتطوان 1965 .

17) واما الكتب المخطوطة في المكتبات المغربية المختلفة ، فان لها على العموم صلة بالتاريخ المغربي من قريب أو بعيد ، حتى ولو كانت في موضوع غير تاريخي كما لا يخفى .

18) وان ما اعتاده كثير من المؤلفين العرب في العصور المتأخرة من الاستطراد والخروج عن موضوع الكتاب الاصلي لادنى مناسبة — كما يقولون — جعلك تعثر على معلومات تاريخية صميمة ، في كتب بعيدة بعدا كبيرا عن موضوع التاريخ (3) .

19) وقد جرت عادة كثير من الناسخين والمجلدين ان يتركوا في اول الكتاب وآخره اوراقا بيضاء ، وكثيرا ما يكتب بعض مالكي الكتاب في هذه الاوراق البيضاء تقاييد مختلفة ، وقد يكون من بينها معلومات تاريخية : من وفيات بعض الملوك والحكماء أو الصالحين أو حدوث وباء او حريق او حرب او ثورة او ما اشبه ذلك بينما الكتاب قد يكون في موضوع بعيد اشد البعد عن التاريخ ، أما لاذكار او الامداح النبوية او الطب او الحساب أو غير ذلك (4) .

20) واما الكتب التاريخية او القريبة الصلة بالتاريخ فان للمغرب منها ثروة مهمة تتناول تواريخ دوله ، والمحدثين ، والوزراء ، والكتاب ، وأهل بعض القرون، وبعض المدن ، وبعض الاقاليم ، وبعض القبائل ، وبعض العائلات ، وبعض الطرق الصوفية ، وما اشبه ذلك (5) ويقارب عددها — فيما وصل اليه علمنا في الوقت الحاضر — الثلاثة الاف كتاب واذا استثنينا من هذا العدد ما يعتبر ضائعا وما وقع التساهل في عده من كتب التاريخ مع بعد صلته بها ، فان العدد الباقي بعد ذلك يتجاوز الالف كتاب بكثير .

21) وقد ردد عميد المستشرقين الروس كراتشكوفسكي — اكثر من مرة — قوله : ان التاليف التاريخي استمر منتعشا في المغرب ، ابتداء من القرن الخامس عشر **حتى فاق المغرب في هذا بقية الاقطار العربية ،** وظل هذا الفن يشغل اهتمام علمائه المحليين الى القرن العشرين ، كما ان نمط الرحلة التقليدي بقي حيا الى القرن التاسع عشر (6) .

والواقع ان نمط الرحلة التقليدي استمر هو الاخر الى القرن العشرين . وما يزال الى اليوم .

23) والظاهر ان ما اشار اليه من استمرار التاليف التاريخي منتعشا في المغرب يرجع بالاخص الى اعتزاز المغاربة القوي باستقلالهم السياسي الذي ظلوا متمتعين به طوال تاريخهم الاسلامي ، وتفانيهم في المحافظة عليه ، وتمسكهم الشديد بشخصيتهم الخاصة فلم يصبهم ما اصاب البلاد العربية الاخرى من جراء الحكم التركي . مما جعل الثقافة العربية تحافظ على ازدهارها في المغرب .

وهذا التعليل اقرب من التعليل الذي نقله كراتشكوفسكي (6) عن بروكلمان من ان الانقلابات العديدة في الحكومات قد عاونت كثيرا على امدادهم — يعني علماء المغرب بالمادة اللازمة !

ولاشك ان كثرة ما الفه المغاربة في الميادين التاريخية التي لا تتصل بميدان الانقلابات الحكومية تدل على ضعف التعليل الذي ذكره !

24) يناهز عدد المخطوطات العربية في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط اليوم عشرة الاف مخطوط ، بعد أن كان على عهد الحماية لا يتجاوز

---

3) راجع محمد المنوني : المصادر الدفينة في تاريخ المغرب مجلة (البحث العلمي) التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس السنة الرابعة العدد العاشر يناير — ابريل 1967 من 9 — 19 . مطبعة الرسالة بالرباط .

4) راجع محمد ابراهيم الكتاني : جولة في المخطوطات العربية الاسبانية ، مجلة (دعوة الحق) ، الرباط ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، دیسامبر 1966م من 97 رقم 74 ، 75 . والعدد الخامس ابريل 67 ص 53 — 54 .

5) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الطبعة الاولى 1369 هـ 1950 مطبوعات معهد مولاي الحسن ، المطبعة الحسنية ، تطوان المطبعة الثانية 1960 و 1965 دار الكتاب ، الدار البيضاء .

6) راجع اغناطيوس يوليا نفتتش كراتشكوفسكي :تاريخ الادب الجغرافي العربي تعريب صلاح الدين عثمان هاشم . ص 461 و ص 730 . مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1963 و 1965 .

الالفين الا بقليل — بينها حوالي 150 تتصل بتاريخ المغرب (7) .

فقد أضيفت اليها — بعد الاستقلال — كثير من مخطوطات عدة مكتبات اهدتها مصلحة الاملاك المخزنية للخزانة العامة بالرباط .

واوقف السيد ابن عاشر الكتبي بالرباط أزيد من ثلاثمائة مخطوط سلمها لقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

واسست بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط جناحا بمخطوطات الاوقاف التي عثرت عليها في مكتبات الاوقاف (*) وخصوصا في مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت التى تقع بوادي درعة على بعد نحو 400 كيلو متر جنوب مراكش حيث عثرت على حوالي 4.000 مخطوط يكاد ما يتعلق منها بتاريخ المغرب يقارب المائة ، بينها بعض النوادر والفرائد اليتيمة (8)

وقد أمر المرحوم محمد الخامس بنقل حوالي الف منها الى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

25) ومن النوادر المتعلقة بتاريخ المغرب التي عثرت عليها بتامكروت .

1 — المسند الصحيح الحسن ، بذكر مآثر السلطان ابي الحسن (المريني) تاليف الخطيب ابن مرزوق (9) .

2 — والمجلد الاخير من (البيان المغرب) الخاص بتاريخ دولة الموحدين لابن عذاري المراكشي (10) .

ومن الفرائد اليتيمة :

1 — الاكسير ، في فكاك الاسير ، للسفير محمد ابن عثمان المكناسي المتوفى سنة 1214 هـ 1799 وهي رحلة عن سفارته لاسبانيا سنة 1193 هـ 1779 م (11)

---

7) راجع ليفي بروفانصال : فهرسة اسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية بعاصمة رباط الفتح (ص 124 — 62 ، (القسم الاول) .
وعبد الله الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الاقصى) القسم الثاني (1921 — 1953) الجزء الثاني ص 101 — 141) مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية ، شارع بيارن رقم 22 الرباط 1958 .

8) راجع عبد الله شقرون : اكتشاف مخطوطات عربية نادرة في المغرب ، حديث مع الاستاذ ابراهيم الكتاني ، مجلة (الاذاعة الوطنية) الرباط ، العدد الثالث عشر ، السنة الثانية (غشت) 1959 — ص 14 — 16 .

9) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى رقم 166 الدار البيضاء 1960 م .
وزارة التهذيب الوطني : قائمة لنوادر المخطوطات العربية ، بمناسبة الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين بفاس . الرباط 1960 م ص 67 رقم 300 .

10) راجع امبروسي هويسي مراندة : مقدمة الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذاري تطوان 1960 ص 8 — 9 .
وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1960 رقم 468 .

11) راجع محمد ابراهيم الكتاني : الكتاب المغربي وقيمته . مجلة (البحث العلمي) العدد 4 و 5 السنة الثانية ، يناير — غشت 65 ص 11 .
ومحمد الفاسي : مقدمة (الاكسير) الرباط 1965 ص ط و ظ و و منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، مطبعة اكدال ، الرباط ، 1965 م .
وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الطبعة الاولى تطوان 1950 رقم 1143 والطبعة الثانية الدار البيضاء 1965 رقم 1434 .

* الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني كان ضمن بعثة مؤلفة من موظفي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة التعليم حيث كلفت هذه اللجنة بالتوجه الى مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت قصد كشف المخطوطات الموجودة بهذه الخزانة .
وقد أعطت وزارة الاوقاف كامل التسهيلات لهذه اللجنة الادارية وصرفت اموالا على هذه الكتب لجلبها الى الخزانة العامة بالرباط حيث عمل المسؤولون على تنظيمها وترتيبها وفهرستها قصد الاستفادة منها حاليا وللاجيال المقبلة !!

« دعوة الحق »

2 ــ هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام ، لاحمد بن محمد بن داود بن يعزى ابن يوسف احزي الجزولي الهشتوكي المتوفى سنة 1127 هـ 1715 م وهي رحلته الاولى للحج من تفازي سنة 1096 هـ 1684 م (12) .

3 ــ رحلته الثانية للحج سنة 1121 هـ . 1710 م وهما معا مبيضة المؤلف بخطه (12) .

4 ــ رحلة الحج لعبد الله ابي مدين بن احمد بن الصغير الدوعي الروداني المتوفى عام 1157 هـ 1744م وكان حجه عام 1152 هـ 1739 م . (13)

وجاور بالمدينة ثم حج ثانية ورجع عام 1155 هـ 1742 م وفيها معلومات طريفة مفيدة فى تاريخ المغرب. وكان ذهابهم عن طريق الصحراء ورجوعهم عن طريق تازة وفاس ومكناس ومراكش .

5 ــ ورد الشهي العاطش ، وصولة الاسلام بالعرائش وهي ارجوزة ليوسف بن محمد الشودري التطواني ، تحتوي على نحو سبعين ومائة بيت ، نظمها بمناسبة تحرير مدينة العرائش من الاحتلال الاجنبي عام 1101 هـ 1689 م (14) .

وعثرت فى مكتبة الجامع الاعظم بمدينة تازة على 1 ــ مجموعة من الاوراق المختلطة تبين بعد ترتيبها الذي تطلب وقتا طويلا انها تتضمن : حوالي عشرين رسالة موحدية اغلبها من مؤلفات المهدي بن تومرت (514 هـ) (1130) .

واذا كان اغلب ما فى هذه المجموعة موجودا فى المجموعة المعروفة بكتاب (أعز ما يطلب) المطبوعة فى الجزائر سنة 1321 هـ 1903 م . فان فيها ــ مع ذلك، ومع ضياع بعض أوراقها ــ مخالفات مع النسخة المطبوعة .

كما ان بها رسالتين موحديتين غير معروفتين : احداهما بعنوان : رسالة امير المومنين ايده الله الى جزولة ، والثانية : الى جماعة اهل التوحيد .

وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذي اكمله الخليفة ابو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن (580 ــ 594 هـ) 1180 ــ 1199 م وهو بتاريخ ربيع الاول 595 هـ (يناير 1199) .

ولا تعرف منه نسخة فى مكان آخر .

وهذه اول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه المجموعة .

2 ــ مباحث الانوار ، من أخبار بعض الاخبار تاليف احمد ابن يعقوب الولالي نزيل مكناس المتوفى سنة 1118 هـ 1706 م (15) .

وعثرت فى المكتبة اليوسفية بمراكش على مجلد ضخم مختلط الاوراق ، لا اول له ولا آخر وبعد جهد جهيد وجدته شرحا لبعض رسائل المهدي ابن تومرت .

ومؤلفه يسمي نفسه ابا بكر ؟

ويسمي المهدي بالمعصوم ! ويترضى عنه كلما ذكره ، مما يدل على انه الف فى عهد التحمس لوصف ابن تومرت بالعصمة ! ويتجلى من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على كتب كبار المتكلمين والاصوليين من الاشاعرة . وهو مفيد جدا فى معرفة آراء الموحدين الكلامية والاصولية وخصوصا حول القياس والاجتهاد اللذين كثر الجدل بين المؤرخين المغاربة المعاصرين حول موقف الموحدين منهما ، وهو جدير بالدراسة المتعمقة .

26) ويوالي قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط عنايته بتنمية عدد مخطوطاته وخصوصا التاريخية منها ، وعلى الاخص المتعلقة بتاريخ المغرب .

27) ومن اهم اعمال قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بتصوير كل ما يستطيع التوصل اليه من نوادر مخطوطات الاوقاف ومخطوطات المكتبات

---

12) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1965 رقم 1617 ورقم 1486 .

13) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الدار البيضاء 1965 رقم

14) راجع محمد داود تاريخ تطوان . المجلد الثاني ص 13 التعليق 1 تطوان 1384 هـ 1965 معهد مولاي الحسن للبحوث .

15) راجع عبد السلام ابن سودة دليل مؤرخ المغرب الاقصى . الدار البيضاء 1960 رقم 856 .

الخصوصية ، وحتى بعض المخطوطات الموجودة خارج المغرب (16) .

28) وتجاوز اشرطة المخطوطات فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط الف مخطوط ، وبها نحو مائتي مخطوط فى تاريخ المغرب . ومنها :

29) 1 — المجلدان الرابعوالخامس من كتابالدر المنتخب المستحسن ، فى بعض مآثر امير المومنين مولانا الحسن ، تاليف ابي العباس احمد بن محمد بن الحاج السلمي المتوفى سنة 1316 هـ 1898 م (17) .

2) المجلدات الستة التي ما زالت مخطوطة من كتاب الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام . للقاضي عباس ابراهيم المراكشي — وقد سبق ان طبعت منه الاجزاء الخمسة الاولى — .

3) الظل الوريف ، فى محاربة الريف ، للقاضي احمد بن العياشي سكيرج ، المتوفى عام 1363 هـ 1944 م .

وهي معلومات عن ثورة التحرير الريفية بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله .

تلقاها المؤلف شفاهيا من احد قادة الثورة السيد محمد ازرقان الذي كان منفيا بمدينة الجديدة وكان المؤلف قاضيا بها .

ويقع فى حوالي مائة ورقة .

30) ومن نشاط قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بترتيب مخطوطات مكتبة القصر الملكي بالرباط وتنظيمها وفهرستها والتعرف على نفائسها وذخائرها .

وقد ناهز ما اتممنا — لحد الان — تسجيله وفهرسته التسعة الاف مخطوط ومن بينها من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب ، وكثير من النوادر والفرائد اليتيمة (18) .

31) وفى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بتطوان حوالي 900 مخطوط ، ولم يشرع فى فهرستها الا حديثا ، ولا تخلو من بعض المخطوطات التاريخية ، ولكن ليس فيها ما له قيمة خارقة للعادة . (19)

32) ومن اهم مراكز المخطوطات العربية بالمغرب مكتبة جامع القرويين بفاس . حيث يوجد أزيد من ثلاثة آلاف مخطوط . ولكن تقل بينها المخطوطات التاريخية وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب . ومن بينها :

مجلدان ضخمان مشتملان على وثائق متعلقة باملاك المرابيح من بلاد جير والساورة بارض البيض ، بتاريخ عام 1111 هـ 1699 م وهي من الاقاليم التي

---

16) راجع محمد ابراهيم الكتاني : جولة فى المخطوطات العربية باسبانيا ، مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط . السنة التاسعة . العدد التاسع والعاشر ، يوليوز — غشت 1966 ص 82 — 87 ، السنةالعاشرة العدد الاول — نونمبر 1966 ص 64 . العدد الثاني ديسامبر 1966 ص 93 — 98 . العدد الثالث يناير 1967 ص 92 — 97 العدد الخامس ابريل 1967 ص 53 — 58 .

17) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب رقم 542 . الدار البيضاء 1960 .

18) راجع محمد الفاسي : الخزانة السلطانية وبعض نفائسها . مجلة (البحث العلمي) — الرباط — العدد الرابع والخامس ، السنة الثانية ، يناير — غشت 1965 م مطبعة الرسالة بالرباط ، ص 68 — 77 .

وراجع محمد ابراهيم الكتاني : العثور على خمس مخطوطات من (البيان المغرب) بمكتبة القصر الملكي بالرباط لم تكن معروفة من قبل . مجلة (تطوان) للابحاث المغربية الاندلسية ، منشورات الجامعة المغربية كلية الاداب ، معهد مولاي الحسن للابحاث المغربية الاندلسية . العدد التاسع 1964 م ص 167 — 171 .

19) راجع عبد الله كنون : المخطوطات السرية فىتطوان . مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية . القاهرة . المجلد الاول . الجزء الثاني نونمبر 1955 ص 170 — 189) .

استمرت تحت حكم الدولة المغربية الى اوائل هـذا القرن (رقم 40 — 779) . (20)

وليس لمخطوطات القرويين فهرس مطبـوع باستثناء قائمة لا قيمة لها (21) .

33) وقد عرف المغرب في القرن 19 منذ عـرف المطبعة حركة نشيطة لطبع — مخطوطاته التاريخية ، واستمرت حركة النشر حتى في عهد الحماية على الرغم من محنة اللغة العربية والثقافية المغربية في هذا العهد البغيض . وما أن استعادت الامة استقلالها السليب حتى عرف نشر مخطوطات التاريخ المغربي نشاطـا ملحوظا حيث تقوم المطبعة الملكية بنشر مجموعة من نوادر مخطوطات مكتبة القصر الملكي التاريخية ، كما قام مركز البحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس بتعاون مع معهد مولاي الحسن بتطوان بنشر مجموعة مهمة من المخطوطات التاريخية المغربية وكثير منها مما عثرنا عليه اثناء البحث عن نوادر المخطوطات بعـد استقلال المغرب ، ✻ وهذا زيادة على نشره بعض المؤلفين او بعض دور النشر الخاصة .

وما يزال في كل من المكتبتين العامتين بالربـاط وتطوان ومكتبة القصر الملكي وبعض مكتبات الاوقاف وفي بعض المكتبات الخاصة مخطوطات تاريخية عديدة تنتظر دورها للنشر هي الاخرى .

الرباط : محمد ابراهيم الكتاني

---

20) راجع العابد الفاسي : خزانة القرويين ونوادرها . مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهـرة — المجلد الخامس الجزء الاول ، مايو 1959 ص 8 — 16 .

21) راجع برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين بعاصمة فاس . فاس بالمطبعة البلدية بدار المكينة سنة 1917 ويعرف بفهرس بل .

✻ وتتميما للفائدة فقد عرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هي الاخرى حركة نشيطة في بعث الثقافة الاسلامية بنشر امهات الكتب والمؤلفات ، ونفائس المخطوطات التي تزخر بها المكتبات المغربية العامة منها والخاصة .

فقد اصدر قسم التاليف والنشر التابع لهذه الوزارة عدة مخطوطات ونفائس لامهات الكتب النادرة نذكر بعضها .

— « أربعون حديثا في اصطناع المعروف » ، تاليف ابي محمد عبد القوي المنذري ، وشرح ابي زيد عبد الرحمان الثعالبي ، تعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، والكتاب يقع في نحو 100 ص من الحجم المتوسط ، أنجز طبعه سنة 1962 .

— الجزء الاول من كتاب (مختصر العين) تاليف ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ، قوم نصه وعلق على حواشيه وقدم له ، الاستاذان علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي ، والجزء في 80 صفحة من الجرم الكبير ، طبع سنة 1963 .

— كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) ، تاليف ابي الفضل القاضي عياض اليحصبي رحمه الله ،

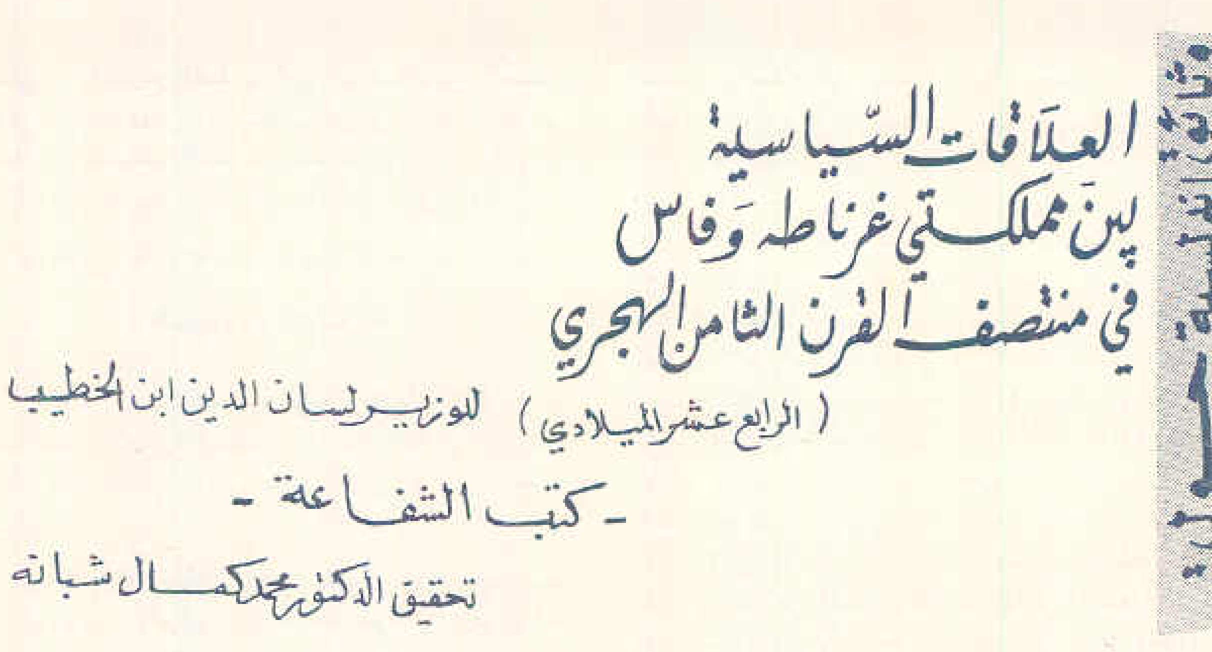
— الجزء الاول من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تاليف ابـي الفضل القاضي عياض اليحصبي السبتي رحمه الله ، تحقيق وتعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، طبع في حجم كبير 216 صفحة سنة 1965

وقد اصدرت الوزارة في هذه السنة الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك . تصحيح وتعليق الاستاذ عبد القادر الصحراوي .

وقدم الجزء الثالث من هذا الكتاب للطبع وسيكون قريبا بين ايدي القراء .

— التمهيد ، لما في الموطا من المعاني والاسانية، تاليف الامام ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي .

« دعوة الحق »



تقديـــم

من اكابر شيـوخ ابن الخطيـب ــ رحمه الله ــ واعلامهم ، الامام العلامة قاضي القضاة بفاس ، الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي القرشي المقري التلمساني ، وهو جد صاحب كتاب « نفح الطيب » اديب المغرب الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1024هـ)

ولد هذا الجد بتلمسان ، وبها نشأ ، ثم سكن فاس المرينية ، وبها اشتهر «عالما عاملا ، ظريفا ، نبيها ، ذكيا ، نبيلا ، فهيما ، متيقظا ، جزلا ، محصلا (1) » . رحل الى المشرق ، وقضى فريضة الحج ، وفي رحلته هذه التقى بالعلماء ، ثم عاد الى المغرب ، حيث انقطع لنشر الثقافة بين طلابها ، « فلما ولي ملك المغرب السلطان ، محالف الصنع ، ونشيدة الملك ، واثير الله من بين القرابة والاخوة ، امير المؤمنين ابو عنان اجتذبه ، وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وانفذ الحق ، والان الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل ، وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، واحبته الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم فرايت من صبره على اللدد (2) ، وتأنيه للحجج ، ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب » .

وما زال الشيخ يمارس قضاء الجماعة ــ على نحو ما راينا ــ حتى حيل بينه وبين المنصب ، ولم يكن هذا يعني عدم الاستفادة كلية من الرجل ؛ فقد بعثه السلطان ابو عنان الى معاصره بالاندلس ، السلطان ابى الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر ، سابع ملوك بني الاحمر ، فوصل الى الحضرة بغرناطة في اواخر عصر هذا السلطان على الارجح ، وقضى غرض الرسالة ، واثناء منصرفه بدا له في مدينة مالقة ان ينبذ الخدمة في المغرب ، وان يبقى بهذه المدينة منقطعا للعبادة ، بيد ان الرفاق سرعان ما خلوا بينه وبين ما اراد ، ولحقوا بالسلطان المريني ، حيث انباوه بما كان من أمر سفيره الشيخ ، واوغرت الحاشية صدر ابي عنان تجاهه ، وكان صاحبنا قد « لحق بغرناطة فتذمم بمسجدها ، وجار بالانقطاع الى الله ، وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه » وهنا ينهض تلميذه لسان الدين ابن الخطيب مدافعا عنه ، مستشفعا أبا الحجاج لدى ابي عنان ليصفح عن شيخه ، ويغفر له زلته ، وصدرت في هذا الشأن مكاتبات سياسية بين بلاطي غرناطة وفاس ؛ نقدم اليوم منها ما عثرنا عليه في مخطوط ابن الخطيب، « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الاسكوريال 1712 ــ وهي ثلاث وثائق ، تدور في جملتها حول هذا المضمون ، وقد حمل بعضها ــ صحبة المستشفع له ــ كل من الشيخين : قاضي الجماعة ابي القاسم الحسني

1) المقري : نفح الطيب جـ 7 ص 132 .
2) نفس المصدر ص 133 ــ 134 .

السبتي ، والشيخ الخطيب ابي البركات بن الحاج البلفيقي « مشافهين (السلطان المريني) بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة ، وتنفست الكربة » ، وعفا ابو عنان عن الشيخ ، واكرم وفاده الرسولين (1) .

فيما يلي نقدم هذه الوثائق الثلاث :

« الوثيقة الاولى »

(43 : أ) ومما كتب في غرض الشفاعة (43 : ب)، بسبب الفقيه الصدر، الخطيب ابى عبد الله بن مرزوق، الى السلطان المذكور (ابى عنان فارس المريني) بما نصه :

« المقام الذي ظلال فضله ممدودة ، وينابيع جوده موروده ، وابواب مثابته مقصودة ، وحركات اقباله مرصودة ، وكتائب نصره مؤيدة معضودة ، وجواهر فخره على ترائب الزمان ونحره منسوقة منضودة . مقام محل اخينا الذي نصل الثناء على معاليه ، ونقتنص نتيجة النصر من مقدمة وعده وتاليه، ونردد مفصل حمده وتواليه ، على استمرار الدهر وتواليه ، ونتوعد العدو الكافر به ويمن يواليه ، وننذره بحلول الآثار العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا (فارس) ابو عنان ، بن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) بن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله مقصود الجناب واصلا لمتين الاسباب ، تحيى أسنة كتائبه رسوم السنة والكتاب ، وتتكفل عزائمه للاسلام واهله بنيل الطلاب وبلوغ الاراب ، ولا زال سعده مقبل الشباب مفتح الابواب ، وصنع الله له أنيق الاثواب ، ومراقبته لله تعالى كفيلة بالزلفى وحسن المآب . معظم مثابته العالية وجادته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثنى على مكارمه الوافية وفواضله الكافية، الداعي لملكه باتصال العز وتوالي العافية . الامير عبد الله يوسف ، بن امير المسلمين ابى الوليد اسماعيل ، ابن فرج ، بن نصر .

سلام كريم ، (44 : أ) ، برعميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله ، والثناء عليه بمتواتر جوده ومترادف فضله ، الذي نمحض الود الخالص من اجله ، ونصل اليد على دفاع من حاد عن سبله ، ونخلص الضمائر لاعلاء دينه الحق وجمع شمله . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله، خيرة انبيائه وخاتم رسله ، الذي نعول على جاهه في الامر كله ، ونأوى في الدنيا والاخرة الى ظله . ونجعل المودة في ابتغاء مرضاته وسيلة الى كريم محله . والرضا عن ءاله واصحابه وانصاره وأحزابه واهله ، المقتدين به في قوله الكريم وفعله ، المهتدين بهديه في ظعنه وحله، وعقده وحله ، المستمسكين بمتين حبله ، والدعاء لمقامكم الاعلى بنصر يمضي في الاعداء شبا نصله ، وصنع يتكفل للاسلام بسوق فرعه وثبات اصله — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم سعدا تطلع به افق الاسلام كواكبه ، ونصرا تسطر في صحف الايام عجائبه ، وصنعا الاهيا يعرف بالحاضر منه غائبه ، واعتناء تتيسر به آمال الدين الحنيف ومطالبه من حمراء غرناطة، حرسها الله ، وعندنا من التشيع لمقامكم عقائد بواطنها بالظواهر معضوضة ، وأوقاتها بما يرضي الله — عز وجل — مشهودة ، وآمالنا بالاعتداد بكم ظلالها ممدودة ، (44 : ب) وجهاتنا بتأميل مقامكم ابواب المخاوف عنها مسدودة . ابقاكم الله بقاء يشرح صدر الاسلام ، وتتهلل له وجوه الايام ، وحكم لملككم على اعدائه بثبات الاقدام ونصر الاعلام .

والى هذا ، فاننا — بعد ان نقدم الواجب الاولى، والمهم الذي لا نؤثر على تقديمه قولا ، من السؤال عن احوال ذاتكم السنية ، وتقرير التشيع الى تلكم المثابة السلطانية ، وبث ما عندنا من خلوص الضمير وامحاض النية ، — نعرفكم — عرفكم الله أسباب السعادة الابدية، ونصر بعزماتكم طائفة الامة المحمدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية — ان الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبا عبد الله بن مرزوق — وصل الله عزته ، ويسر وجهته — لما ورد علينا ، واستقر لدينا، وهو جملة من جمل الفضل ، والمستولى على امر الحصل . وفارس المنابر يروض صعابها ، ويفرع هضابها — قمنا جهد امكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وببابكم الكريم في ترفيع قدره ، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد افادته، وشددنا عليه يد الاغتباط في ابدايه واعادته ؛ اذ هذا القطر المنقطع يتوفر فيه الاغتباط بحملة السيوف وحملة العلوم ، وهؤلاء قامة الجهاد المحتوم ، وهو لالاء قامة ما للدين من الرسوم ، ومع ذلك فلم يقر له بتفريق شمله قرار ، ولا فارقة اليهم حنين ولا ادكار ، والاوطان (45 : أ) لا تفارقها الافكار ، والاولاد ثمرة الفؤاد ، وافلاذ الاكباد .

---

1) نفس المصدر ص 134 .

ولما صدر فيما تقدم من التماس وصولهم ما لم يهيئه المقدار ، و صحبه الاختيار ، عزم الان – والله يسني توفيقه ، ويسهل طريقه – على قصد بابكم ، الكفيل بالامل الضمين لنجاح العمل ، ليجدد العهد بتعظيم مثابته ، ويبث ما يعانيه بسبب تشتت شمله من كاتبه ، ويباشر الرعية بنفسه واثقا بتلبية المقام الكريم واجابته . ولم يزل منه هذا العزم معمل الركائب مفتح الابواب ، لا سيما مع ما تقدم في شانه من مخاطبة ذلك الجناب ، وكنا نكل الامر الى اختياره عند ورود الخطاب، فيعتذر بما قرر من الامور الخاصة والاسباب، والان افصح بتغلب شوقه ووجده ، وارتفاع اعذاره واستقامة قصده ، وشرع في اللحاق ببابكم الاعلى بغاية جده ، وطلب عنا ان نخاطبكم في شانه ، ونستمطر له من مقامكم سحائب احسانه . ونرغب منكم في تيسير امله ورغبته ، واسعاف قصده ونيل طلبته . ومقامكم غني عن التنبيه على من اشهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح في دياجي الليل وسدفه ، والثناء الكريم الذي يخجل الزهر حين مقتطفه .

فبادرنا الى اسعاف سوله ، وتيسير مامولة ، وتسهيل سبيله ، وترجيح دليله ، اذ هذه الجهات الودية لا يختلف – كما ذكرنا – حكمها ، ولا يعفو في المودة رسمها . (45 : ب) وعرفنا مقامكم بذلك ليكون منه على علم مقرر ، واصل محرر . ونحن – على ما يعلمه مقامكم من التعظيم الذي اسبابه مبرمة ، من التشيع الذي آيته محكمة ، والود الذي حلله مطرزة معلمة – لا يمر يوم الا ولدينا عن مقامكم العلي سؤال ، وفي تسني آماله – بحول الله – آمال . وهو سبحانه يصل سعودكم ، ويحرس وجودكم . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع وعشرين لرجب الفرد ، من عام اربعة وخمسين وسبعمائة (1) عرف الله بركته » .

« الوثيقة الثانية »

« المقام الذي يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ويتم الفضيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده المادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الاعمال الصالحة قصده ، واعجز الالسنة حمده ، السلطان الكذا (أبو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) ابن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله – سبحانه – لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجا الاحمى والوالي النصير ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف بن السلطان ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر) .

سلام كريم ، طيب برعميم ، يخص مقامكم الاعلى، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمدا يكون كفؤا للنعم التي اولاها وأعادها ووالاها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها واعلاها ، الممتاز من انوار الهداية بأوضحها واجلاها ، مطلع آيات السعادة بروق مجتلاها . والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعسل ذكرهم في الافواه (2) فما اعذب اوصافهم على الالسن وأحلاها . والدعاء لمقام ابوتكم – حرس الله تعالى علاها – بالسعادة التي يقول الفتح : انا طلاع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلي فلاها ، فانا كتبنا اليكم – كتب الله تعالى لكم – عزة مشيدة البناء، وحشد على اعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه وبسابقة الاعتناء – من حمراء غرناطة – حرسها الله – والود باهر السناء ، مجدد على الاناء ، والتشيع رحب الدسيعة والفناء .

والى هذا – وصل الله تعالى سعدكم ، وحرس مجدكم – فانا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح ابي عبد الله المقري خار الله تعالى لناوله ، وبلغ الجميع من فضله العميم امله ، جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثلة ، والمآرب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد ، وظمآها عن نهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ، حسبما سنه الاب الكريم

---

1) الموافق 19 يوليو 1353 م .

2) عسل ذكرهم : وجده الناس طيب المذاق ، واستعذبوا الحديث عنهم .

والجد ، والقيب الذي وضح منه فى المكارم الرسم والحد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من احواله صدق المخيلة ، وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار ، واختلاطه باللفيف والغمار ، واقباله على مايعني امثاله من صلة الاوراد ومداومة الاستغفار، وكنا لما تعرفنا اقامته بما لقة لهذا الغرض الذي شهره ، والفضل الذي ابرزه العيان واظهره ، امرنا ان يعتنى باحواله ، ويعان على فراغ باله ، ويجري عليه سبب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله ، قلنا: اما اتاك من غير مسالة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من ما لقه على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمي والمنتسب،وسكن بالمدرسة(1) بعض الاماكن المعددة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه بتعريفه ؛ ولم تتحقق زوائده واصوله لقلة تصريفه .

ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة . وقررنا ما تحققناه من امره ، وانقباضه عن زيد الخلق وعمره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر اثيرا ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا، وسالنا منكم ان تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه، وقصر عليه اقصى همه ، فما اخلق مقامكم ان يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الاخرة على حظه الباقي وقسمه ، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعمله ، ويعول البرىء على فضله ويثق المذنب بحلمه . فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو ارب من آراب ، وقالدة من جراب ، ووجه من وجوه عراب . فراينا ان المطل بعد جفاء ، والاعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء وبادرنا الان الى العزم عليه فى ارتحاله ، وان يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وان يقتضي له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الاسعاف فى الطريق ان قصد ؛ اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا . ولما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها ابدا بحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض.

فكملوا ابقاكم الله – ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، والحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو اصح حديث فى الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب ، وقصد غافر الذنب قابل التوب (2) باخلاص المتاب ، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب، واظهروا عليه عناية الجناب، الذي تعلق به – اعلق الله به يدكم – من جناب ، ومعاذ الله ان تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الاراب (3).

وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها احمد المناب ، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان (4) ، ولولا الاعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب ، يسبق اعلام الكتاب ، وانتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربي (5) على التامیل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يبقيكم لتابيد المجد الاثيل ، وانالة الرفد الجزيل . والسلام يخص مقامكم الاعلى، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب فى الحادي والعشرين لجمادى الاخرة ، من عام سبعة وخمسين وسبعمائة (6) » .

---

1) من منشآت السلطان ابى الحجاج صاحب هذه الرسالة ، كان قد شيدها لتستعيد ماضي لدتها في قرطبة الاموية ، وقد قصدها الطلاب والعلماء من كافة الجهات ، وكانت تقع فى درب ضيق يحاذي شارع الملكين الكاثوليكيين بغرناطة ، بيد ان المبنى القديم قد ازيل منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ولم يتبق منها الان – كما شاهدت بنفسي – سوى محراب مسجدها ذي النقوش والزخارف الخطية . اما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهذه المدينة فى رحاب الحمراء من كل عام .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير » . سورة غافر : آية 3 .

3) الاراب : جمع ارب – بوزن سبب واسباب – وهو المطلب والبغية .

4) لم يفصح عن اسم الرسولين ولكنه ذكرهما في « الاحاطة » على نحو ما فصلنا فيه القول عند التقديم

5) يربي : يزيد .

6) لعل هناك خطا من الناسخ فى هذا التاريخ ؛ اذ المعروف والمشهور ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر قد توفى فى يوم عيد الفطر من عام 755 هـ !!! .

« الوثيقـة الثالثـة »

« ... والى هذا ، فاننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل ابى عبد الله المقري ، وفقنا الله واياه لما يؤلف لديه ، وهدانا لما يقرب اليه ، وما بلغكم بتقاعده بمالقة ، وما اشرتم به فى امره ، فاستوفينا جميع ما قررتم ، واستوعبنا ما اجملتم فى ذلك وفسرتم . واعلموا يا محل والدنا ، ـ امتعنا الله ببقائكم الذي فى ضمنه اتصال السعادة ، وتعرف النعم المعادة ـ اننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور ، وتكييف جزل بما تفضلتم به وسرور ، تعرفنا انه تقاعد بمالقة عن صحبه، واظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف الوجه الى التخلي مشفقا من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعين له فى الدنيا أرب ، وانه عرض عليكم ان تسمحوا له فيما ذهب اليه ، وتقروه عليه ، فيجعل المدار ، ويمهد تحت ايالتكم القرار . فلما بلغنا هذا الخبر ، لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبره ، ـ ولا أعددناه فيما يذكر ، فكيف فيما ينكر ، وقطعنا ان الامر فيه هين ، وان مثل هذا الغرض لا تلتفت اليه عين ؛ فان بابكم غنى من طبقات اولى الكمال ، ملى بتوسيع الامال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء اولى المقامات والاحوال ، والادباء فرسان الروية والارتجال، ولم ينقص بفقدان الحصى اعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال ، مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال ، واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه الى ذي الجلال .

ولو علمنا ان شيئا يهجس فى الخاطر من امر مقامه ، لقابلناه بعلاج سقامه . ثم لم ينشب ان تلاحق بحضرتنا بارزا فى طور التقلل والتخفيف ، خالطا نفسه باللفيف ، قد صار نكرة بعد العملية والتعريف ، وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعباد يخاف اضاعتها . ثم تلاحق ارسالكم الجلة ، الذين تحق لمثلهم التجلة ، فحضروا لدينا ، وادوا المخاطبة الكريمة كما ذكر الينا، وتكلمنا معهم فى القضية ، وتنحلنا فى الوجوه المرضية، فلم نجد وجها اخلص من هذا الغرض ؛ ولا علاجا يتكفل ببر المرض ، من أن كلفناهم الاقامة التي يتبرك بيمن جوارها ، ويعمل على ايثارها ، بخلاف ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة يضمن حياؤكم احتسابها ، ويرعى انتمائها الى الخلوص وانتسابها ، ويعيدها قد اعملت الحظوة أثوابها .

ونقصدكم ـ ومثلكم من يقصد فى المهمة ؛ فانتم المثل الذائع فى عموم الحلم وعلو الهمة ـ فى ان تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول ، مقرر الفصول . يذهب الوجل ، ويرفع الخجل ، ويسوغ من مآربه لديكم الامل ، ويخلص النية ويرتب العمل ؛ حتى يظهر ما لنا عند ابوتكم من تكميل المقاصد ، جريا على ما بذلتم من جميل العوائد . واذا تحصل ذلك كان ـ بفضل الله ـ ايابه ، واناخت بعفوة وعدكم الوفى ركابه ، ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه . وانتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعاية ، ويجرى فى معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحماية . هذا ما عندنا اعجلنا به الاعلام ، واعملنا فيه الاقلام ، بعد ان اجهدنا الاختيار وتنحلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا وللمسلمين كفيل . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام .

جامعة القاهرة فى : 18 \ 8 \ 1967 م

حققـه

الدكتور محمد كمال شبانه

مجتمع فاس في القرن الحادي عشر الهجري

للأستاذ حسن السايح

تعيش المجتمعات واجهتين حضاريتين ، الواجهة التي تبدو فيها الحضارة المادية الواضحة في العمران والفن والموسيقى ، واللغة ، والتطور التقني ، والواجهة الخفية التي تستبطن العالم اللامرئي حيث تتفاعل علل التماسك الاجتماعي ، واسباب ابراز المواهب ، وطريقة التعبير عنها مما يعطي شكلا واضحا للواجهة الحضارية مختلفا بحسب الزمان والمكان ، وهكذا نجد مظهر الحضارة العمرانية وحيوية المجتمع باديا يشف عن العوامل الخفية التي تعطي لذلك المظهر صورته الحقيقية، وعندما نحاول استجلاء العلل والاسباب الحقيقية التي تكمن وراء المظهر الخارجي نعثر عليها بوضوح ، اذا نحن احسنا التحليل وتوفرنا على العناصر الكاملة لذلك .

وساحاول اعطاء صورة عن واجهة الحضارة المغربية في فاس في اوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث نجد انفسنا امام مجتمع متماسك، معتز بشخصيته مؤمن بايديولوجيته ، حريص على اقتفاء تقاليده ، سعيد بمكاسبه ، ولعل الرجل الغريب الذي يزور المدينة العتيقة يلاحظ في تداخل الازقة ، وتعانق المباني ، وتقسيم المياه ، وتنظيم الحرف ، وما يتجلى به بعض السكان من رضا وقناعة ، مما يثير في نفسه البحث عن الاسباب الحقيقية لهذه القناعة وهذا الرضى البادي على بعض الوجوه ، ثم عن هاته الحمية والعصبية الذي تتجمل بها وجوه أخرى .

ولعالم الاجتماع ان يبحث عن كل جزء من هذه الاجزاء بالتفصيل والتدقيق ولكني ساحاول أن أظهر الاسباب الخفية لما يبدو على فريق من رضى وعلى آخر من حمية بناء على راي المؤرخين القدماء لهذه الحقبة : ثم عن الاسباب الخفية التي تجعل هذا الزائر الغريب يلاحظ صراعا عنيفا بين اصناف من الناس يناقشون بعنف قضايا تبدو بسيطة ، كأن يكون احدهم اساء في توجيه الخطاب الى غيره فلم يستعمل عن قصد او عن سهو كلمات الاحترام المعتادة ، وقد يستغرب هذا الزائر ان يرى دكاكين تتميز بعلامة خاصة وبطريقة ما في رفع رفوف ابوابها ، الى غير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية .

قد يتساءل هذا الزائر عن الاسباب الخفية لهذا التمايز ، وهل ذلك يرجع لاسباب اقتصادية او لاسباب سياسية اذ ان نوعا (تمايزيا) خاصا يتجلى في هذا المجتمع بشكل واضح ، ولكن ليس كنظام الطبقات الغربية الذي حلله كارل ماركس في كتبه ، ولا كنظام الطبقات عند الهنود الذي يفصل بين الطبقة والاخرى بسد منيع ، ولكنه نظام طبقي يتسامح احيانا حتى يكاد يختفي ، ويبدو حادا عنيفا آونة اخرى حتى تسيل له الدماء . لم يكن طبقيا اقتصاديا ، فقد نرى رجلا فقيرا ولكنه محترما ، ولم يكن سياسيا تولد عن تغلب جماعة ضد أخرى ، ولم يكن سلاليا بالمعنى العنصري الدقيق، ولكنه نظام طبقي من نوع آخر ساحاول أن اعطيك صورة عن اسبابه الاولى انحدر عنها .

ولنرجع الى الماضي قليلا لنرى انه كان من الضروري ان تعتصم الدولة المرابطية ، والدولة الموحدية ، بنظام قبلي لتحقيق اهدافها السياسية كما

لاحظ ابن خلدون ولكن الارتباط القبلـــي في العـــــرف البربري لم يكن ارتباطا اساســه العزة بالتاريخ الماضي ولكن اساســه العزة بالعدد ، ولذلك لم يفكـــــروا في البحث عن امجاد او اصطناع تاريخ واكتفوا بالتفاخر بقوة القبيلة وعددها ، ولم يجدوا غضضا بعد انتشار الاسلام في المغرب ان ياخذوا في ربط صلتهم النسبية بآل البيت للنسب الانف الذكر ، كما فعل المهدي بـــن تومرت ، ولكن مع ذلك فقد بقيت القبيلة العربية في المغرب تبحث عن منفذ آخر لوجودها بعد ســقـــوط الادارسة وحملة بني موسى ابن العافية ، وكان ذلك في البحث عن سيادة ادبية ولهذا فقد نشأ في المجتمع (طبقة الاشراف) او طبقة (آل البيت) وكان لهؤلاء نفوذ قوي في المجتمع الذي ظل مخلصا لآل البيـــــت ، واستطاع كثير من رؤسائه أن يكونوا طبقة خاصة ، وحظوا بامتيازات مادية ، وادبية ، كاسقاط المكـــوس والضرائب عن بعضهم ، وتكوين مراكز عديدة للاضرحة تضم (صناديق) لجمع العطايا والهبات ، وتخصيص بعض وظائف الدولة لهم ، وتكون (نقباء) يدافعون عن حقوقهم ويحتكمون اليهم وقد بلغ من اعتبار النسب الى ضرورة رعايته في كثير من المناصب ، حتى أن احـــد شرفاء العصر السعدي قال للمنصور السعدي الذي تدم احد العلماء للصلاة ، اذ كان قدمه علمه فقـــــد اخره نسبه (1) ، ولاشك أن هذا النظام استدعـــــى تدوين النسب وتخصص كثير في هذا العلم لصيانتـــه حيث اخذ يختلط بمن يدخله من منتهزين او بما يخرج منه من منتسبين ، وطبيعي ان تقابل هذه الطبقـــــة من الاشراف ، طبقة من عامة الناس كما يسميهـــم علماء النسب ، وطبقة من ضعفاء النسب الذين كانوا يسمون في مدينة فاس بأوصاف خاصة كما أن مـــــن الطبيعي الا تستمر الوية السلام مخيمة على هذا الجو.

ولذلك لا عجب أن يتصدى احد علماء فاس وهو الشيخ ابن زكري لكتابة مؤلف يحلل دعاوي الاشراف وما خصوا به من مزايا ، واستطاع ابن زكري ان يعطي للاشراف قيمتهم الدينية وما يفرض لهم من احترام ، ولكنه زيف المبالغات والخصائص التي بالغ فيهـــا بعضهم.

وقد ناصره العلامة السيد احمد بن عبد السلام بناني المتوفى في (6 شعبان سنة 1234 هـ) بكتـــاب الوجد المغري بنصرة العلامة ابن زكري ، كما رد عليه مؤلف نتيجة الاعتصار من دسائس الانتصار ، وكما الف الصحراوي كتابا في الرد على من قال شرف العلم افضل من شرف النسب ، ورد المحدث ابو العلاء العراقي على ابن زكري في الحديث الذي رواه وهو من دخل هذا الدين فهو من العرب والحديث الذي أورده ابن زكري هو ما نصه .

« في رواية ابن عساكر عن ابي مسلمة بن عبد الرحمن : « يا أيها الناس ان الرب واحد ، وان الاب واحد ، وليست العربية من احدكم باب ولا ام ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ، اورده السيوطي في الجمع » .

على أن الدولة السعدية كانت تعتمد على هذه الطائفة في الحروب ، ولذلك فقد اخذوا يمتنعون عـــن التجنيد وجاء في التحفة القادرية ما يلـــــي : (واراد المتوكل على الله ان يغزو عمه (زيدان) صاحـــب مراكش وسوس فأمر اللمطيين بتجهيز ثلاثة آلاف رجل للحركة فشق عليهم ذلك ، وطلبوا من القاضي ابن ابي النعيم ان يكلم السلطان المذكور في اعفائهم من ذلك ، وكانوا شيعة زيدان الذين ارحلوه الى فاس ، فاجابهم القاضي الى ذلك وكلم السلطان فلم يقبل ، وذكـــره بنصرتهم لزيدان ولكنه ابى فاجابهم القاضي بما اجابه السلطان وحذرهم وخامة العاقبة ، فاتهموه بالميل الى السلطان لانه اندلسي ، والاندلسيون من شيعـــة السلطان المذكور فاتفقوا على الغدر به ، وقد اغتالوه انتقاما منه ، في ذي القعدة سنة 1032 فانتقم منهـــم السلطان بدوره حيث خرج الى جبل لمطة وحـــارب اللمطيين واحرق وخرب جميع قراهم ومداشرهم وقطع جميع اشجارهم الخ ...

وهكذا استمر الصراع بين الطائفتين وسجلـــه الشاعر ابو عمر عثمان اليوسي بقوله :

هذا وقد كان بفاس فرقتـــان
ملتهم واحــــدة لا ملتــــان
قد لقبت احدهما المهاجريـــن
اخراهما تدعى الحضور الفاخرين
وهذه تزعم وصف الســـؤدد
وتدعى المجد بـــلا مستنــــد
وهذه دعوى بلا برهـــــان
كلتاهما كفارسي رهــــان

---

1) تقدم الامام المنجور للامامة بالمنصور فطلب اليحمدي تاخيره عن الامامة به ، فقال له المنصور قدمه علمه، فاجابه : ولكن اخره نسبه ، (انظر نزهة الحادي للايفراني) .

كما يصف المكلاتي ابا النعيم بقوله :

وقاضي الورى اودى شهيدا وانـه
لفي داره دار النعيـم بمعـزل

وقد الف ابن المقري كتابا في الرد على ابن زكري وانصاره سماه (نصرة الشرفاء) ، وكل هذا يدل على مدى الصراع بين الذين اعتمدوا النسب ، والذين لا يعتمدونه .

وقد اقتضى ذلك ان يتخصص في كل اسرة من يؤرخ امجادها ليحافظ على شجرتها ولذلك نرى كتبا كثيرة تختص في تراجم اعيان القبيلة الواحدة ككتاب الحلل الممدودة في مآثر بني سودة لسليمان الحوات ، والروضة المقصودة والحلل الممدودة في ذكر بني سودة بل ان هذا الصراع العائلي الذي اقتضى قصر الحرف على طائفة دون اخرى ادى الى هذا المظهر من الشرف والمجد الذي يعتز به فريق من الناس ، وهذا الرضى وهذه القناعة التي يلجأ اليها الفريق الاخر ، مما لاحظه الاجنبي فلم يعرف اسبابه الحقيقية .

بل ورد ما هو اخص من هذا ، وهو ما اخرجه ابن النجار عن ابي عمر عن النبي (ص) أنه قال : من اسلم من فارس فهو قرشي ، واخرج الديلمي عن ابي هريرة ، مرفوعا ، من أسلم من فارس فهو من قريش هم اخوتنا وعصبتنا ، وقد جاء « سلمان منا اهل البيت » وهو فارسي . على ان ابا العلاء العراقي ايد ابـن زكري في عدة مواقف واعترف بقيمة ما في كتابه مـن الآراء ، وقد الف ميارة كتابا في نصرة ابن زكري ، مما يدل على مدى نجاح فكرته وما اثارته من معارضة .

ولاشك أنه كان لابن زكري مؤيدون من طبقة الشعب ، كما كان وراء معارضيه مؤيدون ايضا مـن الاشراف واتباعهم ، وكانت الاهواء السياسية تستفيد من ذلك كثيرا ، وقد بلغت (الازمة) بين الشرفـاء والبلديين نهايتها في اواخر العصر السعدي وكان من ضحاياها أبو النعيم الغساني وجاء في كتاب التحفة القادرية لابن محمد عبد السلام بن محمد الخياط القادري ما نصه :

في ايام القاضي ابن ابي النعيم الغسانـي اراد الهبش من الاجناس غير الاسماعيلية والقحطانية ان يدخلوا معهم في حرفهم وتجارتهم الشريفة فمنعوهم من ذلك ، وكان قد جرى العمل بفاس ان لا يحترف ولا يتجر في الحرف الفاضلة والتجارة الشريفة الا اهـل الفضل والدين والمروءة العالية من حضور فـاس والاندلس الحنيفية خصوصا بني ايماعيل وقحطـان وبين يديهم رسوم قديمة ازيد من خمسمائة وافتاءات نحو الخمس والسبعة لعلماء قبل ابن ابي النعيـم ، وخواتم وعلامات لعدد من أمراء المغرب وسلاطينه ، وان هذا الامر جرى به العمل بفاس خلفا عن سلف الى ان اراد هؤلاء الخروج عن طورهم والترقي من الحرف الخاملة الى الحرف العالية ، وانه لما تنازعت الطائفتان رفع الامر الى عبد الله المتوكل على الله ، ورأى اهل الاندلس يريدون نصرة الاعيان واهل الفضل من بني اسماعيل وقحطان كما راى اللمطيين يريدون نصـرة الهبش من الاجناس العجمية ، وخشى من ذلك الفتنة استدعى القاضي ابن ابي النعيم الغساني فحضـر لشور فاس الجديد المرينية ، وحضر الرؤساء مـن الطائفتين ، فسمع كلام الفريقين فوجد بايدي حضور فاس الرسوم المذكورة ولم يجد عند خصومهم شيئـا فقضى لمنعهم مما ارادوا وامضى حكمه بذلك واستمر العمل عليه الى ان مات القاضي المذكور .

وقد الف الشيخ ميارة وهو من المدافعين عـن الطائفة الثانية كتابا في الرد على ابي النعيم سمـاه نصيحة المغترين ووصف الغساني الذي ناصر الاشراف ضد البلديين ايضا في تذييله على نظم الفستانـي (بالظالم) .

الرباط : الحسن السائح



اريد ــ اولا ــ ان اشيد بحسن اختيار أصدقاء المعتمد لموضوع مهرجان الشعر المغربي الثالث ، فكلنا نعيش بفيض احساسنا ودفق فكرنا معركتنا القومية المصيرية وانها لمعركة يجب أن تستهلك كل طاقاتنا ، وتستأثر بكل اهتماماتنا، واننا لمدعوون الى خوضها بكل ما نملك من سلاح ، وما نذخره من قوة .. والكلمة الشامخة القوية الا دفة سلاح مميت ، يتوجب حمله في المعركة ، ولست احسب الا ان هذا الاحساس بقيمة الكلمة وخطورتها متى كانت طيبة ، صادقة ، خالصة هو الذي دفع باخواننا « أصدقاء المعتمد » الى اختيار فلسطين الجريحة ، السليبة ، موضوع مهرجانهم الشعري الثالث ، وهو اختيار اذا كان يعكس معنى من المعاني فلن يكون هذا المعنى غير ايمان الجيل الجديد من شعرائنا بوجوب التزام الادب للمعركة المنيفة التي يخوضها الانسان العربي ببسالة ، لا يلين ولا يتخاذل ، من اجل حريته ، ومن أجل مصير ارضه الطيبة ، ومن اجل مصير معتقداته الروحية .

واريد ــ ثانية ــ ان اشير الى ان هذا الحديث لا يؤلف في جملته دراسة مركزة ، ولا يشكل في مجموعه بحثا مستفيضا ، وليس يعدو أن يكون استعراضا يتسم بحظ غير يسير من الايجاز لاسهامنا الشعري في مواكبة القضية الفلسطينية منذ حيكت خيوطها الاولى الى فجيعة 5 يونيه المنصرم ، ولقد تعمدنا ، حتى لا نقطع حبل الاستعراض ، الا نبدي رأيا نراه او حكما نصدره فيما تقدم من نموذج ، ولكننا عدنا في الاخير فذيلنا هذا الاستعراض الشعري بجملة ملاحظات وآراء ان لم تكن عين الصواب فلعلها اليه أقرب منها الى اي شيء آخر .

* * *

ان صفحات « الوطنية » في ديوان الشعر العربي صفحات فيها روعة ، وفيها جلال ، وفيها اشراق ، ونحن اذا عمدنا الى هذا الديوان الضخم نقلب صفحاته على توالي العصور ، بهرتنا قصائد تعج بحب الوطن ، وهو حب متوقد لا يخمد ، مزهر لا يذبل ، وشدهتنا اشعار بالتحرق والتشوق لارض طيبة ليس يهم ان تكون شحيحة او معطاة ، وفي هذه الصفحات نقرا الروائع التي تنضح دمعات ، وتتأود زفرات ، تلك التي سالت بها حنجرة الشاعر العربي في المشرق حين انقض على اوطانهم شر ، مظلم ، اسود ، دعي مرة تتارا ، وسمي أخرى حربا صليبية ، وتنفست عنها قريحة الشاعر العربي في المغرب يوم غير الناس في الاندلس ما بانفسهم فغير الله ــ جل شأنه ــ ما بهم .. وانه لنتاج انساني ، تبهى ثناياه بصدق العاطفة ، وتشرق

اعطائه بعمق التجربة والاحساس ، ومن هنا يمكن الرد على المفترين على الشعر العربي بانه كان — دائما — « بضاعة — تباع ، باثمان متفاوتة ، فى بلاطات الحكام وعلى اعتاب وجوه الناس . ان الصفحات التي دعوتكم لقراءتها فى ديوان شعرنا العربي كفيلة بأن تفكم على سخف هذا الراي ومحاولة بعض العاقين لتراث الاسلاف تعميم الحكم به على الآثار الشعرية العربية القديمة .

وبتلخيص : ان الآفاق الوطنية فى شعرنا العربي هنا وهناك ، تقدم الينا حقيقة ليس من سبيل الى التشكك فى صدقها وصحتها ، وهي ان جزءا غير يسير من الشعر العربي كان ، دوما ، غناء شديد الروعة بمفاتن الوطن وجمال مسارحه حين السلم يظل الربوع والناس فاذا ما هوجم الوطن وروع الناس فى أروحهم وارضهم ومتاعهم وقف الشعراء يحمون القوم ويستنفرونهم للدفاع عن ديارهم ويستنهضون عزائمهم للذود عن بيضة البلاد ، فاذا ما حالفهم نصر ، وسار فى ركائبهم ظفر صور الشعراء ذلك وعكسوه ، واذا ما نكبوا بالهزيمة تدفق من مزامير الشعراء شدو حزين وكئيب، يصور ابعاد الهزيمة ويعكس آثارها !

❋ ❋ ❋

ولعلنا فى غنى عن استعراض مشاهد نكبة العرب العظمى فىفلسطين تلك التىنسجت اولىخيوطها القدرة حين صدور وعد بلفلورد وبلغت اهدافها وحققت آمالها سنة 1948 ، فلقد بات الحديث عنها وتصويرها من قبيل الكلام المعاد المكرر الذي تعرض عنه النفس وتعزف عن سماعه الاذن ، على انه تبغي الاشارة الى أن هذه المؤامرة الضخمة، السنيفة ، القوية الباطشة التي ارادها الاستعمار ، وارادتها الصهيونية ضربة للامة العربية تمخضت عن شرارة يقظة عارمة هزت كيان الانسان العربي هزا عنيفا ، وفتحت عيون الشعب العربي المغلوب على أمره ، المسلوب منه حقه على الواقع العفن الذي يحياه والحقيقة البشعة التي يعيشها ، فاضطرمت الثورات الدامية على الاستعمار ، تقض مضجعه وتلهب ظهره ، وتوالت الانتفاضات الشعبية على اذنابه وعملائه ، تجهز على انفسهم وتطوح بآمالهم ، هذا من وجه .. ومن آخر كان لمأساة فلسطين اثر جلي فى الادب والشعر ، ففي راي بعض الدارسين ان هذه المأساة التي دفعت الشعراء المعاصرين الى التطور والتجديد والحياة » (1) و « غلبت على الشعر المعاصر الاتجاه الالتزامي الهادف » (2) وبذلك منحت « الادب العربي ديوانا دمويا ضخما ، كتبت الحروب الصليبية صفحاته الاولى ، وهو لا يزال الى اليوم فى تضخم مستمر ، وكلما تضخم الديوان ازدادت ملحمة الدم العربية فى فلسطين غنى واتساعا » (3) .

ولما كانت الامة العربية تجمعها وحدة اللغة ، واللغة — كما يقال بحق — وعاء للعقل والفكر ، وتجمعها وحدة التاريخ ، والتاريخ رصيد من الماضي المشترك يوحد الاحساس والشعور وينفخ الحماس فى النفوس من اجل التشييد والبناء ، وتجمعها وحدة الامال ، ومتى كانت الامال واحدة فالاهداف واحدة ، والمستقبل ، لحظتها ، باسم ، والمصير مشرق برغم كل شيء ، ومن هنا كانت الامة العربية فى كل رجأ من ارجاء رقعة الارض الممتدة ما بين الخليج العربيوالمحيط الاطلسي امة واحدة ، واحدة ، اذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، يشارك بعضها بعضا الافراح على بعد المسافة ، ويشاطر بعضها بعضا الاتراح على تنائي الدار ، ومن اجل هذا كانت نكبة فلسطين ، مسرى النبي صلوات الله عليه وسلاماته وتربة حطين الخالدة ، نكبة العربي ، كل عربي ، فى مشارق البقعة العربية ومغاربها ، وتوكيدا لهذا نستطيع القول بأن هذه النكبة لم تستثر شعراء فلسطين فقط ، وانما استثارت الشعراء العرب فى كل اقطار العروبة ، ووقف الجميع يواسي ويذكي نار المقاومة فىالنفوس ويزرعروح الثأروالتصميم علىالعودة فى اعماقها . ولعلها مناسبة ، لا نتركها تفوتنا ، للردعلى زعم نقاد يرون ان الشعر الفلسطيني فى المأساة كان أصدق عاطفة وأعمق احساسا من غيره ، وذلك لان شعراء فلسطين كانوا يصدرون عن تجارب عاشوها ويعبرون عن ويلات شاهدوها ، والحق ان التجربة فى الشعر ليس مفروضا ان تكون نابعة من الواقع المعايش ، المشاهد بقدر ما هو مفروض ان تكون صادرة من رؤية الشاعر الذاتية « للحدث » سواء

1) دكتور صالح الاشتر ، « مأساة فلسطين واثرها فى الشعر المعاصر » مطبعة جامعة دمشق .
2) انظر المصدر السابق .
3) انظر المصدر السابق ص 7 .

عايشه عيانا أو عايشه سمعا ، والدليل على صحة هذا الراي ان كثيرا من الشعراء العرب في مختلف اقطار العروبة وحتى في المهاجر الامريكية اعطوا نماذج رائعة يتضمنها ديوان النكبة ، ليس يمكن أن تضع بجانبها شعرا قاله شعراء عاشوا تجربة المأساة الاليمة عيانا وحسا .

ومهما يكن من أمر فان الشعر العربي واكب نكبتنا في فلسطين منذ صدور الوعد المشؤوم الى قيام دولة الشر والبغي ، تناول هذا الشعر وعد بلفور محذرا العرب من ويلاته وشروره ، ووقف يندد بهجرة شذاذ الافاق الصهاينة الى ارض فلسطين مبينا خطورتها ونتائجها وثار على قرار التقسيم الظالم ، الجائر سنة 1947 ، ثم خاض مع الجيوش العربية الباسلة ميادين الوغى يوم 15 ماي ، يصور ايمانها بالنصر وعزمها على الاستماتة في سبيل الظفر به ، ثم التفت الى بعض الحكام العرب ، يومئذ ، ليفضح تواطؤهم مع الاستعمار ، ويكشف عن نواياهم الدنيئة ، وغاصت أعطاف هذا الشعر بمرارة الحسرة وعنف الالم بعد نكبة 1948 ، ثم مضى يصور بؤس اللاجئين وضياعهم ويهيب بالعربي الى استئناف الحرب لابادة العدو الظالم كذلك كان رصد الشعر العربي لنكبتنا في فلسطين وتصويره لها مرحلة بعد مرحلة ، وعكسها مشهدا بعد مشهد ، ومن ثم استطاع صديقنا الاستاذ صالح الاشتر أن يستخلص في كتابه (في شعر النكبة) حكاية المأساة من جذورها الى اليوم من الشعر المعاصر (1).

❊

هنالك جوانب من الشعر المغربي، قديمه وحديثه جديرة بالنظر والتأمل ، وقمينة بالبحث والدراسة ، وقد عالجنا في أحاديث لم ننشرها بعد جانبا من تلك الجوانب صورنا فيه الافاق الوطنية في شعرنا الحديث وليس من شك في أن هذا الشعر قد شهد تطورا وتجديدا سواء في المضمون او الشكل نتيجة لنمو الوعي السياسي والوطني وبلوغه درجة النضج لدى طليعة من الشباب سجل لها التاريخ انها كانت أول من ارتاد طريق الكفاح من اجل قضية وطننا ، ولقد تجلى الميسم الوطني في شعرنا بشكل واضح على اثر محاولة فرنسا تطبيق سياستها البربرية واصدارها ظهيرا بذلك سنة 1930 ، فكان هذا الحادث « باعثا قويا لنشاط فكري عظيم تنافس فيه الكتاب والخطباء والشعراء ، فنشرت عدة كتب وآلاف المقالات ونظمت القصائد التي يخطئها العد» (2) ، وازداد الطابع الوطني ظهورا في انتاجنا الشعري بعد ذلك بسنوات حينما سنت الحركة الوطنية سنة الاحتفال بعيد العرش ، وحفظت لنا « العرشيات » صورا من الكفاح الوطني ودور الشعر في اذكاء روح الثورة وتعبئة النفوس بالحماس للمطالبة بحق الشعب في حريته ، ولقد استعرضت في احاديثي الآنفة الذكر نماذج يتغنى فيها اصحابها بوطنهم الخاص، واخرى يشدون فيها بوطنهم العام ، بالوطن العربي ، حين أفراحه وحين اتراحه، وكان لابد ان تأخذ نكبة الوطن السليب ، فلسطين ، حيزا من ذلك الاستعراض الشعري ، بيد انه كان حيزا محدودا ، فلما دهمتنا نكبة 5 يونيه الماضي ارتعشت لها الوجدانات في المغرب كما ارتعشت لها في كل شبر من بلاد الاسلام والعروبة واذا بالصفحات التي كتبها المغاربة عن مأساة فلسطين يتكاثر عددها ، ويتضخم حجمها ... واذا كان ديوان النكبة الفلسطينية يضم بين دفتيه صرخات شعراء فلسطين وآخرين من اقطار عربية مختلفة ومن المهجر، اذا كان ديوان النكبة قد سجل اصوات هؤلاء وصرخات اولئك فانه يؤسفنا ان يخلو هذا الديوان من اصواتنا ، من صرخاتنا ، من آهاتنا ، من دموعنا ، والمسؤولية تقع على عواتقنا وليس على عواتق الذين عنوا بجمع شعر النكبة ، واذا كنا نبرر « جهل » اخواننا المشارقة بنتاجنا الشعري ، مثلا ، بالقاء التبعة على الاستعمار — أيام الاستعمار — لانه كان يحاول ، باستمرار ، أن يقيم بيننا وبين اخواننا في الشرق حواجز وحوائل ليقطع ما بيننا من وسائج ويفصل ما بيننا من روابط ، اذا كنا نبرر ذلك بهذا فيجب ان نعترف ، وقد مرت عشر سنوات ونيف ، على استقلالنا أننا ، اليوم، نحن هم المسؤولون ، دولة وافرادا ، لا غيرنا ، لاننا نحن المقصرون ، دولة وافرادا ايضا في التعريف بأنفسنا ، ادبيا وثقافيا ، لاشقائنا في الشرق العربي

تطوان — حسن الوراكلي

---

1) دكتور صالح الاشتر ، « في شعر النكبة » مطبعة جامعة دمشق .

2) عبد الله كنون ، « أحاديث عن الادب المغربي الحديث » نشر معهد الدراسات العربية العالية

العامل البحري وأثره في توجيه الفتوحات الاسلامية بالمغرب

للأستاذ عبد الحق حموش

لا ينفصل الفتح العربي في المغرب عن الاحداث السياسية والصراعات الحربية التي كان البحر الابيض المتوسط مسرحا لها خلال القرن السابع الميلادي . ومن ثم فان وصف تلك الاحداث والصراعات يساعد الى حد كبير في تبيان الصعوبات التي اصطدم بها الفتح وحظوظ النجاح التي كللته .

لقد انطلق الفاتحون من صحرائهم صوب الاراضي المجاورة ، وهي في معظمها اصلح ما تكون لحرب الفرسان والمشاة الذين كانوا قوام الجيش الاسلامي يومذاك . وقد ساعد على انتصارهم ، في اول الامر ، ان ما اعترضهم من صعوبات ناشئة عن طبيعة الارض وتضاريسها ، لم يكن شيئا ذا بال ازاء قوة عقيدتهم واتقانهم لوسائل الدفاع والمهاجمة في مثل تلك الظروف . يضاف الى ذلك ما لقوا من عون بعض الاهالي ، وما انتهجوا ازاءهم من حسن المعاملة .

غير ان هذه العناصر الايجابية سرعان ما تناقصت فعاليتها حينما اخذ الفاتحون يحتكون بشواطيء البحر المتوسط في سوريا ومصر وفي شمال افريقيا . ذلك ان قوما ليست لهم سابقة في خوض البحار لابد وان يجدوا مزيدا من الصعاب امام عدو له وسائل ، لم يالفوها في حرب البحار . فاذا كان الفارس منهم أقدر على الانطلاق وممارسة القتال فوق تراب الارض ، فان وسائله لا تمكنه من دفع عدو ينقض عليه من البحر (1)

ومع ان هذا العنصر الجديد لم يسلب العرب كل فرصة للتقدم في فتوحاتهم ، الا أنه كان عنصرا عرقل حركتهم تارة وحد منها اخرى . وحملهم الخسارة الثقيلة آنا آخر . فكان أن اقتنع الفاتحون بأن استيعاب الشمال الافريقي رهين بركوب البحر .

لم تكن هذه الصعوبة التي واجهت الفتح مجرد حادث بالصدفة ، بل مبدءا له عراقته في سياسة الامبراطورية الرومانية الشرقية وأساسا متينا ترتكز عليه في وجودها وفي الاحتفاظ بمستعمراتها المتوسطية عموما وشمال افريقيا على الخصوص . لقد فطن ساستها — وقبل ان يكون للاسلام ذكر — الى ان مصير الامبراطورية وحظوظها متوقف على وجود هذه القوة البحرية ، فعملوا على تنميتها وتعهدها . فاما من حيث اغراض الدفاع فقد عصمتها من امتداد هجمات القبائل المتبربرة (الجرمان) التي حطمت الامبراطورية في المغرب . واما من حيث الهجوم فقد استطاعت

1) كتب عمر الى عمرو ابن العاص يقول : « صف لي البحر وراكبه » فأجابه عمرو : « هو خلق كبير يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركد اقلق القلوب ، وان تحرك ازاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة » .
ونرى من هذه الكلمات ما كان يخالج العرب من تهيب ازاء البحر .

استرداد الشمال الافريقي : ذلك انه حينما اسفرت ضربات الجرمان عن سقوط الامبراطورية في روما سنة خمسمائة ميلادية ، لم يجد المهاجمون صعوبة في وضع يدهم على بلدان ساحل الشمال الافريقي . هكذا — عن طريق اسبانيا — وثب الوندال بمعظم السواحل الممتد فيما بين طنجة وقرطاجنة بتونس ، وكونوا بها مملكة عرفت اوجها في ايام ملكهم (جزريك) . وزاد من خطورة هذه الدولة سيطرتها على كثير من جزر غرب المتوسط مثل سردينيا وميورقة وكورسيكا ، بل هددت روما نفسها ، مما ادى الى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى القسطنطينية . والواقع ان انتقال العاصمة على هذا النحو لم يكن يعني التخلي عن الشمال الافريقي ، فقد ظل اباطرة القسطنطينية متشبثين بدعواهم في هذا الشأن ، الى ان امكنتهم فرصة ضعف الوندال ، واستطاع (بليزاريوس) قائد الامبراطور البزنطي (جاشيان) ان ينفذ باسطوله الى شواطىء الشمال الافريقي ويعيدها الى حوزة بيزنطة عام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة ، بعد ان اقام بها الوندال مملكة عمرت قرنا كاملا ، على هذا النحو سقطت سبتة وطنجة عام اربعة وخمسين وخمسمائة بعد قرطاجنة بعام واحد . وذلك بالاضافة الى ما يجاور هذه السواحل من جزر . ومع ان الامبراطورية البيزنطية نفذت سبتة وطنجة مرة اخرى لصالح القوط باسبانيا فيما بين (616 — 625 ؟) ، فان مجموع باقي سواحل الشمال الافريقي بقي في حوزة البيزنطيين ، لم يتزحزحوا عنه الا بمجيء المسلمين ، والا بعد ان اضطرهم المسلمون الى ذلك بقوة بحرية مماثلة .

غير ان العامل البحري بالنسبة الى كل من البيزنطيين والقوط لم يكن له سند يقابله في المناطق الداخلية ، فمع ان القوط كانوا يصطنعون اميرا (كونت) من المغاربة يحكم باسمهم ، فانهم لم يستطيعوا النفاذ الى قلب البلاد . ومع ان البيزنطيين اقاموا بصورة غامضة في شواطىء المغرب ، فان حكمهم ايضا ، اقتصر على بقاع محدودة . وهكذا افضى صراع بحري طويل الامد الى ايجاد وضعية اساسها السياسة والتجارة والحرب . اما داخلية البلاد فكانت موزعة بين عديد من التنظيمات وخاضعة لاشكال مختلفة من الحكم ، فقد يجتمع الناس على اساس من رابطة القبيلة كما كان الشأن بالنسبة الى تارودانت او بلاد السوس او جبال درن (الاطلس الكبير) أو آسفي ، وهذا هو الشائع . كذلك كانوا يجتمعون على اساس من الشعور بالانتماء الى اقلية معينة كالرابطة اللاتينية المسيحية التي كانت قائمة في مدينة وليلي عام خمسة وخمسين وستمائة ميلادية ، كذلك نجد نموذجا آخر من التنظيم يستند الى الزعامة الروحية ، كما تدل على ذلك حالة الكاهنة داهيا . ولم يكن الاتصال بين هذه الفآت منعدما ، كما انها لم تكن منقطعة الصلات مع الدولتين القائمتين في الشواطىء ، فقد كانت التجارة وسيلة للاتصال ، كما انه في حكم المؤكد ان البيزنطيين كانوا يتعرضون لهجومات خاطفة من سكان الداخل ، ولعل سكان هذه التخوم كانوا يستفيدون من الخطة التي انتهجتها بيزنطة يومذاك القاضية بترضية القبائل المجاورة بالهدايا والاموال .

من كل ذلك نرى ان الظرف كان عصيبا بالنسبة الى الفاتحين المسلمين . فالقوة البحرية فتحت بابا جديدا للحرب . وفي ذات الوقت كانت المسالك البرية وعرة . يدل على ذلك ان الامبراطور البيزنطي ما ان راى تقدم الفتوح العربية في شمال افريقية حتى قرر نقل عاصمته مؤقتا الى جنوب ايطاليا حتى يكون على مقربة من معارك جيشه مع العرب ، وحتى يتخذ الاجراءات التي يرتئيها في اقرب الآجال . ولعل هذا ما يفسر طول المدة والوان الانتكاس التي واجهها العرب قبل أن يمكنوا للاسلام بهذه الربوع .

ترى الى اي حد اثرت هذه الاوضاع على حركة الفتح العربي ؟

في بداية الامر كان واضحا ان العرب استطاعوا النفاذ الى قلب شبه جزيرة الشمال الافريقي ، وذلك بفضل طرقهم وقوانينهم الحربية الخاصة ، وساعدهم في ذلك ما قرره البطريق البيزنطي من الانفصال عن دولته لتكوين مملكة خاصة، ومع ان حكام القسطنطينية امتنعوا من الاعتراف بهذا الانفصال فانهم لم يجدوا الوقت ملائما لاعمال الحرب في القضاء عليه ؛ وذلك ليتقوا تشتيت الجهود وصرفها عن الخطر الاكبر الذي يتمثل في الفاتحين المسلمين . وهكذا فضلت الامبراطورية ان تسلك على نحو غامض تجاه اقليمها المنفصل ، فوضعت قطائعها البحرية لحماية سواحله واهابت برعاياها هناك الى المكافحة جنب البرابرة ضد المسلمين ، وابقت مسالة التبعية امرا مسكوتا عنه . وكان المخطط هو ان تقوم البحرية البيزنطية بالتصدي للمسلمين فتنزل بهم ضربات خاطفة سريعة ترتد بعدها الى البحر وتعتصم به ، وكانت هذه البحرية تختار لخطتها نقطا ساحلية سهلة تساعد في رسو السفن واقلاعها على نحو عاجل . ومن ثم لا مصادفة في ان يقتل زهير بن قيس ، عامل الامويين في افريقيا ، من طرف بحارة

بيزنطة ، كما انه لا غرابة في أن حسان بن النعمان امر بتخريب قرطاجنة عند مافتحها ، فقد لاحظ ان معظم من حملوا السيف خلال معركتها كانوا بحارة بيزنطيين

استخلص عبد الملك بن مروان من هذا الوضع ضرورة مقاومة البيزنطيين بمثل الوسائل التي يتوفرون عليها ، حتى يتمكن من شغل سفنهم وابعادها عن مناطق القتال ، فاصدر امره الى حسان بن النعمان باقامة مصنع للسفن (دار الصناعة) في تونس واعانه على ذلك باهل الحرفة من الاقباط . وسيكون لهذا العمل أثره البالغ في التخفيف من مفاجآت الحرب ضد المسلمين . بل ان يبتدىء موسى بن نصير ولايته في افريقية حتى يدفع بالاسطول الاسلامي في داخل المتوسط مهددا قواعد البيزنطيين فيه .

اما بالنسبة الى البربر فقد راوا في هذا التطور أفولا نهائيا للحكم البيزنطي في بلادهم . وخلال ذلك تابع الفاتحون مناقحة البربر في المناطق الداخلية ، كسيلة في عموم الشمال الافريقي ، وداهيا في جبال الاوراس ، ورؤساء العشائر الآخرين ، ويوليان في شمال المغرب . ومع ان المعارك كانت ضارية فانها كانت تؤهل البربر لقبول الاسلام . والاساسي هنا امران :

— اولهما ان وطأة البيزنطيين اخذت تخف كما لاحظه زهير بن قيس عقب مقتل كسيلة .

— ثانيهما ان الحزازة القبلية اخذت تعمل في وسط البربر انفسهم ، ففي اعقاب كل ردة يبطش الثوار بمن مدوا يد المعونة الى الفاتحين أول الامر .

وبتوطيد مركز المسلمين في سبتة وطنجة ضمنوا قاعدتين بحريتين لن تقلا خطورة عن تونس ، فهناك وجدوا القوارب التي حملتهم مع البربر الى ارض الاندلس .

فاس : عبد الحق حموش

« يكدرون الماء ، ويغلون السعر »

قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لي الناس ، فقال :

خلق الله الناس اطوارا : فطائفة السياسة ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة للباس والنجدة ، وآخرون بين ذلك يكدرون الماء ، ويغلون السعر .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 12 -

مهجة بنت التياني القرطبية :

كان ابوها يبيع التين فنسب اليه ـ كما يبدو ـ على غير قياس ، تهافتت على الملذات تهافتا سافرا ، دفعها الى ذلك جمالها ، وتأدبها على صاحبتها ولادة بنت المستكفى التي تولت تعليمها، ورعت استعدادها المجوني والادبي الى ان صارت شاعرة مهيبة الجانب في عالم الشعر . ورغم تلك الصداقة المتينة التي ربطت بين قلبيهما ، وما استنفدته ولادة من مجهودات شاقة في سبيلها فان مهجة ما لبث ان استيقظ في رحاب نفسها حب الهجاء والتلويث فقذفت صاحبتها الحميمة بقولها:

ولادة قــد صــــــرت ولادة
من غيـر بعـل فضـح الكاتــم
حكــت لنــا مريــم لكنــــه
نخلـة هـذي . . . . (1)

ولسنا ندري على وجه التحقيق سبب هذا التنكر الذي بدر من جانب مهجة لان كل المصادر التي تمكنا من الاطلاع عليها لا تتعرض لبسط الدافع الى هذا الهجاء ولو باشارة خفية ، كما انها ـ يعني المصادر ـ لا تتصدى لذكر حياتها وما نسجته قريحتها من اعمال شعرية الا القليل الذي لا يجدي الباحث فتيلا . من ثم يصعب علينا البث في هذا الامر وتعليله سوى ان يكون من قبيل الافتراضات الواهمة .

ومن شعرها :

لئن حالت عن ثغرها كـل حائـم
فما زال يحمي عن مطالبه الثغـر
فذلك تحميه القواضب والقنــا
وهذا حماه من لواحظها السحـر

وأهدى لها يوما حبيب يهيم بها خوخا فكتبت اليه وقد افحشت :

يا متحفـــا بالخــــوخ احبابــه
أهـلا به من مثلــج للصـــدور
حكــى ثــدي الغيـد تفليكـــه
لكنـــــه . . . . (2)

نزهون بنت القلاعي الغرناطية :

هذه شاعرة مرحة خفيفة الروح ، حلوة الحديث ، مطيبة المحاضرة ـ عاشت في القرن الخامس الهجري ـ ذات طبع ندي معطاء ، ونفس شفافة مضواع ، عرفت بسرعة الجواب وحضور البديهة ، تسعى الى مجالس الوزراء والامراء فتعبق جوها وتثير نشوة مسكرة

وروى انها كانت تقرا ذات يوم على ابى بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكتندي فقال مخاطبا المخزومي :

---

1) انظر النفح ص 494 ؛ ج : 2 .
2) نفس المصدر .

ـ لو كنت تبصر من تجالسه .

وصمت المخزومي برهة يفكر قليلا ، ولكنه لم يحر جوابا ، وبسرعة فائقة اجابت نزهون :

لقدوت اخرس من خلاخله
البدر يطلع من أزرته
والغصن يمرح في غلائله

وارقة طبع هذه الشاعرة وخفة ظلها كلف اصدقاؤها وعارفوها بمحادثتها ومراسلتها فكان ابو بكر بن سعيد الوزير من الذين شغفوا بها ، وقد كتب لها يوما يقول :

يا من له ألف خل
من عاشق وصديق
اراك خليت للنا
س منزلا في الطريق

فأجابته فورا :

حللت ابا بكر محلا منعته
سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما
يقدم اهل الحق حب ابى بكر

وفى احد مجالس ابى بكر بن سعيد الوزير التي كان يعقدها فتدار فيها مناقشات ادبية وعلمية تصدى الشاعر ابو بكر المخزومي الهجاء الذي قيل فيه انه اذا مدح ضعف شعره لشاعرتنا نزهون فاشبعها قذفا من غير ما تحفظ والوزير ينصت الى ذلك .

ومما قاله منها شعرا :

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وان كان قد امسى من الضوء عاريا (1)
قواصد نزهون توارك غيرها
ومن قصد البحر استقل السواقيا(2)

ولكن نزهون ما كانت لترضى بالهوان والخنوع فانثنات تقول ردا عليه وثأرا لكرامتها الجريحة المهانة :

قل للوضيع مقالا
يتلى الى حين يحشر

بيد أن المخزومي ليس بالشاعر اللين العريكة حتى يستسلم لها ، ويعلن في مجلس الوزير هزيمته وفشله، ولذلك رد عليها بقوله ممزقا عرضها :

الا قل لنزهونة ما لها
تجر من التيه اذيالها

ولما راى الوزير ان الامر سوف يتفاقم ويزداد حدة اقسم أن يكفا عن السباب والقدح .

وتقول نزهون ردا على هجاء له فيها :

ان ما قلت حقا
من بعض عهد كريم
فصار ذكري ذميما
يعزى الى كل لوم
وصرت اقبح شيء
في صورة المخزومي

وسالها بعض ثقلاء الظل :

ـ ما على من اكل معك خمسمائة سوط .

فقالت :

وذي شقوة لما رآني راى له
تمنيه يصلي معي حاجم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما
خلقت الى لبس المطارف والشرب

ونزهون لم تترك الفرصة تمر دون ان تسجل لنا لقاء جميلا ـ عطرته تصغير صيغة التعجب ـ فى ليلة ... لاحد .. مع حبيبها بعيدين عن اعين الرقباء حيث الجو الناعم واللحظة المجنحة والاحساس المدغدع ، وها هي تسمعنا قولها :

لله در الليالي ما احيسنها
وما احيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرتا فيها وقد غفلت
عين الرقيب فلم تنظر الى احد
ابصرت شمس الضحى فى ساعدي قمر
بل ريم خازمة فى ساعدي اسد

---

1) كذلك اورد البيت المقري فى النفح ج 1 ص 90 ، ولكن فى ج 2 ص 495 اثبت البيت هكذا :
وتحت الثياب العار لو كان باديا . ـ
2) البيت أخذ من قول المتنبي بمدح كافورا :
قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

وخطب رجل يد شاعرتنا وكان قبيحا بشعا فقالت تنسفه في آماله واحلامه وتعدد معايبه :

عذيري من عاشق انوك
سفيه الاشارة والمنزع
يروم الوصال بما لو اتى
يروم به الصفع لم يصفع
براس فقير الى كية
ووجه فقير الى برقع

ومن نوادر نزهون التي احتفظ لنا بها التاريخ أن ابن قزمان الشاعر الزجال جاء ليناظرها وكان يرتدي غفارة صفراء وهي زي الفقهاء زمنئذ ، وعند ما لمحته قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف .

— انك اليوم كبقرة بني اسرائيل صفراء فاقع لونها ، ولكنك لا تسر الناظرين .

فضحك من حضر وثار ابن قزمان واستشاط غضبا فأخذ بسب فاندفع الحاضرون اليه وطرحوه في بركة أمام البستان .

أم العلاء بنت يوسف الحجارية :

شاعرة عاشق في القرن الخامس الهجري تعرف بالحجارية نسبة الى بلدها وادي الحجارة .

من شعرها قولها :

كل ما يصدر عنكم حسن
وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم
وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره
فهو في عين الاماني يغبن

وهام بها رجل كبير السن فطلب يدها ، وعند ذاك كتبت اليه تقول :

الشيب لا يخدع فيه الصبي
بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن اجهل من في الورى
يبيت في الجهل كما يضحي

وقالت معتذرة :

افهم مطارح اقوالي وما حكمت
به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر ا بينه
شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما خلته من زلة فما
اصبحت في ثقة من ذلك الكرم

غاية المنى :

جارية اندلسية ظريفة متادبة قدمت الى المعتصم ابن صمادح فرام امتحانها فقال لها :

— ما اسمك

قالت :

— غاية المنى

فقال لها :

— اجيزي : اسألوا غاية المنى

فاجازت

— من كسا جسمي الضنى
وأراني مولها
سيقول الهوى انا

والحكاية تروى رواية أخرى غير هذه التي مرت بنا آنفا وهي ان غاية المنى سيقت لابن صمادح فامر بان يختبر ذكاءها الاستاذ ابن الفراء الخطيب ، ولما جلست بين يديه قال لها :

— ما اسمك
فقالت :
— غاية المنى
فقال :

— اجيزي :

سل هوى غاية المنى — من كسا جسمي الضنى

فقالت على الفور :

وأراني متيما — سيقول الهوى انا

وعندما وصل خبرها لابن صمادح اشتراها

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية :

بنت ملك ، اديبة قرضت الشعر ، لها يد طولى في فن الموشحات ، كلفت بفتى جميل يدعى السمار من دانة قالت فيه مولهة :

يا معشر الناس الا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينزل ببدر الدجـــى
من افقه العلـوي للتــرب
جسمي لمن اهواه لو أتــه
غارتنــي تابعــه قلبــي

العبادية جارية المعتضد :

شاعرة ظريفة ، كاتبة اديبة ، تحفظ رصيــدا لابأس من اللغة ، اهداها للمعتضد والد المعتمد مجاهد العامري . كان يميل اليها شديد الميل حتى ملكت عليه شعوره وحسه ، وقد ارق المعتضد ليلة وحاول أن ينام ولكن بدون جدوى فقال :

تنــام ومـدنفهـا يسهــر
وتصبر عنــه ولا يصبــر
فأجابته على البديهة :
لئن دام هذا وهـــذا لـــه
سيهلك وجـدا ولا يشعــر

اعتماد الرميكية جارية المعتمد :

ان الصدفة قد تلعب فى حياة الفرد دورا مهـما فترفعه من السفح الى القمة فى برهة زمنية قصيرة هي فى حساب الدهر ليست بذات أهمية ، غير انــها فى حساب الانسان نبضات تمده بأسباب الحياة فتفرش دربه زهورا وياسمين كما فرشته لشاعرتنا اعتمــاد الرميكية بسبب سحر الكلمة وروعة الحرف ، وكيف يا ترى استطاعت الكلمة أن تنقلها نقلة سريعة مــن الحياة العادية الى الحياة البلاطية حيث النفــوذ والسلطة ؟ وذلك هو ما سأعرفك به وشيكا .

ركب المعتمد هو وصديقه ابن عمار يوما زورقا للنزهة فى نهر اشبيلية ، واذا هما ينعمان بجو رائق لطيف اذهب نسيم معذوذب على النهر فأحدث علــى صفحة المياه حبكا وتموجات دغدغت مشاعر الملــك الشاعر ، فنظر الى النهر واطال التأمل فقال مخاطبا صديقه ابن عمار فى انشراح :

أجز يا ابن عمار :

صنع الريح من المـــاء زرد

غير ان ابن عمار الشاعر ارتج عليه فأخذ يعبث بلحيته عادة من يريد ان يستوحي أو يتذكر شيئــا ، ورانت فترة صمت ليست بالطويلة حاول أثناءها ابن عمار أن يمتح ذاكرته بدون أدنى جدوى واذا بصــوت ينبعث من جانب الوادي يهتف فى عذوبة وحلاوة :

أي درع لقتال لــو جمــد

وعندما سمع المعتمد ذلك لم يملك نفسه من شدة العجب ، وسرعان ما خف الى صاحب الصوت فتبينه فاذا به فتاة جميلة من الفتيات الغسالات اسمها اعتماد الرميكية .

واخيرا اشتراها من مولاها رميك بن حجاج ثم تزوجها وأنجبت له أولادا .

ومهما يكن من شيء فمنذ أن عرف المعتمد اعتماد وهو لا يهتم بشيء بقدر اهتمامه بها حتى انه لقب نفســه المعتمد كي يناسب لقبه اسمها وقد كان من قبل يعرف بمحمد الظاهر ، وحبه لها وهيامه بها لم يقف الى هذا الحد فقط بل انه كان يدفعه الى ان لا يعصى لها امرا كيفما كان نوعه ، ولذلك يحكى انها اطلت يوما مــن شرفة قصرها فلمحت الناس يمشــون فى الطيــن ويدوسونه فاشتهت أن تفعل مثلهم ، وما كان مــن المعتمد الا أن يخضع لامرها ، اذ أمر بسحق كمية من الطيب فى ساحة القصر وصب فيه ماء الورد وعجن كل ذلك حتى أمسى كالطين ثم داسته مع جواريها وسمى ذلك اليوم « يوم الطين » .

وظلت شاعرتنا تنعم بلين العيش ، وترفـل فى بحبوحة اعواما تلو أعوام الى أن حدثت الكارثة التي هدمت سعادتها اذ خلع المعتمد وسجن باغمات فقالت له يوما :

— يا سيدي لقد هنا هنا

فقال بحرقة حنظلية :

— قالت لقد هنا هنــــا
مــــولاي أيــن جاهنــــــا
قلـــت لهـــا الهنــــا
صيرنـــــا الــــى هنــــا

وباغمات توفيت شاعرتنا اعتمــاد الرميكيــــة حيث استأثرت رحمة الله بزوجها الملك المعتمد بن عباد الشاعر .

بثينة بنت المعتمد بن عباد :

شاعرة درجت فى بيئة تبرعمت فى رحابهما الكلمة المجنحة والحرف المنغم ، انها بنت ملك شاعر مطبوع ، وبنت شاعرة ظريفة ، فلا محالة اذا أشرقت حــب الشعر من كانت برعما يتفتح للحياة ، وغذى ملكتــها الادبية المحيط الشاعري الرغيد ، لذلك كست تعبيرها رقة وجودة ، وتكومت فى ثناياه عاطفة ندية .

لبثت هذه الشاعرة الرقيقة تعب من الحياة حلاوتها الى أن دق ناقوس الخطر معلنا بالنهاية المحتومة اذ حلت بأبيها النكبة المعروفة ، فأصبحت من جملة العبيد تباع فى الاسواق ، واشتراها رجل من اشبيلية ثم وهبها لابنه ، ولكنه لما أراد البناء بها امتنعت واعلنت عن نفسها وقالت له : لا يكون ذلك الا بموافقة أبي وبعد هذا كتبت له ابياتا تحكي فيها قصتها فى اسى :

اسمع كلامي واستمع لمقالتي
فهي السلوك بدت من الاجياد

لا تنكروا أني سبيت وانني
بنت لملك من بني عباد

ملك عظيم قد تولى عصره
وكذا الزمان يؤول للافساد

لما اراد الله فرقة شملنا
واذاقنا طعم الاسى من زاد

قام النفاق على ابي فى ملكه
فدنا الفراق ولم يكن بمراد

فخرجت هاربة فحازني امرؤ
لم يأت فى اعجاله بسداد

اذ باعني بيع العبيد فضمني
من صانني الا من الانكاد

وارادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلائق من بني الانجاد

ومضى اليك يسوم رايك فى الرضى
ولانت تنظر فى طريق رشادي

فعساك يا ابتي تعرفني به
ان كان ممن يرتجى لوداد

وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعو لنا باليمن والاسعاد

وعندما وصلت الابيات الى ابيها وهو فى غياهب المنفى يجتر احزانه بأغمات سر هو وامها سرورا لا سبيل الى تصويره اذ علما انها ما تزال حية ترزق فكتب اليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها :

بنيتي كوني به برة
فقد قضى الدهر باسعافه

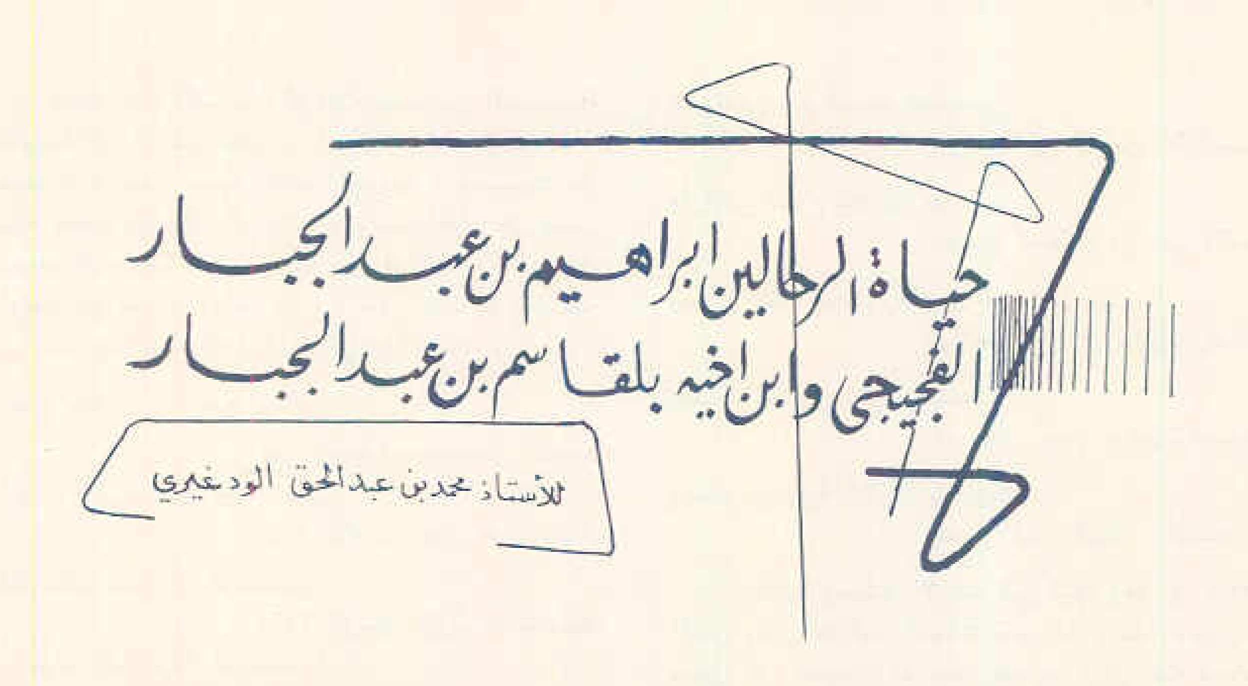
(يتبع)

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

عليك باهل البيوتات ..

قال عمر بن عبد العزيز ، لاياس بن معاوية :

دلني على قوم من القراء أوليهم ، فقال ان القراءضربان : ضرب يعملون للاخرة ، وأولئك لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم ان مكنتهم منها؟ فقال،ما أصنع ؟ قال : عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لانسابهم ويرجعون الى اعراقهم فولهم .



نظمت كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة فى شهر ماي الماضي موسما ثقافيا بمناسبة مهرجان اسبوعي الثقافة .

وقد شارك فى هذا المهرجان الثقافي الحافل مثقفوا المغرب الشرقي من اساتذة ومعلمين عموما ومدينة فجيج الواحة الجميلة الهادئة خصوصا .

ويسرنا ان ندرج فى هذا العدد محاضرة قيمة القيت بهذه المناسبة عن حياة الرحالين الشهيرين سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي ، وابن اخيه سيدي بلقاسم بن محمد بن عبد الجبار كان قد القاها الاستاذ السيد محمد بن عبدالحق الودغيري مدير ثانوية الحسنية ....

ان كلمة الثقافة على ما قرره اللغويون ، ترادفها الحذاقة ، التي هي مشوبة بخفة الانتباه ، ومعناها : النباهة والفطانة ، وكلمة الحذاقة تدخل على الاعمال الجليلة ، وتتجمل بالصناعات الشريفة ؛ وفي اشتقاقها ما يوضح ذلك وضوحا لا مزيد عليه ، ـ فاذا قلنا : ثقف (بكسر القاف) يثقف (بفتحه أو ضمه) ثقفا وثقافة ، صار حاذقا خفيفا ، واذا قلنا : حذق (بكسر الذال حذقا (بسكونه) ، وحذاقة ، كان ماهرا . فهو حاذق ، جمع حذاق ، وحذق الكتاب تعلمه كله ، وحذق العمل : مهر فيه ... وحذق الصبي القرءان ، مهر فيه حفظا ورسما وتجويدا . ـ ومنه طبيب حاذق ، أي ماهر . وحذق الصانع فى صنعته ، مهر فيها وصار متقنا لها . ـ ومن المختار لتفسير الثقافة والحذاقة ايضا ، أن تكون بمعنى الجزالة .. التي هي خفة الانتباه ، وهذه الخصلة يحتاج اليها ـ ضرورة ـ من يتولى الفصل بين الخصوم ، كالقاضي ومن فى معناه ، ليكون مقداما فى تطبيق الاحكام وتنفيذها ، ولذلك جعلها قاضي القضاة : الشيخ ابن عاصم رحمه الله من شروط أوصاف القاضي الكمالية حيث قال :

واستحسنت في حقه الجزاله
وشرطه التكليف والعداله

وتستحسن الجزالة او تكون من قبيل الواجب في كل معلم ، وكل من يتصدى للتربية ، لتكون بضاعته فائقة نافذة ، وحياته فى مهنته سعيدة . وبالجملة : فالثقافة تؤل الى الحذاقة ، ثم تنمو بطريق التكوين والاجتهاد ، الى ان تصير نبوغا ؛ ومن وصل لهذه الدرجة صار من الذين نوه القرءان الكريم بمقامهم فى قوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا اولوا الالباب » . وبعد هذه المقدمة عن كلمة الثقافة وما تبعها من المترادفات ، أتكلم بعون الله للسادة الحاضرين عن عالمين جليلين ، مثقفين حاذقين ، شاعرين ناثرين ، وكل منهما رحالة مشهور ، وله في العلم والثقافة اثر مشكور ... ؛ وهما : ابو اسحاق سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الودغيري أصلا ، ثم

البوزوزي الفجيجي ، وابن اخيه سيدي ابو القاسم بن ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الجبار ، النسب . وقد اخترت في هذه المناسبة الكلام عنهما ، اظهارا لما اعفاه الزمن من ءاثارهما العلمية والثقافية والادبية ، وتعريفا لاهل بلدتهما الفجيجية بما كنا نسمع عن هذين الشخصين الكريمين ، من حياة حافلة بالعلم والادب ، وشد الرحال للمشرق والمغرب ، لاخذ العلم وتعليمه ، وتنويها بما لهما من تراث في هذا الميدان .

فأما ابو اسحاق ابراهيم ، فولد بفجيج حوالي عام 860 هجري ، وتلقى العلوم الاولية عن والده الامام الاشهر سيدي عبد الجبار ، بزاويتهما العلمية بفجيج ، وتلقى بزاوية الونشريسيين بالحمام بفجيج عن العالم الهمام سيدي محمد بن محمد الونشريسي ، وعن ابنه سيدي سليمان ، وتلقى عن فقهاء الزاوية الكبيرة بقصر بني سكون بفجيج ، وبخاصة عن شيخ الجماعة بها : الشيخ عبد الحق بن محمد الذي كان موته سببا في هجرة سيدي ابراهيم ، كما سياتي في محله . وتلقى في معاهد قصر الودغيريين بفجيج عن اولاد الولي الصالح ، القاضي سيدي محمد بن محمد الرشيدي وغيرهم .

ثم رحل لكلية القرويين بفاس فدرس بها ، واخذ علوما جمة عن علمائها ، كالشيخ ابن الحسن الصغير وابن غازي والونشريسي الذي هو من اقارب الونشريسيين الموجودين بفجيج .

ثم رحل مرارا لتلمسان واخذ عن جلة شيوخها ، كالامام السنوسي ، وابن مرزوق ، والعقباني ، والتنسي ، وكان يطيل المقام بتلمسان للتدريس بها ، وخصوصا في شهر رمضان من كل سنة ، وانتفع به في تلك الجهة خلق كثير . – ثم رحل الى الشرق خمس مرات للحج وزيارة الحرمين الشريفين ، واخذ في رحلته في مصر عن الامام السيوطي ، والبساطي ، وابي النجار الحنفي ، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابي اسحاق ابراهيم اللقاني صاحب جوهرة التوحيد ... وغيرهم وله عن الجميع اجازات ومناولات ومسلسلات ، واطلقوا له القول في الجميع؛ وكلامه في نثره ونظمه يشهد بغزارة علمه ، وجودة قريحته ، وقوة ذكائه ، وسلاسة طبعه ، وعذوبة الفاظه

وتولى القضاء بفجيج وناحيته في ظروف ذكرها بنفسه ولم يذكر تاريخها ، وانما اشار اليها في مقدمته لنظم السلوانية ؛ ولعل ذلك كان وقت شبابه المشرف على كهولته قبيل عام 900 هـ ويشير فيها ايضا الى حياة والده سيدي عبد الجبار في ذلك الزمان ؛ والذي استلفت الانظار اليه بوجه خاص في زمانه ، هو انه مع ما كان عليه من القيام بدروس التربية ،وخطة القضاء والكسب لانواع الانعام ، والاشتغال بالفلاحة ... ؛ كل ذلك لم يصده عن الخروج للصيد في مهامه الصحراء ، مما جعل اهل وقته يعيبون عليه ، لجهلهم بما له في تعاطي الصيد من المقاصد الحسنة ، والمنافع الحسية والمعنوية . ينبغي لنا الاصغاء اليه رحمه الله بكل اهتمام ، ليحدثنا بنفسه عن الصيد واحسن طرقه ومحاسنه ، ورده (في نفس قصيدته) على الجاهلين لمنافعه .

قال رحمه الله : فلما الفت السياحة في البراري وقنص الوحوش في مهامه الصحارى ، والتفكر في مصنوعات الباري ، فلا قيل ولا قال ، ولا همج ولا ثقال ، ولا جمام يسلب الهيبة كما قال :

وطول جمام الماء في مستقره
يغيره لونا وريحا ومطعما

كان مما اخترت الاصطياد به ، لنزاهته وطهارته ، ودرايته ونجابته : الصقر دون الكلب ، لحقارته وقذاراته، وقلة نباهته ، وسرعة اجابته ؛ وكنت اقول : «صقر وقور ، خير من كلب عقور » ، لا سيما وقد يدل على مقتنيه بنباحه ، في موضع يخاف فيه سوء صباحه ؛ فاطلق الغوغاء السنتهم ، وشن الجفاة غارتهم ، وسن الحفاة العراة اسنتهم ، فقلت على جهة التعريض ، وان كنت لا احسن القريض ، مستفتحا بحمد الله ، ومستنجحا بالصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ونبينا ومولانا محمد ابن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ابدا ما دام ملك عدد خلق الله :

يلومونني في الصيد والصيد جامع
لاشياء للانسان فيها منافع
فأولها كسب الحلال اتت به
نصوص كتاب الله وهي قواطع
فصحة جسم ثم صحة ناظر
واحكام اجراء السوابق رابع
وبعد عن الارذال مع صون همة
واغلاق باب القيل والقال سابع
وايضا لعرض المرء فيه سلامة
وحفظ لدينه وذلك تاسع

وفيــه لاهــل الفضل والدين عبــرة
وتذكــرة لهـا لديهــم مــواقــع
ويـورث طيب النفس والجود والسخا
ويالـف منه الصبــر من هو جــازع
وينفـي الهمـوم المهرمات عن الفتـى
ويقمـع وقد الشيب كي لا يســارع
ويـورث عنـد الالتحـام شجاعــة
وفيــه مـن الســر الخفـي بدائـع
كـرعــي نظــام والافتقــاد رعيــة
وحفـظ جنـاب من عــدو ينــازع
وتدبير امر العيش والفتــك بالعــدا
وصيد اسود الانس والوحش تــابــع
اذ الحــرب خدعــة وكيــد فربمــا
تحيـل بالقنــص الدهــاة التبابــع
فاظفــرهــم بكــل عــاد معانــد
علـى غــرة فدرجتــه الضراجــع

عدد ابيات هذه القصيدة 214 وتشتمل هـي وشرحها على مشروعية الصيد من الكتاب والسنة . ويوضحان ما في تعاطي الصيد من المنافع التي لا تحصى، مع تطبيقات مرتبطة بين الوقائع والآيات القرءانيــة ، والاحاديث النبوية ، وفيها تصوير للملاحم وتدبيــر الامور الحربية ، مما لا غنى للجندي وكل وطني غيـور عنها ، الى ما فيهمـا من الثقافـات والآداب العاليــة والنصائح الغالية ؛ يحتـاج اليها كل معلـم وطالــب ، ليتحلى بها في حياته العادية ، وحياته الفكرية ؛ على ان قارىء القصيدة مع الشرح ، يحس كأن احد المؤلفيـن يتحدث اليه بلهجة صادقة تربوية مغناطيسية تنفذ الى القلب ، ثم يشع منها ضوء على الفكر .

وفي عام 904 هـ تم مترجمنــا سيــدي ابراهيــم الفجيجي ، ارجوزته : « المفيدة » في العبادات والعقائد والاخلاق ، قل من نسج على منوالها ، عدد ابياتها 817، ابتداهـا بقولـــه :

يقــول راجــي رحمــة الغفــار
ابراهيــم بــن عابــد الجبــار
الحمــد للــه الــذي بحمــده
نيــل مزيــد فضلــه في وعــده
وبعــد فالقصد بهــذا الرجــز
نظــم نفائــس بلفــظ مــوجــز
مــن درر المفروض والمسنــون
ومــا لــه يحتــاج كــل حيــن

وقـــال في خاتمتهـــا :

هنا انتهـى القــول وتـم القصــد
يحــول من يوتى الهدى ويرشــد
وذاك فـي العاشر مــن شعبانــا
ســنــة تسعمائــة حسبانــا
واربعـا مـن بعدهــا ، تخلــت
او زدت او قــدمــت او اخــرت

الى آخرها ، وله رحمه الله قصيدة يرثي بهــا بعض اهل الفضل ، الحائزين قصب السبق في العلــم والعمل والعدل في زمانه ، ذكرها سيدي بلقاسم رحمه الله في شرح السلوانية .

سبب هجرتــه رحمه الله الى السودان

كان احد شيوخه وهو الشيخ عبد الحق السكوني من فقهاء الزاوية الكبيرة ، قاضيا مبــرزا ، ومفتيــا مقصودا ، فاعتدى عليه احد السفهاء فقتله بسبب فتيا شرعية ضده ، ولا يخلو زمان ومكان من سفهاء يجرهم الحمق لارتكاب مثل تلك الجريمة .. ؛ فغضب تلميذه الرحالة سيدي ابراهيم لهذا العمل الشنيع ، وهجــا ذلك المفسد وعاتبه عتابا حارا بصيغة الجمع في قصيدة نوه فيها بوجوب الهجرة الى الله ، والرحيــل من جوار من تغيرت بسببهم البلاد ، ولم يقم فيها من يردعهم عن الغي والفســاد ؛ وهذه أبيات منها :

تغيرت البــلاد واحلولك الليــل
وشب ضرام الشر وانهمر السيــل
وءان الرحيل من بــلاد تآمــرت
بها المفسدون واستمر بها الهــول
اتسكن أرض ليس ينهـى سفيههـا
ولا يتقي فيهـا قصـاص ولا عــدل
ولا يامن الاخيــار شر شــرارها
على خطر يبقى بها من له الفضــل
تعيــن فرضا أن يهاجــر عنهــم
الى الله من لــه البصيرة والعقــل
فتكتـم بعبد الحــق لا در دركــم
على قوله للحــق وهو لــه اهــل
هنيئــا لــه نيل الشهادة منكــم
وويل لكـم من حاكم حكمه العــدل
نهينا عن الرهبان من غير ديننـــا
فكيف بأهل الدين جاءكــم الويــل
فان يشكوكم خلق الى خلق مثلكــم
فانا شكوناكــم لمن ما لــه مثــل

قال سيدي بلقاسم فى تعليقه على القصيدة ، وعبد الحق هذا ... المفتوك به ، هو عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السكوني نسبا ، الفجيجي سكنا ، احد الائمة القائمين بالعدل الدائم ، الصادعين بالحق الملائم ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، اجزل الله ثواب فتكته ، وافاض علينا من بركته ؛ ه تعليق سيدي بلقاسم

وفي اثناء حرارة موت شيخه المذكور ، قام بترحيله من ضريحه الذي دفن فيه اول مرة ودفنه في محل آخر ، وبنى عليه ضريحا متواضعا لا زالت جدرانه قائمة لحد الان قرب ضريح سيدي بن هلو السكوني ، ثم بعد ذلك شد الرحيل وهجر من فجيج حوالي عام 920 ، وصحب معه اهلا وذرية ، وترك بمنزله بفجيج اهلا وذرية . وبينما هو فى طريق هجرته مارا ببلاد توات ، اذ شاهد من اناس بها تعظيما ممقوتا لليهود القاطنين هناك بصفة ينكرها الشرع الكريم ، ويمجها العقل السليم ، وفي ذلك يقول ابن اخيه سيدي بلقاسم رحمه الله : وللناظم رحمه الله قصيدة لامية فى معارضة اهل توات من بلاد الصحراء ، وفقيههم المصنوني التلمساني ، والرد عليهم حين صح عنده اكرامهم لليهود بها،وتعظيم قدرهم لديهم فيها ،واباحتهم اياهم من الامور ما منعهم منه الشرع العزيز،نظرا الى ما يصيبونه من دنياهم ،فجعلوا ذلك ثمن اخراهم ،ورضي بذلك اعلمهم واعلاهم،كما رضي به اجهلهم وادناهم،فعاتبهم على ذلك غاية العتاب ، وحذرهم على سوء المنقلب وشر المثاب ، فلم يبق فيها رحمه الله ولم يذر ، ما يبيح عنهم وعن غيرهم غياهب الظلام والكدر ، وصيرهم عبرة لمن اعتبر ، مع انه رحمه الله مستغرق الاوقات بالاسفار ، وقل بلد لم يطأه من سائر الاقطار ، انتهى تعليق سيدي بلقاسم .

غير انه لم يذكر اي محل كان فيه اليهود هناك ، لان توات قطر شاسع ، واليهود كانوا فى نقطة قليلة منه فقط . ـ ثم واصل هجرته الى ان انتهى به السير في مدينة جني التي هي مملكة برنو فى ذلك الزمان . وهناك استانف اعماله الصالحة من نشر العلم وتعاطي طرق الكسب الحلال ، وعاش هناك فى السودان مايزيد على الثلاثين عاما . ثم توفي وترك ذرية مشهوره ، وله ضريح يزار ، رحمه الله رحمة واسعة .

اما تاريخ وفاته بالضبط فلم نعثر على تحقيقه ، وقد قيل انه توفي قبل وفاة اخيه سيدي محمد بنحو العامين ، او بعده بعامين ، واخوه سيدي محمد الذي هو اصغر منه توفي بفجيج فى رمضان عام 956 هجري، كما هو ثابت فى عقد حبسه النموذجي الاثري ، المكتوب فى رق غزال ، وعليه ظهير الموافقة والثبوت من السلطان المقدس مولانا الحسن الاول رحمه الله ، وعلى هذا تكون وفاة سيدي ابراهيم فى السودان حوالي عام 958 ، وفي عمره اذ ذاك نحو 98 ، وقد هدى الله لدين الاسلام على يديه خلق كثير من السوادين ، فكان هذا العمل من حكمة الله البالغة فى هجرته رحمه ورضي عنه .

ابو القاسم

اما ابن اخيه سيدي ابو القاسم بن محمد بن عبد الجبار الرحالة ، الحاج ، المجاهد ، فقد كان مثله : قاضيا وكتابا ، وفلاحا وصيادا ، ورحالة محصلا للعلم ، نفاعا به اينما حل وارتحل .

وقد تلقى اولا عن والده سيدي ابى عبد الله محمد بن عبد الجبار بفجيج ، ثم رحل فى حياة ابيه لزيارة الحرمين الشريفين ، ولقي فى رحلته علماء بالقيروان والاسكندرية ، وفي الازهر ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وكذلك فى القدس والشام ، واخذ عن شيوخ تلك البلدان ، غير انه لم يحضرنا فى هذه الساعة من اخذ عنهم هنالك ؛ ولما رجع من رحلته تصدر للتربية مع ابيه فى زواياهم العلمية ، وكانت مجالسه بفجيج يضرب بها المثل .

ثم رحل الى تلمسان واطال المكث فيها ، رغبة من سكانها ؛ ولذلك السبب عده الاتراك الحاكمون فيها فى عدد العلماء الجزائريين الذين بلغوا درجة النبوغ ، كما ذكره الاستاذ احمد توفيق المدني فى مؤلفه عن عهد: محمد عثمان باشا داي الجزائري ، المطبوع فى سنة 1356 هجرية صفحتي 76 ـ 78 ، حيث قال : ابو القاسم ابن ابى عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي البرزوزي المتوفى (1021) ، تخرج عن ابن غازي والونشريسي والسنوسي وابن مرزوق ، وكان بحرا فى العلم لا ساحل له ، مع صلاح وزهد وتقوى وورع ، ونفع بعلمه وصلاحه جمهورا عظيما من الامة . ا ه .
ثم رحل الى زاوية تمكروت الناصرية بوادي درعة ، واخذ عن شيوخها واخذوا عنه ، واتى منها بكتب علمية نفيسة ؛ وكم من مرة شد الرحلة لمراكش وفاس للاخذ عن العلماء ، وكان يطيل المقام بالخصوص في القرويين للتدريس بها ، وممن اخذ عنه هناك : الشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد ، المتوفى

عام 1040 هجري ، والشريف الزاهد سيدي مولاي عبد الله بن علي بن طاهر العلوي المدغري ؛ كما اشار الى ذلك سيدي عبد الحفيظ الفاسي في مؤلفه : «رياض الجنة» ج 3 : ص 34 ، ويؤيد ذلك ما ذكره تلميذ ابن عاشر : الشيخ احمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد ، عند كلامه على معاني (لا اله الا الله) ، فاسمعوا معي للشيخ ميارة يقول : وهذا المعنى هو الذي عقد شيخ شيوخنا ، الامام الشهير ، الحافظ الكبير ، الولي الصالح ، الحاج الرحال ، سيدي ابو القاسم بن الامام الحافظ الاثير ، القاضي سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله بقوله :

فصل ومعنى لا اله الا
الله جل الرب نعم المولى
ما في الوجود من اله يعبد
بحق الا الله فرد صمد

الى آخر ما قرره في الثمانية الابيات من المعاني ؛ وفي وصف الشيخ ميارة لسيدي بلقاسم بشيخ شيوخنا كاف لحقيقة ما نقلناه .

حاله في عامة حياته

كان ابو القاسم رحمه الله — على ما بلغنا بطريق التواتر — مثالا للزهد الحقيقي ، في ماكله ومشربه وملبسه ، كانه كان يمثل الحكمة العمرية : «اخشوشنوا واخلولقو فان الحضارة لا تدوم» . زاهدا كذلك في الحظوظ النفسية ، متباعدا عن التظاهر ... حتى بالمقامات العلمية التي هو متصف بها ؛ وكان كثير الصدقة على المحتاجين ، وعلى الطلبة الوافدين لتلقي العلم عنه وعن غيره في زاويتهم ، اذ كانت نفقتهم جارية من داره سواء كان حاضرا ام غائبا ، وفي هذا المقام كان عاملا بقول الله سبحانه : « ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

شعره

كان ابو القاسم مؤلفا بالنثر والنظم ، مثل نظمه لمختصر خليل ، وله اشعار حلوة سلسة في مقاصد شتى . منها شعر نظمه عن ظعن واقامة غنمهم وانعامهم في مواقع المراعي وبهجتها ، ورحلاتهم بها في الصيف والخريف والشتاء والربيع للمراكز المناسبة لكل فصل من فصول السنة ، مشيرا فيه للجمال الذي اودع الله في ذلك كله في آيات سورة النحل :

« والانعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، ان ربكم لرءوف رحيم » الى آخر الآيات .

ان الاخبار المتواترة ، وقرائن الاحوال المتكاثرة ، تدل على ان فجيج هذا ، كان موئلا للخائفين ، وموردا موردا للمتعلمين ، من اوساط القرن السادس الهجري الى آخر القرن الثاني عشر . باستثناء بعض الظروف الشاذة القليلة ، التي كان يظهر فيها بعض الفوضويين المعكرين للجو . ولكنه في مكان دون ءاخر ، ولا يكاد ينتشر شرهم حتى تذهب مخاوفهم ، — ولقد اثرت دروس التربية الدينية والوعظ والارشاد ، في سكان هذا البلد تاثيرا بليغا ولا يزال اثرها كامنا في نفوس اهله ، ظاهرا على اخلاقهم ، من تلك القرون حتى الآن . وليس الخبر كالعيان وبعبارة اخرى : والمشاهدة اقوى دليل واسطع برهان ، — وما ظنكم ببلد انتشر بين سكانه حفظ القرءان ، واتحدت فيه دراسة التفسير والحديث ، ودراسة الفقه ، ودراسة الاخلاق المؤسسة على منطوق وصريح الكتاب والسنة طوال قرون ، حتى كان بلد فجيج في تلك الاحقاب يزخر بالعلم النافع في جميع معاهده المتعددة ، وكان لا يحتاج الى غير علمائه في الامامة والفتيا والقضاء . وكانت البلدان الاخرى تحتاج الى علمائه . وبفضل انتشار العلم ومحاربة الامية بهذا البلد ، حصل فيه لاهله الاستقرار التام ، والاطمئنان على الانفس والاموال .

ذلك هو العهد الزاهر الذي عاش في بحبوحته ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الجبار ، وابن اخيه ابو القاسم ؛ وهما ايضا من جملة العلماء الذين يرجع اليهم الفضل في زمانهم في استقرار الامن وحسن التربية ، والثقافة العلمية في هذه الربوع .

وفي هذا الصدد لابد لنا من النظر الى وثيقة تاريخية اثرية حاضرة معنا ، محررة بخط واسلوب وتوقيع العلامة الاجل ، قاضي الجماعة في زمانه ، سيدي محمد فتحا ابن ابراهيم بن عبد الجبار الودغيري ، التي نوه فيها بما كان لسيدي عبد الجبار واولاده من الباع الطويل في فنون العلم والتاليف ، وما كان لهم من الاعتناء بتخصيص خزانة كبرى جمعوا فيها الكتب النفيسة للانتفاع بها ، كما هو الشان في خزانات كبريات المدن .. الخ . مؤرخة هذه الوثيقة

في ربيع النبوي عام 1165 ﻫ ، ونصها : الحمد لله ، لما ثبت العلم معقولا ومنقولا للامام الكبير ، الشيخ سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله ونفعنا به وبعلومه ، مصنف تفسير القرءان في اثني عشر جزءا ، ومختصر حياة الحيوان ، ولاولاده الثلاثة : سيدي ابي اسحاق ابراهيم ناظم الارجوزتين، احداهما في علم الدين تسمى مفيدة الولدان ، والاخرى في علم الصيد تسمى بروضة السلوان ، قل من نسج على منوالهما . وسيدي احمد القاضي ، واخيهما سيدي محمد فتحا الجامع بين علم الشريعة ودرجة حقيقة الولاية . وابنه سيدي ابي القاسم ، ناظم مختصر الشيخ خليل بن اسحاق ، بأوجز لفظ وحسن اتساق ، وشارح روضة السلوان المنسوبة لعمه المذكور ، وكلامهم في ذلك يشهد بغزارة علمهم ، وعباراتهم فيه تشهد بحذاقتهم وجودة قريحتهم ، وان فهمهم الثاقب ، في العلم انفذ من السهم الصائب، لله درهم . حسبما شهد لهم بذلك الائمة في كل الاقطار ، والعلماء بسائر الامصار ؛ هذا ، وان ما جمعه الوالد المذكور واولاده في صدر القرن العاشر ، من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلد فجيج ، من اجل خزائن المدن واكبرها ، وليس الخبر كالعيان : (حبس) على من ينتفع به من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والاستنساخ منها ان كان اهلا لذلك ... الى آخر ما فيها .

غير انه بكل اسف لم يبق من الكتب في خزانة دار العدة ، سوى اوراق مبعثرة لا فائدة فيها . اما الكتب المهمة فقد لعبت ببعضها ايد مفرضة ، حتى وصلت لخزانات اوربا وغيرها ، ووزع الباقي منها بعض ذرية محبسيها – كما في علمكم – حتى لا يؤول امرها الى ما صار اليه ما فقد منها . (ولله الامر من قبل ومن بعد) . – ثم لنرجع لشرح السلوانية ، فقد استغرق فيه ابو القاسم ستة عشر عاما ، فقد قال في خاتمه : وكان الفراغ من تعليقه عشية الاثنين سادس عشر ذي حجة الحرام عام 986 ، كما كان ابتداؤه في حدود السبعين . ا ﻫ

والمظنون انه اتمه بعد رجوعه من وقعة وادي المخازن المشهورة ، اذ قد حضرها من جملة العلماء التابعين لشيخ المشايخ سيدي يوسف الفاسي الفهري دفين القصر الكبير . ولم ياخذ شيئا من فيئها تبعا للعارف بالله سيدي يوسف المذكور ، الذي تورع عن الفيء لاسباب معلومة في محلها . –

وقبل الختام ايها الاخوان ، اهيب بكم جميعا ان توجهوا قليلا من عنايتكم ، وقليلا من كرمكم ، للتعاون على طبع شرح منظومة السلوانية ، ما دام سهل التناول .. ؛ احياء لتراث علماء بلدنا ، وقياما ببعض حقوقهم علينا ، وتنويها بمكانتهم العلمية والادبية ، في وسط المثقفين من اهل مغربنا . وانتفاعا بئاثارهم الثمينة ؛ فانه شرح نفيس ينبغي لكل فرد منا ان يجعله ذخيرة لنفسه ولاجياله من بعده . واسم هذا الشرح هو : (الفريد ، في تقييد الشريد ، وتوصية الوكيد) ، وهو الذي قال عنه صاحب المنجد ، في زيادته الجديدة، انه موجود في خزانة الكتب ببرلين ، ونسبه لسيدي ابراهيم غلطا منه ، ذكره في حرف الفاء عند ذكره لفجيج .

نعم ، هذا الشرح موجود بفجيج ، وفي برلين، وفي باريز ، وفي الرباط ، وفي الجزائر . ولكن لم يهتد احد لطبعه لحد الآن ، وانما وقفنا على طبع القصيدة فقط ، اعتنى بطبعها وترجمتها ترجمة ملخصة للفرنسية : طبيب فرنسي من اساتذة كلية الجزائر ؛ كما ان نابغة المغرب السيد عبد الله كنون نقل من القصيدة مائة بيت وبيتين في الجزء الثالث من مؤلفه: « النبوغ المغربي » ، متع الله دولة الادب والثقافة بحياة سيدي عبد الله كنون واكثر من امثاله .

توفي ابو القاسم في عام 1021 هجري ، وعمره يناهز المائة سنة ، ودفن بضريح والده سيدي محمد بن عبد الجبار بالمسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وجعلنا من المقتفين اثرهم في تحصيل الثقافة المغذية للقلوب والارواح ، المطبوعة بطابع المعقول ظاهرة على الالسنة والاشباح .

فجيج : محمد بن عبد الحق الودغيري



الربا والفائدة

في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين

تأليف علاء الدين خروفه
تقديم عبد الرحيم بن سلامة

الاستاذ علاء الدين خروفة من الباحثين الكبار الذين يهتمون بالموضوعات الاسلامية ولاسيما تلك التي تهم الاحوال الشخصية والقضايا المدنية في المعاملات الاسلامية .

ولقد شاءت الصدف ان اتعرف على هذا الانسان الذي يمتاز بدفاعه عن الاسلام ومحاربة كل الامراض التي تطغى على المجتمعات الاسلامية ، والربا في نظره مرض وبيل وداء عضال لا يصيب مجتمعا من المجتمعات الا انهك قواه وفرق شمله وارهق اعضاءه .

لذلك تفرغ الاستاذ خروفة لدراسة « الربا والفائدة » في مختلف الشرائع والديانات ، وقد كانت حاصلة جهوده ، هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه والتعليق عليه ، وكتابه هذا هو عبارة عن محاضرة القاها سيادته أمام أعضاء جمعية الاقتصاديين العراقيين « فرع البصرة » . وقد نوهت الصحف بكتاب « الربا والفائدة » فقالت عنه صحيفة العهد الجديد العراقية « انه اول كتاب يقنع القارىء ويبعده عن المعاملات الربوية » ونظرا لكثرة التعليقات عن هذا الكتاب القيم كتبت لصديقي علاء الدين اطلب منه كتابه الربا والفائدة ، فلبى سيادته طلبي فبعث الي مشكورا مجموعة من مؤلفاته من ضمنها الجزء الاول والثاني من كتاب الاحوال الشخصية والكتاب الذي طلبته . وقد ذيل كل كتبه بعبارات مجاملة أشكره عليها ، وكتاب الفائدة والربا يحتوي على 148 صفحة من الحجم المتوسط قسمها المؤلف الى ازيد من اربعين موضوعا درس من خلالها الربا والفائدة في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين ، وقد توصل سيادته الى نتيجة هامة واساسية وهي ان جميع الديانات تحرم الربا والفائدة ولا تقبل المعاملات الربوية مهما كانت الظروف والاحوال .

وقد حاولت مرارا ان اعلق على هذا الكتاب القيم ولكن ظروفي في العمل والتحصيل لم تسمح لي بدراسة هذا الكتاب دراسة عميقة حتى يكون التعليق ايضا في مستوى موضوعات الكتاب .

وقد رأيت من اللازم ان أقوم بواجبي نحو مؤلف هذا الكتاب ونحو قراء هذه المجلة الاسلامية الذائعة الصيت ، فأقدم لهم في عرض وجيز ما تضمنه كتاب الربا والفائدة من معلومات مفيدة .

لقد استهل المؤلف كتابه بقوله : « ان الاسلام عقيدة وانظمة ... اجتماعية واقتصادية وسياسية ... لقد شرع الصلاة ليضمن بقاء الانسان على صلة دائمة بخالقه الاعلى ، وشرع الصيام لحكم كثيرة منها بدنية ومنها دينية ، وشرع الحج لمنافع دينية ودنيوية واخروية، وشرع الزكاة ليضمن تعاون الغني مع الفقير في سبيل تقدم المجتمع » .

ثم اخذ بعد ذلك يشرح كلمة ربا فى اللغــة وفى المفهوم وقد اعطى امثلة كثيرة من القرآن والاحاديــث والاشـعار ومن الكتب السماوية الاخرى واقوال بعض الائمة المسلمين المعاصرين للنبـــي (ص) وغيـــر المعاصرين ففصل اولا مفهوم الربا فى الجاهلية فقــال : « روى مالك عن زيد بن اسلــم فى تفسيــره آيــة آل عمران قال : كان الربا فى الجاهلية ان يكون للرجل على الرجل حق الى اجل ، فاذا حل قال اتقضــي ام تربي ، فاذا قضاه اخذ والا زاده فى حقه وزاد الاخر فى الاجل . ذكره الحافظ فى الفتح » وهذا ما يعرف (بربا النسيئة) اي ان الدائن يؤخر دينه والمدين يزيــده فى المال وكلما اخره زاد فى المال حتى تصير المائة عنــده الافا مؤلفة .

واما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به فى حديث ابي سعيد الخدري (ض) عن النبي (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني اخاف عليكــم الرماء) (1) فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة .

وقد شرح المؤلف — وبكيفية دقيقة ومقنعــة — الفرق بين ربا النسيئة وربا الفضل ، معتمدا فى ذلك على النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ، مشيرا الى أن القرآن حرم الربا تحريما اشد ولهذا قال تعالى فى سورة البقرة آية 278 — 279 : « يا ايهــا الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله» والاية الكريمة تشمل ربا النسيئة والفضل معا .

وجاء فى كتاب (الكبائر) قوله تعالى « يا ايهــا الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة . وقــال «الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذيتخبطه الشيطان من المس » .

وبعد ذلك تطرق الاستاذ خروفة الى اقوال بعض الفقهاء فى الربا خصوصا اقوال الحنفية ، والشافعية والامامية ، والمالكية والحنابلة ، ففصل قول انصــار كل مذهب على حدة فخرج بنتيجة واحدة وهي أن جميــع المذاهب تحرم الربا ثم تساءل المؤلف لماذا حرم الاسلام الربا ؟

« هل للاسلام عداء مع طائفة من اتباعه ، وبعبارة صريحة : هل الاسلام يحارب الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال او هل هو فى حاجة الى مجاملة الفقراء على حســاب الاغنياء ، — كلا — ان الاسلام لم يحارب طبقة من الطبقات فى مجتمعه وانه لم يجامل طبقــة علــى حساب طبقة اخرى كما انه لم يرد تعطيل الاعمال وشل الحركة التجارية وانما هو تشريع عام صالح لكل زمان ومكان يهدف الى خير المجموع ، لانه جاء للعامليــن كافة ولم يات للفقراء بمفردهم كما انه لم يات للاغنياء بمفردهم ولم يرد أن تطغى طبقة على طبقة ولذلك حرم الربا » .

ولكن هل الاسلام وحده من بين الديانات الاخرى حرم الربا ؟ كلا فقد حرمت الديانات الاخرى الربــا تحريما قاطعا . فالديانة النصرانية تحرم التعامل بالربا بين النصارى مع بعضهم وبين النصار وغيرهم . وهذا هو نص الانجيل فى تحريم الربا (2) « وان اقرضتمــم الذين ترجون أن تستردوا منهم فاي فضل لكم فــان الخطاة ايضا يقرضون الخطاة لكي تستردوا منهــم المثل » .

ويقول المؤلف « بان الاجماع منعقد بين الكنائس جميعها على تحريم الربا » فلقد ثارت الكنائس حين اراد بعض المرابين استباحة الفائدة فلم ترض الكنيسة ولم تسمح بذلك . ولقد سجل الزعيم المسيحي (لوثر) موقفا خالدا حينما نادى بتحريم الفائدة واعلنها حربــا شعواء على المرابين حيث قال : « ان هناك اناســا لا تبالي ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة فى مقابــل اثمان غالية تزيد على أثمانها ... بل هناك انــاس لا يحبون أن يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم جميعا بالنسيئة . ان هذا التصرف مخالف لاوامر اللــه مخالفته للعقل والصواب » .

وعن تحريم الربا فى الديانة اليهودية جــاء فى الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد (25) ما نصه : « ان اقرضت لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي » وفيه بعد ذلك « ان ارتهنت ثــوب صاحبك فالى غروب الشمس ترده اليه .. لانه وحــده غطاؤه ، هو ثوب لجلده .. فى ماذا ينام ؟ » . وجاء فى سفر التثنية بالاصحاح الثالث والعشرين : « لا تقرض اخاك الاسرائلي ربا ، ربا فضة او ربا طعام ، او ربا شيء مما يقرض بربا » .

وجاء فى كتاب المقارنات والمقابلات بين احكــام

---

1) والرماء هو الربا . كما قال صاحب القامــوس المحيط) .

2) انجيل لوقا فى الاصحاح السادس بالعدد 34 .

المرافعات والمعاملات والحدود فى شرح اليهود ونظائره من الشريعة الاسلامية الغراء تاليف محمد حافظ صبري ص 478 : « الربا محرم تحريما مطلقا بين اليهود وبعضهم فيما يقترضه بعضهم من بعض . ومن تعامل به مقرضا كان أو مقترضا فجزاؤه الخروج عن ملة اليهود » .

وهكذا تحرم الديانة اليهودية الربا ايضا فى كتابها المحرف ، ولكنها تحرمه على طريقتهم الخاصة — بين اليهودي واليهودي — وتبيحه بين اليهودي وغير اليهودي .

وجاء فى الاصحاح (3) : « للاجنبي تقرض بربا ، ولكن لاخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب الهك فى كل ما تمتد اليه يدك » وانها تفرقة ما انزل الله بها من سلطان ولا اتى بها انجيل أو توراة او قرآن ، ولكنهم اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وينسون خطا مما ذكروا به ، ومن هنا انطلقوا فاكلوا الربا من غيرهم وملاءوا العالم ربا فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وتوسلوا بشتى الاساليب ، ولم يتورعوا عن سلوك كافة الطرق للحصول على المال ولذلك نعي القرآن الكريم عليهم حيث قال « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » .

ولقد ذكر المؤلف امثلة كثيرة عن المجالات الاقتصادية التي سيطر عليها اليهود فى العالم منذ الازمنة القديمة حتى الان حتى صار الاقتصاد العالمي لقمة سائغة فى أيديهم نظرا لخروجهم عن تعاليم الديانة اليهودية .

وبعد ذلك انتقل المؤلف الى الربا عند الفلاسفة فتساءل هل هؤلاء نادوا هم ايضا بتحريمها فاتى بأقوال اهم الفلاسفة فى الربا فذكر بأن (أرسطو) و (أفلاطون) و (سولون) و (سان توماد كان) وغيرهم كلهم نادوا بتحريم الربا . فارسطو يقول « الارض يمكن أن تخرج نباتا ، والدابة يمكن ان تلد دابة مثلها ، ولكن كيف يتصور ان يلد الدرهم والدينار درهما آخر ... لقد خلقته الطبيعة عقيما ويجب أن يبقى كذلك » (4) .

ومن هنا نفذ المؤلف الى موضوع آخر وهو سعر الفائدة فى مختلف دول العالم : فى أمريكا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وفى البلدان الاخرى فقال « وليست البلاد العربية من حيث انتشار الربا — باسعد حالا من سائر بلاد العالم وبأن جشع المرابين الشرقيين لا يقل عن جشع المرابين الغربيين » .

وينتهي المطاف بالاستاذ خروفة الى الفائدة وظهورها ورأي الاقتصاديين فيها فاتى بقول الاستاذ فائز الخوري فى كتابه : « مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الاسلامية والافرنسية والانجليزية » ص 338 « كانت الحقوق الرومانية أول حقوق أقرت جواز الفائدة واعتبرتها مشروعة ويسمونها Intérêt usure على انها لم تكن واجبة فى كل قرض بل كان يتفق عليها بين المقرض والمستقرض بعقد مستقل عن عقد القرض يتم بطريقة التعهد Stipulation ولا يكفي لوجوب الفائدة تراضي الطرفين حماية للمستقرض وحذر استبداد المقرض وظلمه » .

هذا عن ظهور الفائدة . اما عن راي الاقتصادي فيها فيقول المؤلف : « لقد دعا الى الفائدة وايدها وتحمس لها كثير من علماء الاقتصاد من بينهم : (ميكافلي) (وبودان) (وسيرا وتوماس مـن) . (وهنري جورج) (وmولر) (والفرد مارشال) . (وفلبن) . (وجون كوفنر) . (ورريزلي ميتشل) . و (غالفريدو وبوهم وباروك) . ومن ائمة المذهب الطبيعي نذكر (كيناي) طبيب لويس الخامس عشر فى مؤلفه « الجدول الاقتصادي » ومن ائمة المذهب الحر (ريكاردو . ومالتوس) . (وستيوارث ميل) (وجان باتست ساي) فى كتبهم الاقتصادية .

وكان ممن عارض الفائدة واستنكرها : « اللورد كينز » الاقتصادي الشهير وكذلك (آدم سميث) الذي يسمونه (ابا الاقتصاد) (1723 — 1790) وراي هذا الاخير فى ريع الارض انه اذا تكاثر فى حساب الثروة العامة كان من قبيل الكسب بغير عمل وهو لا يمنع الربح من الديون ولكنه يحده ويستحسن الاقلال من قيمته ، اما العلامة (شارل جيد) فقد ذهب فى كتابه الاقتصاد السياسي المقرر فى بعض الكليات حتى الان — الى (ان تحريم الربا من الضروريات فى العصور الغابرة والان) وقد كان لرايه هذا اثر كبير فى الاوساط الاقتصادية .

---

3) نفس المرجع (أي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد 25) .

4) راجع (قصة الملكية فى العالم ، للدكتور علي عبدالواحد وافي وحسن شماتة ص 85) .

اما الاستاذ عيسى عبده ابراهيم فيقول « لاكسب بالانتظار ، وان العلة في دفع الربا في القرون الوسطى — ثم في يومنا هذا — هي الانتظار ويعبرون عن ذلك بالانجليزية

وأخيرا تعرض الكاتب الى المضاربات التي تتخبط فيها الابناك والمصاريف وصناديق التوفير الوطنية والاجنبية ثم تساءل هل هذه المضاربات والفوائد التي تعود منها ، تعد من قبل الربا أم لا ؟ وبعد بحث دقيق قام به المؤلف والتعرض لاقوال الكثير من فقهاء الاسلام اكد الاستاذ خروفة بأن الفوائد التي تجنى من المعاملات المصرفية والبنكية هي ربا لا تختلف عن ربا النسيئة او الفضل . وهنا ذكر موقف السيد رشيد رضا من الربا الذي ملخصه « ان الربا حرام نهى الله عنه في كتابه » ، ثم موقف الاستاذ الاكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الازهر رحمه الله من الربا والفائدة حيث عارض الفائدة ودعا الى الغائها عام 1950 ولكن ظروف بلاده — يقول المؤلف — جعلته يغير رايه سنة 1960 بغير ما افتى به عام 1950 مستندا في ذلك على الادلة الشرعية وهذا جائز اجتهادا .

❋

ولكن جمهور علماء المسلمين وفي مقدمتهم الاستاذ الجليل الشيخ محمد ابو زهرة والدكتور عبد الله درازة رحمه الله والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عارضوا الفائدة بشدة ودعوا الى الغائها لانها لا تختلف عن الربا في شيء بل هي الربا عينها . وقد ادرج سيادة المؤلف اقوال كثيرة للسادة العلماء الكبار ، ونحن نكتفي هنا باجتهاد لجنة الفتوى التابعة للازهر الشريف التي تضم معظم العلماء الاجلاء المذكورين ، فقد نصت اللجنة على (ان اخذ فائدة من راس المال المودع في بنك او احد المصارف محرم لانه من الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع) (5) . وهناك فتاوي اخرى في الموضوع لا يسع المقام لذكرها .

هذا هو رأي الاسلام الصحيح .. الاسلام الذي لا يحابي احدا ولا يجامل فئة قليلة على حساب فئة كثيرة ، اما الاقتصاديون الذين اباحوا الفائدة فلا شأن لنا بهم ويكفي أننا عرفنا الكثير منهم نددوا بالفائدة وذكرنا اسماء لامعة لمؤسسي الاقتصاد الذين لو علموا أن هناك منافع سيجنيها الاقتصادي من الفائدة لقرروها ولكن اغلبهم استنكروها . فهذا اللورد (بويداور) يقول « ان الفائدة سبب أصيل من أسباب الاضطراب الاقتصادي الراهن » ولكن هل من الممكن أن نعيش في مجتمع بلا ربا ؟ ان في استطاعة مجتمعنا الاسلامي أن يعيش بدون ربا اذا اتبع المسلمون تعاليم القرآن والسنة الخالدة من دون الالتجاء الى تأميم المصاريف أو الغاء البنوك أو القضاء على رؤوس الاموال كما يظن بعض الاقتصاديين ولعل الزكاة أحسن دواء للقضاء على مرض ربا الفوائد حتى يستغني المحتاج عن الاقتراض بفوائد وليست الزكاة هي الدواء الوحيد بل هناك حلول كثيرة شرعها لنا الاسلام .

هذا هو كتاب « الربا والفائدة » لمؤلفه الاستاذ خروفة وهو كما راينا كتاب مهم جدا يجدر بك ايها القارىء الكريم أن تعمل على اقتنائه والاستفادة من معلوماته القيمة

فاس : عبد الرحيم بن سلامة

---

5) فتوى صدرت عن لجنة الازهر الشريف بتاريخ 16 — 10 — 1916 تحت رقم 650 ونشرت بالجدول المشري الاول بعدد 1172 .





لا شيء كالتجمعات الادبية والمؤتمرات يوضح المراحل التي قطعها الادب فى مجال التعبير عن بواطن الانسان بل وقيمة هذا التعبير . ويرجع ذلك ولا شك الى جو النقاش الذي يسود خلال المؤتمرات ، والاحتكاك الفكري . وبهذا الصدد نحاول أن نلقي بعض الاضواء ، على المناقشات التى دارت على هامش مؤتمر اتحاد الادباء السوفييت ، هذا المؤتمر الذي بلغت مناقشاته هذه السنة عمقا وتفتحا على مشاكل الادب لعلها لم تبلغها اي دورة من دوراته السابقة ، ومما يلاحظ ان هذا المؤتمر كان فى الحقيقة مجرد نقطة مركزية تدور حولها المناقشات ، والا فان المناقشات تعدت جدران قاعاته وحصص الجلسات الرسمية . فمختلف المجلات العالمية كانت تساير ما يدور بواسطة مبعوثيها وبواسطة الوفود الاجنبية التيحضرت المؤتمر وفى الاتحاد السوفييتي نفسه لم تكن المناقشات الدائرة على الهامش ، خارج المؤتمر ، باقل عمقا او تفتحاعلى المشاكل مما يجري داخله . وقد شارك فى خلق هذا الجو جمهرة من النقاد الادباء على السواء، وتبدت بدون شك خلافات حول كثير من القيم ، ومدى وعي الكتاب — لمسؤولياتهم ، ولقيمة الكلمة ، او تغافلهم عن ذلك . وتطرقت الدراسات خلال المؤتمر أيضا الى جانب النقد ودوره فى ازدهار الادب ، ورسالته .

وبالرغم من أن ما يتبادر الى الذهن أولا ، هو أن هذه الاضواء تساعد على فهم الادب السوفييتي ، وتبين معالمه وحده ، وان الفائدة من هذا مهما تكن كبيرة على الادب والادباء فهي لا تعدو أن تكون اضواء على جزء من عالم الادب ، هو جزء العالم السوفييتي او العالم الاشتراكي على اكبر تقدير ، وبالتالي فهي اضاءات قاصرة ، بالرغم من كل ذلك فان الاتجاه الذي اتخذه المؤتمر هذه السنة ، وتعدد المشارب المشاركة فيه ، والمشاكل التي تفتح عليها ، لا تدع مجالا لهذه الخاطرة، فالمؤتمر لم يكن عديم الاتصال بالاداب المختلفة ، بل كانت مأخوذة بعين الاعتبار ، بالاضافة الى ان المؤتمر ابان عن القيم والمبادىء التي من شانها أن تكون عاملا مشتركا بين كل الاداب والمهتمين بها . ويتجلى ذلكعلى سبيل المثال فى الحديث الذي ساقه الاديب والناقد الروسي ميخائيل كوزنتسوف (1) ، وقد ركز فى هذا الحديث — الذي كان له وقع طيب فى نفوس المؤتمرين، نظرا لما اتسم بهمن دقة وعمقووضوح — على «النزعة الانسانية والتحليل» «Humanisme et analyse» ورأى انهم القيمتين اللتين ينطبع بهما الادب الحديث ، والنزعة الانسانية هذه ، بما تتميز به من محبة للبشر على اختلاف الاجناس ، ومحاولة التعبير عن مشاكلهم ، ودفاع عن حياة السلم والمساواة ، وجدت ما يغذيها فى أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية التي اكتوى بنارها العالم أجمع ، ولاشك أن أسباب الاتصال القوية بين اجزاء العالم اليوم ، والشبح الذري الجاثم على رأس الانسانية يهدد فى كل مرة بالانقضاض ، كل ذلك ايضا له اثره فى نسج خيوط الاتجاه الانساني فى الادب الحديث .

---

1) انظر تلخيصا لاهم وقائع المؤتمر الادبية فى مجلة : Œuvres et Opinions - Sept. 1967

والتحليل يهدف الى بيان مظاهر الحياة المتناقضة من اقتصادية واجتماعية ، وهو بالطبع بمعناه الخاص، من مميزات المجتمعات الشيوعية والاشتراكية ، ولكن بمعنى عام فان التحليل ظاهرة في كل ادب حي ، يهدف الى بلوغ نتائج ، واستخلاص العالمن معلوماتها وهو مرحلة من النضج الفكري ، تخرج بالادب من مجال العفوية البلهاء ، او المجانية . وعندما ينظر كوزنتسوف على ضوء هذين الاتجاهين ، — النزعة الانسانية والتحليل — الى الادب ، يجد ان انتاج هذه السنة يتميز عن غيره من انتاجات قبله ، بظهور هذين الاتجاهين ظهورا لا تخطئه العين العابرة ، بله الناقدة والفاحصة ، ويحدد كوزنتسوف وظيفة هذين العاملين في الاكتمال الفني للعمل الادبي فيرى ان : « هذين الاتجاهين موجودان بوفرة في الادب المعاصر عامة ، وهما ما يضفي الحيوية على انتاجات هذه السنة .. »

والطيبة اي القصد الحسن ، واجتناب الاساءة الى الاخرين من أهم العناصر المكونة للنزعة الانسانية في الادب ، وهذا العنصر الانساني لا تخلو منه اعمال كثير من الكتاب الذين يعد ادبهم ضاربا في الانسانية امثال شولوخوف الذي يصور بطله في «مصير الانسان» طيبا الى اقصى حد وحيث تبدو هذه الطيبوبة ذات وظيفة اساسية في تطوير الاحداث التي تتقاذف البطل ، ويتنافى مفهوم الطيبوبة هنا مع الغفلة ، فبطل شولوخوف في اتم درجات الوعي ، وطيبته هذه تدفعه الى المغامرة في سبيل الاخرين ممن نكبتهم الحرب كما نكبته ، والى العمل على تخفيف الالام والمساهمة بكل الجهود المعنوية والمادية لنصرة العدالة . فهو ليس مجانيا ولا عبثيا . وهناك دائما وراء كل تصرف او سلوك تجسيم لطموح حار نحو فهم حقيقة الانسان والكون ، وتثبيتها ، انها طيبوبة ايجابية فاعلة بناءة تنبع عن شعور بالمسؤولية التي يلقيها مفهوم « انسان » على كل من يحمله . وبهذا تختلف الطيبوبة الانسانية عند شولوخوف وفي الادب الحديث عامة ، عن نظيرتها التي خلفها العصر الرومانتي الذهبي كطيبوبة « الاحدب » او حتى طيبوبة « فالجان » عند فيكتور هيجو ، فتلك طيبوبة تنبثق عن — عنصر متافزيقي او دافع لا شعوري ، فهي تستجدي الشفقة وتثير عواطف الرحمة . وطيبوبة الانسان الحديث تنبع مباشرة من معطيات الواقع وتستمر مرتبطة بهذا الواقع في خط افقي يعمل على فهم هذا الواقع ، وتيسيره لسعادته وامنه وسلامه ، فهي نقيض الاستكانة ومعادل القوة ، وصنو العدالة والمساواة . وتبعا لاختلاف بنية الطيبة في انسان اليوم ، تغير كذلك مفهوم البطولة .

والرؤية البطولية في ادب اليوم اتجاه جديد لم يظهر في ادب ما قبل الحرب الاخيرة ، او على احسن تقدير لم يظهر قبل القرن العشرين ، الا في قوالب هزلية : بطولة الفاشل ، حقا يمكن أن يستشف المتفحص من وراء قوالب السخرية والهزء ، مرارة تفيض عن شعور الكاتب الساخر بعمق المأساة الانسانية ، ومعارضة شرائط الواقع البشري ، لمطالب الكرامة والعدالة . ولكن هذا المضمون لا يستخلص الا بمجهود يخترق ضباب السخرية المكثف والذي قد يكون الداعي الى تكثيفه ضغط الظروف المجتمعة اكثر من الضرورات الفنية . فبطل اليوم ، يقف منذ الوهلة الاولى عاريا من الاقنعة ، واول ما يواجهك فيه بطولته المخالفة لما عهدناه في عصور البطولات التاريخية ، انها بطولة فشل أو بطولة لا تأنف من ان يخالطها عنصر الفشل المؤقت، الفشل الذي يخترق دكنته وقتومته ، اشعاع الامل في غد سعيد ، وهذا يلتقي ايضا بمعنى الطيبوبة السابق، فبطل اليوم بانسانيته ، يعي فشله امام مختلف القوى المعارضة ، ولكن نظرته لحظة الفشل ، لا تخلو من معالم البسمة ، بسمة التفاؤل والامل ، بسمة الرجل الطيب ، الذي يعاود الكرة ويبذل الجهود من جديد لتحقيق الهدف النبيل ، وليس من قبيل الصدفة ان تظهر معالم هذه البطولة الانسانية في انتاج ادباء العصر الحديث على اختلاف مذاهبهم في الحياة او اختلاف ظروف البيئة المحيطة التي ينتمون اليها ، وينتجون في ظلالها ، فابعاد التجربة البطولية عند شولوخوف تلتقي كل الالتقاء مع ابعادها عند همنجواي. فشيخ همنجواي يواجه فشله امام البحر — والبحر هنا رمز لمختلف عوائق الانطلاق — بنفس المرارة والامل التي يواجه بها انسان شولوخوف مصائب الحرب ، وكل من البطلين في طيبوبته البطولية يرنو الى المستقبل الى الغد أي انه يعاود التجربة .

ونعود الى حديث كوزنتسوف في مؤتمر الكتاب فاذا هو يعدد من مظاهر البطولة الجديدة ما يغاير المفهوم التقليدي ، فمفهوم البطولة (اليوم) يتضمن عدا الشجاعة ، التحمل ، وسمو النفس . وهذه التجربة البطولية بالنسبة للحرب ، تكتمل لدى الانسان المعاصر في مفهوم العالم » وكزنتسوف في هذه العبارة يلمح الى مفهوم العالم ، الذي اصبح في عصرنا ، قطعة واحدة متصلة ، يتأثر اقصاها باقلما يحدث في ادناها .

ويأتي كوزنتسوف بعد ذلك الى « مظهر آخر للنزعة الانسانية في الادب المعاصر ، وهو تفاعل الكاتب مع بطله الذي هو احد افراد الشعب تسيطر

افكاره وآماله على اهتمامات للاديب وتأخذ النصيب الاوفر منها » .

اما عن التحليل فيرمي الى تكوين « نظرة واقعية واضحة للاشياء » وهو تحليل معمق للكشف عن دقائق الواقعة « تحليل متأني ، لاشد احداث الحياة تعقيدا ، ضمن مجموع الظروف النموذجية واستخلاص للنتائج الكلية » ومن أهم ما واجهه التحليل الادبي ، وقائع المجتمعات القروية . وكما راينا ان ما يسوقه الناقد الروسي في هذا الحديث لا ينطبق على الادب السوفييتي وحده ، في المفاهيم البطولية الجديدة ، وكما قارنا بين رؤية اديبين نموذجيين ، من معسكرين مختلفين هما همنجواي وشولوخوف ، فكذلك لا تقتصر ظاهرة تحليل المجتمعات القروية على الاتحاد السوفييتي ، بل ان ادباء أمريكا اللاتينية وفي البلاد العربية انتبهوا الى بؤس الفلاح ، وتناقضات الحياة القروية فجاءت اعمالهم تشريحا بأقوى المعانيلمجتمعات القرى رغم اختلاف البيئة ومناهج التحليل ، ومظهر التحليل هذا سواء كان قرويا او حضريا ، يضع مشكلتين فرعيتين او على الاصح يتيح فرصة لتساؤل مزدوج : هل يقف دور التحليل في العمل الادبي على اداء الجانبالموضوعي أم له وظيفة فنية ما ؟ وما اهمية الكشف الذي يمكن أن يؤدي اليه هذا التحليل ؟

اما السؤال فلم يتطرق اليه حديث كوزنتسوف ، وربما لاح الجواب عنه ضمنيا من بين السطور . وبالطبع لن نقول هذا الناقد ما لم يقل ، وعليه فيبدو لنا ، أن التحليل مهما يطغ في اعمال الادباء على اختلاف مشاربهم ومناهجهم ، فهو لا يعدو أن يكون وجهة نظر ادبية ، فهو لن يبلغ مرتبة التحليل السوسيولوجي الموضوعي الذي ينجز تحت تأثير المبدأ والغاية العلميين . فالاديب ليس عالما وحتى لو أن أمكن ان تزدوج فيه شخصية الاديب مع شخصية العالم، فهو اثناء عمله الادبي لا يصدر الا عنالاديب ولا يرى قراؤه فيه الا هذا الجانب ، على ان هذا لا يقلل ابدا من قيمة الرؤية الادبية بالنسبة الى الرؤية العلمية فبامكان العمل الادبي عن طريق التحليل ان يؤدي الى اهم النتائج ، وبهذا كانت نتائجه تفوق نتائج التحليل العلمي المقصود في أهميتها ، لان هذا التحليل الادبي قد يكون الملهم الى التحليل العلمي ، والهادي اليه . ويقودنا هذا الى السؤال الثاني الذي أثاره بالفعل كوزنتسوف واجاب عليه وهو السؤال المتعلق بالقيمة الموضوعية للكشف الذي يؤدي اليه تحليل الاديب للمجتمع سواء كان قرويا او حضريا . للاجابة على هذا السؤال يستعير كوزنتسوف عبارة ناقد وأديب آخر هو سرجي زاليكين الذي يقول فيها : « ان الاديب لا يكشف شيئا اذا اتخذنا كلمة اكتشاف بمعناها في اللغة العلمية ، ومهمة الكاتب ، تنحصر في أن يرى ما يوجد بل وان يرى ما هو معروف لكنه يظهره من وجهة نظره الخاصة ... » .

الاديب اذن ليس عالما ، ولعل النزعة العلمية عند بعض الكتاب ، هذه النزعة التي تجعلهم يكتبون عن مشاكل المجتمع بطرق التحليل العلمي ، متوخين الموضوعية فيما ينتهون اليه من كشوف ، قد تعرض ادبهم للجفاف ، وبالطبع لا ينطبق هذا القول على كتابة الادباء — المتنبئين الذين يسيرون على طريقة جول فيرن أو ويلز ... فأمثال هذين يكتبون أساسا ، معتمدين على الخيال وليست عندهم الموضوعية العلمية ، وكشفهم ادبي بكل معنى الكلمة ... وبمثل هذه المناقشة ينتهي كوزنتسوف الى التأكيد على الخاصيتين الاساسيتين اللتين تميزان الادب الحديث وهما : التحليل والنزعة الانسانية ، انهما حسب تعبيره « الكلمات — المفاتيح » لهذا الادب .

وقد راجت في المؤتمر قضايا أخرى ، وكان الناقد الروسي ديمتري ستاريكوف ممن عمقوا كثيرا من المفاهيم المتعلقة بالادب المعاصر كما القى اضواء اضافية على ما اثاره زميله السابق فقد تناول نقطتين هامتين اولاهما عن الشروط الموضوعية التي تعلل تطور الادب ، والثانية عن علاقة التحليل بالتركيب . وبالنسبة للنقطة الاولى، اي الشروط الموضوعية لتطور الادب يرى ستاريكوف أننا عندما نشاهد مرحلة جديدة في الادب ، اي اننا عند حدوث تطور في عالم الادب او ظهور صور جديدة أو اختفاء الوان قديمة، كثيرا مانقول في مثل هذه الحالات التعليل الظاهرة الادبية ، ان ذوق الجمهور قد تغير أو قد تطور فنطلب ظهور كيفيات جديدة في الادب . ويرى ستاريكوف انهذا ليس صحيحا لان القول بذوق الجمهور كعلة في تطور الادب يغفل الاسباب الموضوعية لذلك التطور ، وذوق الجمهور بدوره ، ليس الا معلولا لنفس العلل التي عملت في تطور الادب ، أما الاسباب الحقيقية في نظر ستاريكوف فهي علل تاريخية وهو يقول : « ثمة شروط تاريخية موضوعية تحدد مفاهيم القيم الجمالية والايديولوجية ثم علل موضوعية هي التي تتطلب من الادب كيفيات جديدة مطابقة للمرحلة الجديدة من نمو البلد » وطبعا لن نناقش هنا فكرة الحتمية التاريخية التي ينبني عليها هذا القول ضمنا لان مناقشتها قد تخرج بنا من نطاق

الادب الى نطاق التحليل المجتمعي والتاريخي وذلك ادلى به ان يتناول في حديث خـــاص .

اما عن نقطة التحليل والتركيب وهي النقطة التي تتصل اتصالا مباشرا بما قرره ميخائيل كوزنتسوف في كشفه عن القيمتين الاساسيتين للادب المعاصر . يرى ستاريكوف أن التحليل يعرض صعوبات جمة ولا يمكن للادب المعاصر أن يقف عند هذه القيمة وحدها بل لا يمكن لدارس الادب أن يتخذها القيمة الاساسية ما لم يرافقها التركيب Synthèse الذي يشكل القيمـــة الاساسية الحق ، التي تخرج بالادب من مهامه التحليل ومنعرجاته الغامضة الى الهدف المرســـوم ، وقـــد يستدعي لفظ التركيب وقفة ، فاذا كان التحليل يــرد الكل الى اجزائه وعناصره ، اي يقسم الظاهرة حسب منهج علمي محدد للكشف عن مكوناتها ، فان التركيب هو الرؤية الكلية المتكاملة للظاهرة من خلال عناصرها المحللة ، هذه الرؤية هي ما يعطي للظاهرة معناها .

فالتحليل لا يكفي اذن لان الكشف عن المكونات والدقائق التي تتضمنها الظاهرة ، لابد ان تصحبه ضمـــنا او صراحة عملية تركيب ، اما اذا تخلت عنه هذه العملية فمعنى ذلك أن المحلل بعيد عن فهم الظاهرة المحللـــة ، ومهما يبلغ من عمق التحليل فلن تكون وراءه فائدة .

ويسير يوسف كرنبرك في نفس الاتجـــاه اي في اعطاء الاهمية الى عملية التركيب ، فهو يـــرى أن الوقوف عند التحليل في الادب لا يكفي اذ « يجـب أن يستمر التحليل حتى يؤدي الى التركيب » بيـــد أن التركيب لا يجب على المؤلفين الادباء فحسب بل ان ذلك يقع على عاتق النقاد أيضـــا .

وفي الواقع أن مفهوم التركيب يتضح بصفة اكثر في عمل النقاد فالناقد عندما يدرس الاثر الادبـي اي عندما ينتهي من دراسة التحليل الذي يقدمه المؤلف ، يكون عليه بالضرورة أن يقوم بعملية تركيب وبـدون هذه العملية لا يمكنه قط ان يصدر حكما قيميا معقولا على الاثر الادبي ، ولكن يجب الانتباه أيضا الى عملية التركيب النقدية ان هي الا تركيز لعملية التأليفية ، التي قد تكون ضمنية في العمل الادبي من جانب المؤلف .

وبصدد العلاقة بين التحليل والتركيب سواء عند النقاد او عند الكتاب يرى تشنكيز جوزستوف في كلمة له بعنوان : « جو الادب » أن العمل الادبي الاصيـل يتضمن التركيب والتحليل بالضرورة . فالكاتب على هذا الاعتبار ليس « مجانيا » بل هو هادف في عمله ، واع له ومن هنا فعلية التركيب النقدية لا يمكن أن تمفي الكاتب من نفس العملية وهو يؤلف . وهو ما يؤكد ان العمليتين متلازمتين ومتكاملتين وهو ما اكده ايضا في الاخيـــر الناقد « ليف باكمنكو » الذي اجمل آراء سابقيـــه في قضايا التحليل والتركيب ورأى « ان التحليل آخر الامر لا يتصور بدون تركيب (...) فالصورة الادبية الكاملة تنشأ ابتداء من التركيب » ، فالتركيب هو شهـــادة الكاتب بمعرفة القوانين الموضوعية لعصره وهو لا يمكن أن يحصل الا بالتحليل المعمق .

هكذا يمكن ان نخلص من دراسة هذا المؤتمـر الادبي الى القيم المميزة للادب المعاصرة وهي النزعة الانسانية والتحليل والتركيب . والواقع ان القول بهذه الخصائص أو القيم لا يعني أن التشريحات السيكلوجية ، والتأملات الذاتية منعدمة في هذا الادب وهذا ما نبه اليه جوزستوف عندما تحدث عن الادباء الشبـــاب ، ووجوب الاهتمام بما ينتجون وقد رأى أنهم ، يحاولون ان يخلقوا من جديد « عالم الافكار » في عصرنا ومن هنا كان اهتمامهم بالتحليلات السيكلوجية والتأمـــلات الذاتية .

الرباط : م . ربيع



مصحف الحسن الثاني

تم طبع مصحف الحسن الثاني قبيل شهر رمضان المعظم ، وقد قدم معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مقام حضرة صاحب الجلالة النسخة الاولى من المصحف المذكور .

ومصحف الحسن الثاني جاء في شكل جميل وخط مغربي رائع ، وقد كتبت على الغلاف العبارة الآتيــــة :

قرآن كريم : طبع هذا المصحف الشريف بأمر مولانا امير المومنين ، وحامي حمى الدين جلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله عام 1387 ، وفي الصفحة التالية آية مكتوبة بحروف ذهبية وهي :

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيـــم .

وفي صفحة خاصة كتب الظهير الشريف الخاص بمصحف الحسن الثاني ، وننقله كله فيما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

نحن عبد الله المعتمد على الله امير المومنين ملك المغرب .

الطابـع الشريف

نهدي اليك ايها المسلم الكريم حيثما كنت من مشارق الارض ومغاربها هذا المصحف الشريف راجين من الله جلت قدرته ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى اقوم السبل في دنياك واوضح المسالك الى آخرتك وشفاء لنفسك وطهرا لقلبك وقوة يشتد بها عزمك وتتمكن بها ارادتك ويعلو بفضلها شأنك بين الناس ومقامك بين الانام وتحل بها ارفع الدرجات وتبلغ معها اسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايـــات .

وأملنا ايها المسلم الكريم ان يثيب الحق سبحانه وتعالى عملنا هذا اجزل الثواب ويلهمك كلما رتلت هذا الكتاب ترتيلا وتلوته تدبرا واستبصارا واحتسابا بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق والتاييد فيما نحن مضطلعون به من مهام ومطوقون به من مسؤوليات عظام وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين وصيانة لكرامة المسلمين وسعيا لصلاح شعبنا واعلاء كلمة امتنـــا .

ورجاؤنا اليك ايها المسلم الكريم ان تسأل الله كلما تناولت هذا المصحف الشريف ان يقر عيننا بولي عهدنا ويحقق ما نتبطه به من آمال ويغدق شآبيب رحمته على فقيد العروبة والاسلام جلالة والدنا الملك المجاهد الصادق الامين محمد الخامس ويبوئه اعلى درجات عليين ويعز الاسلام والمسلمين ويؤلف قلوبهم اجمعين انه بالمومنين رءوف رحيـــم .

وختم المصحف بآية كريمة وهي :

« وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا » ، وتتميما للفائدة فستثبت كلمة في آخر المصحف تبين المراحل التي مر بها والسادة العلماء الذين عملوا على انجازه وهي كما يلي :

« الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبهديه تخلص المقاصد والنيات ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين محمد بن عبد الله ورسوله ، وآله وصحبه اجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الديـــن .

اما بعد ، فقد اراد الله سبحانه ان يضاعف الاجور ويخلد العمل المشكور على ممر الازمان والدهور لعبده الخاضع لعزه وسلطانه ، الفريد في عصره وأوانه ، امير المومنين ، وحامي حمى الوطن والدين ، ورافع راية المسلمين ، الملك الصالح الموفق الامين ، المتمسك بالقرآن والسبع المثاني ، سيدنا ومولانا الحسن الثاني،



صاحب الجلالة يثني على نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وجهودها
بمناسبة تقديم المصحف الشريف

فالهم دام له التوفيق والتأييد ان يعنى بكتاب الله في عصره المجيد ، فيكتب بخط مغربي اصيل على رواية ورش ، ويحلى بما يناسبه من التعظيم والتبجيل ، فعهد نصره الله الى وزيره في الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن بركاش ليقوم بهذه المهمة .

وهنا جدد معالي الوزير جميع الكفايات ، وبذل اقصى المجهودات في البحث عن أمهر الخطاطين ، واجمل النقوش المثبتة في الدواوين ، وعين العلماء الاكفاء ، وفقهاء القرآن ، للعناية بمصحف الحسن الثاني عناية تحقق كامل الاماني .

وكلف بالاشراف على الاعمال الفنية السيد مصطفى الكوش رئيس قسم الخزانة والمستندات بالوزارة ، كما اختير لكتابة المصحف الكريم السيد أحمد بن الحسين السوسي البهاوي ، وعين الفقهاء والاساتذة : السيد عبد الله بن العباس الجراري والسيد احمد الحسناوي والسيد مبارك الحطاب الدكالي والسيد محمد بن كبور العبدي والسيد محمد بريبش والسيد الحاج العربي بن محمد الحمري والسيد الحاج المهدي المطاعي لتصحيح رسم المصحف ، وضبط مصطلحاته فبرز في حلته القشيبة الاخاذة ، وذلك كله تحت اشراف الكاتب العام لوزارة الشؤون الاسلامية السيد عبد الرحمن بن ابن شعيب الدكالي ، شكر الله اعمال هؤلاء وكل من عمل ويعمل تحت راية القرآن ، انه مجزل العطاء والاحسان »

وهكذا اضيف هذا المصحف الكريم الى اعمال سيدنا ومولانا الامام اعلى الله به منار الاسلام .

وانا لنرجو الله سبحانه أن ينفع بهذا العمل الجليل صاحب الجلالة امير المومنين ، الحسن الثاني ، وان يطيل عمره ، ويبارك في حياته لنفع البلاد والعباد ، زاهرة ايامه ولياله ، بالمعالي والامجاد ، ويقر عينه بصاحب السمو الملكي ، ولي العهد المحبوب المجد ، الامير الجليل سيدي محمد ، وسائر افراد اسرته الملكية المجيدة ، وان يمطر سحائب رحمته ورضوانه على فقيد العروبة والاسلام ، وبطل التاريخ ، ومعجزة الايام ، سيدنا ومولانا محمد الخامس رضى الله عنه وارضاه ، وجعل جنة الفردوس مثواه » .

ويوجد فهرس ابجدي لسور القرآن الكريم ورقم ترتيبها في المصحف ، وقد كان الترتيب الابجدي حسب النطق لا المادة .

« دراسة قضايا الحج »

عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش اجتماعا بمقر وزارته حضره ممثلون عن وزارات الخارجية والداخلية والصحة والمالية والشؤون الادارية والاشغال العمومية ، وممثل عن كل من الشركة الجوية الملكية للطيران والشركة الوطنية للملاحة البحرية .

وقد خصص هذا الاجتماع لدراسة قضايا الحج ووضع الترتيبات اللازمة لضمان نقل حجاجنا الميامين في موسم الحج المقبل الى الديار المقدسة في احسن الظروف والاحوال ، تنفيذا لتعليمات مولانا امير المومنين الذي يولي هذا الركن العظيم كامل عنايته ويشمل الحجاج بجميل رعايته .

تدشين مسجد بالقنيطرة

توجه معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مدينة القنيطرة لتدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج ميلود الشعبي حيث ادى به صلاة الجمعة بمعية رجال السلطة المحلية والقضاة ووسط جمهور غفير من المواطنين .



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية محفوفا بالسيد العامل والسلطة المحلية في طريقه الى تدشين المسجد

تنظيم حملة الوعظ والارشاد

وفي نطاق الاستعدادات لشهر رمضان المبارك عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر وزارته



معالي الوزير في حفلة تدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج ميلود الشعبي

اجتماعا حضره نخبة من العلماء وضعت خلاله الترتيبات النهائية لحملة الوعظ والارشاد التي اعتادت هذه الوزارة تنظيمها خلال هذا لشهر المبارك من كل سنة نظرا لما يكتسيه من قدسية خاصة .

وفي نهاية هذا الاجتماع حض معاليه السادة العلماء على بذل قصارى جهودهم لانجاح هذه الحملة استجابة للواجب الديني والوطني الملقى على عاتقهم وتلبية لرغبة مولانا امير المومنين دام له النصر والتمكين الذي يحرص على ان يظل ابناء هذا الشعب الابي متمسكين بتعاليم دينهم الحنيف وشريعتهم المطهرة .

تدشين عدة مساجد بالمملكة المغربية

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد سعادة الكاتب العام بوزارته السيد عبد الرحمن الدكالي لينوب عنه في تدشين المسجد الذي شيده مكتب الاستغلالات الصناعية بالفوارات .

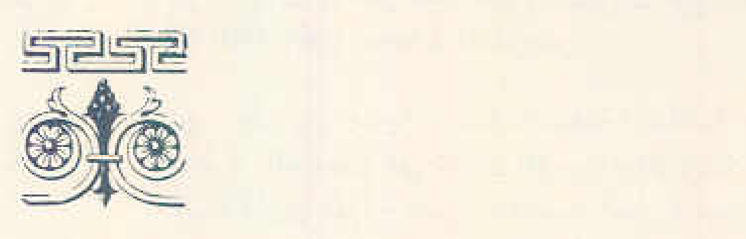
كما كلف سيادته ناظر الاوقاف بالدار البيضاء لينوب عنه في تدشين مسجد بن حمان الذي اعادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بناءه من جديد .

وقد كانت هاتان المناسبتان فرصة طيبة توجهت فيها جموع من المومنين لصالح الدعوات واحر الابتهالات الى الكبير المتعال بأن يحفظ مولانا امير المومنين الذي يولي لشؤون الدين كامل عنايته ويبقيه ذخرا للبلاد والعباد .

حصص خاصة بشهر رمضان المعظم للداخل والخارج :

طبعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عدة حصص خاصة بتوقيت المغرب بمناسبة شهر رمضان المعظم ، كما طبعت هذه السنة عدة حصص خاصة بتوقيت الامساك والافطار فى شهر رمضان واوقات الصلاة للجالية المغربية المسلمة المقيمة بالخارج .

وقد وجهت الوزارة حصصا خاصة بتوقيت بريطانيا وبون وهولاندة وفرنسا وبروكسيل ومدريد باسبانيا . وهكذا يمتد اهتمام الوزارة ونشاطها لا الى المواطنين فى الداخل فحسب بل ان عنايتها تشمل حتى المواطنين العاملين فى الاقطار الخارجية طبقا للتعاليم الملكية السامية التي يشمل بها صاحب الجلالة الملك المعظم رعاياه فى الخارج ايضا . وحرصا على ابقاء الروح الاسلامية فى نفوس المواطنين النازحين عن اوطانهم والذين يعملون فى الخارج .





❊ عقد بكلية العلوم بالرباط ، المؤتمر التاسيسي لجمعية الجامعات الافريقية ، ابتداء من 11 الى 13 نوفمبر الماضي ، شاركت فيه وفود جامعية من مختلف الجامعات الافريقية . وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، رئيسا لهذه الجمعية . وتراس جلالة الملك الجلسة الاختتامية للمؤتمر . وفى مساء اليوم الاخير من هذا المؤتمر ، احتفل فى نفس الكلية ، بالذكرى العاشرة لتاسيس جامعة محمد الخامس ، تحدث فيها رئيس هذه الجامعة ، فاستعرض مراحل وتطور جامعتنا ، في مختلف كلياتها ، وما انجزت من اعمال ، وما حققت من نجاح فى مضمار التعليم العالي ، والبحث العلمي . وانتهى الحفل بخطاب هام لصاحب الجلالة .

❊ افتتحت بتاريخ 13 نوفمبر المنصرم بعمالة الرباط المناظرة المغربية الالمانية حول تبادل الخبرات بين البلدين ، فى مجالات الادارة .

❊ صدر بباريس للاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس كتاب باللغة الفرنسية عن « الاغاني الفاسية » .

❊ اصدر المستشرق الاسباني المعروف ، الدكتور خوان فرنيط ، استاذ بجامعة برشلونة ، كتابا بالعربية، بعنوان « الادب العربي » ، درس فيه ادبنا من الجاهلية الى العصر الحديث ، كماتناول بالدراسة عدة شخصيات ادبية مع ترجمات عن حياتهم .

❊ قام بزيارة الى المغرب ، الاستاذ جبران شامية ، صاحب دار للنشر ، واحد كتاب لبنان . وقد تعرف فى زيارته على بعض رجال الفكر المغاربة ، واجرى معهم حديثا فى مختلف النشاطات الادبية فى العالم العربي ، وبالخصوص فى لبنان ، والمغرب .

❊ تم تنظيم جديد لجمعية أصدقاء « المعتمد » بشفشاون ، حيث جدد انتخاب الشاعر عبد الكريم الطبال كاتبا عاما للجمعية . اما بقية اعضاء الجمعية ، فهم : علي حمودان ، محمد الشحام ، محمد السفياني، محمد احراميم ، الغالي الهبطي ، هشام قريش ، أحمد المفرج ، محمد الحضري .

❊ عينت وزارة الانباء ، الاستاذ محمد المسفيوي، مديرا لجريدة « الانباء » اليومية ، التي تصدر عن الوزارة المذكورة .

❊ تخرج فى هذه السنة فوج جديد من مدرسة تكوين الاطارات بالقنيطرة التابعة لوزارة الداخلية . وقد كان عدد المتخرجين فى هذه السنة 37 . وقد انعم صاحب الجلالة على هذا الفوج اسم : « الحسن الاول » ، وذلك فى حفل اقيم بالقصر الملكي ــ القى فيه جلالة الملك خطابا ساميا فى المتخرجين .

❊ نظم فرع جمعية « شباب النهضة الاسلامية » بالرباط ، والمحافظون على القرآن الكريم ، حفلا دينيا ، بمناسبة ذكرى المعراج الشريف ، تحت شعار « يوم فلسطين » . وقد شاركت فى هذا الحفل الاسلامي الكبير ، رابطة علماء المغرب ، والمتخرجون من دار الحديث الحسنية .

❊ ستقدم للطبع السيدة رفيقة الطبيعة مجموعة قصصية ، بتقديم الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب بالرباط .

❊ تراس وزير التربية جلسة عمل ، حضرها مسؤولون من الوزارة ، وآخرون عن الحي الجامعي لدراسة مختلف المسائل المتعلقة بالحي الجامعي .

* زار المغرب ، وفد عن الشبيبة الالمان . بهذه المناسبة اقام كاتب الدولة فى الشبيبة والرياضة حفلة استقبال على شرفهم .

* تراس الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، بمقر رئاسة الجامعة ، اجتماعا للجنة علم الزلازل ، التابعة للجنة الوطنية لليونيسكو . وحضر الاجتماع ممثلون فى هذا الاختصاص من مختلف المصالح المغربية .

* نظمت ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية معرضا فنيا بالرباط ، شارك فيه رسامون مغاربة وفلسطينيون ، خصص ريعه لضحايا العدوان الاسرائيلي .

* اذن صاحب الجلالة الحسن الثاني ، بفتح الخزانة الملكية لجميع عموم الباحثين ، ليستفيدوا من كنوز مخطوطاتها ووثائقها ، وهذه مكرمة من مكارم جلالة الملك الذي يرعى الفكر ، والثقافة ، والبحث .

* خصص الاستاذ انور الجندي ، فى كتابه « مفكرون وادباء ، من خلال آثارهم » دراستين هامتين عن الاستاذين : عبد الله كنون ، وعبد العزيز بن عبد الله . والكتاب يضم 39 دراسة ، عن مختلف الشخصيات الفكرية فى العالم العربي .

* فى نطاق توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية على الصعيد العالمي التي يدعو اليها المكتب الدائم للتعريب ، قام المستشرق الروسي الكبير كيفور ميناد جيال ، مراسل المكتب المذكور فى موسكو بتاليف معجم فني بالعربية والروسية ، ضمنه كثيرا من المصطلحات التي عمل المكتب على نشرها بعد فراغ المجامع العلمية واللغوية من دراستها وفحصها واقرارها .

* غادرت المغرب الدكتورة هنكة مؤلفة « شمس الله تسطع على الغرب » بعد ان قضت فى المغرب زهاء ثلاثة اسابيع ، زارت خلالها اهم المدن المغربية ، وتعرفت على رجالها المفكرين والادباء . وقد حملت معها انطباعات ممتازة عن المغرب ، وجماله وحضارته.

* بمناسبة اعياد الاستقلال ، قدم مسرح محمد الخامس حفلات مسرحية ، وفلكلورية ، وغنائية ، احتفاء بهذه الذكرى الوطنية .

* بدعوة من جلالة الملك وحكومته زار المغرب السيد جورج وودز رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير .

* يقوم وزير التربية والتعليم بعقد عدة اجتماعات مع مختلف المسؤولين عن التعليم ، لتكوين « ملف التعليم » الذي ستتمشى عليه سياسة التعليم فى المستقبل ، بصورة مستقرة وثابتة .

* زار المغرب ثلاث صحفيين لبنانيين ، بمناسبة حفلات الاستقلال .

* بمناسبة زيارة رئيس جمهورية النيجر لبلادنا، تلبية للدعوة الملكية ، عقدت بين المملكة المغربية ، وجمهورية النيجر ، عدة اتفاقيات ، من بينها اتفاقية ثقافية .

* قامت بزيارة للمغرب ، فرقة من الفولكلور البولوني ، فى اطار اتفاقية فنية وثقافية بين المغرب وبولونيا .

* ستشرع كلية نانتير فى فرنسا ، باعطاء دروس خاصة لتعليم اللهجة الدارجة المغربية ، وذلك لفائدة الطلبة الذين يتابعون الدراسةفى فروع علمية واقتصادية واجتماعية .

* ابتدا نشاط الموسم الثقافي والفني لاتحاد كتاب المغرب العربي ، بتنظيم معرض « الواح ونحت » للرسامين : محمد الادريسي ، واحمد بن ياسين ، ورشيد السبتي .

* سيشارك المغرب فى الاسبوع العالمي للفن الذي ستنظمه جامعة كورنل اتياك فى نيويورك .

* بدا القسم الفرنسي بالاذاعة المغربية بتقديم محاضرات جامعة السربون .

* بدعوة من جمعية قدماء طلبة القرويين ، افتتح الاستاذ علال الفاسي ، الموسم الثقافي للجمعية ، بمحاضرة بعنوان « الفقه الاسلامي لم يتاثر بالقانون الروماني » .

* تلقى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، من منظمة اليونيسكو ، دعوة لحضور اجتماع تنظمه

بتمبكتو ، بتعاون مع حكومة مالي للخبراء ، حول استعمال المصادر المكتوبة المتعلقة بتاريخ افريقيا . وذلك في رابع دجمبر من هذه السنة الى الثامن منه .

❊ تصدر الكاتبة الجزائرية آسيا جيبار قصتها الرابعة ، بعنوان « القبرة الساذجة » . وقد سبق للكاتبة ان اصدرت ثلاث روايات : « العطش » و « القلقون » و « اطفال عالم جديد » . وتستعد الكاتبة لجمع مجموعة شعرية بعنوان «قصائد لجزائر سعيدة» .

❊ بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس الذي كان بتاريخ 11 و 12 و 13 ، مع انعقاد مؤتمر الجامعة الافريقية نسوق هذه المعلومات :

جامعة محمد الخامس تتوفر الان على معاهد وكليات مختلفة ، ككلية الحقوق التي تضم 2551 طالبا، المدرسة المحمدية للمهندسين 270 طالبا ، كلية الاداب والعلوم الانسانية 1495 طالبا ، معهد العلوم الاجتماعي 439 طالبا ، المدرسة العليا للاساتذة 1506 طالبا ، كلية الطب 480 طالبا . ويوجد من الاساتذة بمختلف الكليات 332 .

❊ انعقدت بالرباط ابتداء من 13 نوفمبر مناظرة مغربية ـ المانية حول الادارة القروية . واشترك في هذا المؤتمر 25 شخصا، من اطارات وزارة الداخلية. وقد ناقشت هذه المناظرة القضايا المتصلة بالسكنى ووسائل النهوض بها وتعاون السكان في التسيير المستقل للدوائر القروية .

❊ عقد وزير التعليم والفنون الجميلة بتاريخ 8 ـ 11 ـ 1967 ندوة حول التعليم العالي ، والحي الجامعي .

❊ سيؤسس بتونس في مدينة قابس ناد ادبي تحت اسم « ابن فرحان » .

❊ « الادب الشعبي في تونس » كتاب صدر عن الدار التونسية للنشر ، وهو من تاليف الدكتور الطاهر الخميري .

❊ افردت مجلة « الشباب » التونسية عددا خاصا منها بالعدوان الاسرائيلي .

❊ اصدر الشاعر الليبي عبد ربه كتابا بعنوان « رفيق في الميزان » ، كما صدرت في ليبيا الكتب الاتية: « رحلة الضياع » للشاعر الفزاني ، وديوان « فجر الذكريات » للشاعر محمد سعيد القشاط ، و « من ليالي السمر » للشاعر نفسه .

❊ زار بيروت الكاتب الجزائري المعروف ، كاتب ياسين ، تلبية لدعوة تلقاها ، من مركز التنسيق العربي للسينما والتليفزيون ، ليشترك في أعمال الطاولة المستديرة ، التي ينظمها المركز بالاشتراك مع منظمة اليونيسكو .

❊ اصدرت الدار التونسية للنشر كتاب « العرب امام قضية فلسطين » وهو من تاليف الاستاذ الشاذلي القليبي ، وزير التعليم التونسي ، والكتاب يتناول الموضوع بجدية ، من خلال وجهة النظر التونسية ، حيال قضية فلسطين ، التي باتت تشغل العالم العربي.

❊ بدات الاكاديمية الفرنسية بتوزيع جوائزها السنوية لمؤلفي كتب التاريخ . وهكذا منحت الاكاديمية جائزتها الكبرى للمؤرخ اميل كورنابيرت على كتابه « المرافقة » . اما الجائزة الثانية ، فقد منحت للمؤرخ روبير كريستون ، عن كتابه « عصر السيد تيير » .

❊ وضعت لوحة تذكارية أمام واجهة نزل دولاروز في كراكوفي ، وذلك تخليدا لذكرى اقامة انورى دوبلزاك في هذه المدينة . قدمت هذه اللوحة من قبل اعضاء قسم كراكوفي في الجمعية البولونية للتعاون العلمي مع فرنسا ، ويراسها البروفسور زيزي .

❊ ستصدر قريبا في باريس اول موسوعة عالمية ملونة ، اطلق عليها اسم « موسوعة الفا » ، وتمتاز هذه الموسوعة بسهولة استعمالها وشمولها لمعلومات ثقافية مفيدة .

❊ دار الريحاني في بيروت ، تهتم الان بترجمة مؤلفات فيلسوف الفريكة امين الريحاني ، التي نشرها بالانجليزية ، الى اللغة العربية .

❊ صدر في بيروت كتابان للدكتور انطوان غطاس كرم ، أستاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية ، وهما: « الادب العربي الحديث » و « مدخل الى دراسة الشعر العربي الحديث » .

* « الموت على الطاولة » مجموعة شعرية جديدة لنتولافربان صدرت مؤخرا ، وتضم مائة قصيدة .

* حاول الشاعر الفلسطيني ناجي عبد الفتاح السعدي الانتحار ، حيث القى نفسه الى البحر في محل يدعى « الروشة » في بيروت . وقد انتشله رجال الاطفائية ونقل الى المستشفى . واستفيد من التحقيق الذي اجرى معه : انه شاعر معروف، وان ازمة العدوان الاسرائيلي اثرت في نفسه ، حتى دفعته الى الانتحار .

* صدر عن منظمة التحرير الفلسطينية ، في سلسلة حقائق وارقام دراسة عنوانها « الصحف الاسرائيلية » ، وهي من تاليف سلوى حبيبي .

* صدرت في منشورات مجلة « البيدر » ببيروت ، كتاب من تاليف وليم صعب ، بعنوان « الادب الشعبي ولغته » .

* « شجرة الدفل » رواية الكاتبة اللبنانية امل نصر الله ، ظهرت عن دار « المكشوف » ببيروت .

* في موسكو ، صدر كتاب مترجم الى اللغة الروسية يضم مختارات شعرية لثلاثة شعراء ، هم : شفيق معلوف ، وايليا ابو ماضي ، وسعيد عقل .

* « التواعير » اسم كتاب ، صدر عن دار « الرائد » في حلب ، وهو من تاليف الكاتب المهجري جبران مسوح الذي يقيم في الارجنتين .

* اصدرت مجلة «العمران» التي تصدر في حلب، عددا خاصا عن مدينة حلب .

* احتفل في حمص بالذكرى التابينية للكاتب نظير زيتون .

* نعت دمشق الاستاذ المرحوم سعيد الغزى .

* صدرت في موسكو للقاضي العراقي غائب طعمة فرحان ترجمة روايته بالروسية « النخلة والجيران » .

* « تاريخ الطب العراقي » عنوان كتاب ، صدر في بغداد ، من تاليف عبد الحميد العلوجي .

* يشتغل الدكتور حكمت الاوسي ، والدكتوراة بتول سعيد ، على تاليف موسوعة اندلسية ضخمة تتناول كل ما يتعلق بالفكر العربي في الاندلس . وستشتمل الموسوعة على اجزاء تتناول الاعلام الاندلسية ، والكتب الاندلسية ، ثم الاماكن الاندلسية، مع ملحق للمصطلحات الاندلسية الخاصة بالتراث العربي في الاندلس .

* الكتب الآتية صدرت في بغداد :

« شرارات » لموسى محمود الشابندر . « بين القصر والصريفة » رواية لهشام ودبع اوغسطين « عشر قصائد قديمة » للشاعر شاكر العاشور . « مراقد الائمة والاولياء في سامرا » للشيخ ابراهيم السامراني . « احتفالات الموالد النبوية في الاشعار الاندلسية والمغربية والمهجرية » للدكتور محسن جمال الدين . « الايام الحاسمة قبل المعركة » لمحمود خطاب « خسرناها معركة : فلتربحها حربا » لفيصل حسون.

* نعت القاهرة الخطاط المعروف محمد رضوان علي . بعد ان حصل في السنة الماضية على جائزة الدولة التشجيعية في الخط العربي .

* كما نعت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة الاستاذ محمد حسن العشماوي ، وزير المعارف سابقا ، والمشرف على ادارة الشؤون الاجتماعية بالجامعة العربية .

* « التولد عند متكلمي الاسلام » عنوان اطروحة ، نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس الذي قدمها الاستاذ سامي نصر لطف .

* اصدرت لجنة النشر للمؤلفات التيمورية بالقاهرة كتابا بعنوان : «اعلام الفكر الاسلامي الحديث» وهو من تاليف المرحوم احمد تيمور .

* هذه الكتب ، صدرت مؤخرا في الرياض :

« ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » و « ابن عربي موطد الحكم الاموي في نجد » و « كتاب بلاد العرب ، وما فيها من المياه والجبال والآثار والمعادن » وهو لابي علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني من اهل القرن الثامن الهجري .

✻ كتاب « ادباء من الشرق والغرب » للكاتب الاردني عيسى الناعوري ترجم الى اللغة الروسية .

✻ تبدأ « دار عويدات » للنشر في بيروت ، بطباعة مذكرات الجنرال ديكول التي نقلها الى العربية الاستاذ عبد اللطيف شرارة . وقد تلقى صاحب الدار رسالة من دار النشر الفرنسية ، جاء فيها ان الجنرال ديكول ، قد اطلع شخصيا على مخطوطة الترجمة العربية ، ووافق على نشرها. والطريف في هذا الموضوع ان الجنرال طلب ايداعه خمسين نسخة من الكتاب حالما يصدر . وعلم ان المستشرق الفرنسي (تروبو) هو الذي اطلع على المخطوطة ، وهو الذي وافق على نشرها . ولن يمضي وقت طويل حتى تكون مذكرات ديكول بالعربية في المكتبات .

✻ وعن نفس الدار ، صدرت مؤخرا ترجمة عربية لكتاب « الفزاة » لمؤلفه اندريه مالرو ، وزير الثقافة الفرنسية . والكتاب نقله الى العربية الاستاذ فائز كم نقش .

✻ عين السيد حنا سابا من الجمهورية العربية المتحدة ، مساعدا للمدير العام للشؤون القانونية والتقنين الدولي في هيئة اليونيسكو .

✻ اصدر الاستاذ كليتجارد ، كتابا مهما يتناول مشكلة التعليم في البلدان النامية .

✻ يقرر التاريخ القديم ان زلزالا ثار في القرن الخامس الميلادي ، فابتلع مدينة قديمة اسمها « ايروهوليس» كانت واقعة في عرض البحر في الساحل الاغريقي . ولقد تقرر الان ان يتوجه الاستاذ جون هول ، الاستاذ بجامعة ميامي ، على راس بعثة آثار فيما تحت المياه بحثا عن هذه المدينة . وقد سبق للاستاذ هول ، ان اشترك في جهود بعثة مماثلة تمكنت من انقاذ مدينة اغريقية اخرى ، هي مدينة فيا . وكانت المياه ، قد ابتلعتها .

✻ قررت اليونيسكو ، أن يكون يوم 8 شتمبر ، « يوما عالميا » لتنشيط جهود العاملين في ميدان تعليم القراءة والكتابة .

✻ تملك مكتبة جامعة « سمرقند » أكبر مجموعة، من نصوص الادب الشرقي القديم ، اذ لا يقل عدد مجلداتها عن 3000 مصنف ، تحمل أسماء أشهر الكتاب والشعراء والمفكرين في العالم الشرقي ، وبها ايضا عدد من المخطوطات الجميلة .

✻ سيصدر المكتب المركزي للاحصائيات بموسكو كتابا يضم معلومات هامة عن التحولات الثقافية التي تحققت خلال الخمسين سنة ، من حياة ثورة اكتوبر التي قامت سنة 1917 .

✻ افتتح في بيطروزا قودسك ، معرض كبير بمناسبة مائة عام مرت على ظهور اول جزء من كتاب « رأس المال » لكارل ماركس . ومن بين المعروضات توجد أول طبعة للكتاب بالفرنسية . ومن المعلوم ان فرنسا كانت هي البلد الثاني ، بعد روسيا ، التي ترجمت « راس المال » واظهرته في شكل اضابير ، استغرق نشرها ثلاث سنوات . وتحتوي الطبعة الفرنسية ، على رسالة وجهها ماركس الى الطابع الفرنسي « شاتر » .

✻ اصدرت اليونيسكو مؤخرا نشرة بعنوان : « معلومات عن تنفيذ الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح » .

✻ جاء في العدد الاخير من مجلة « الهلال » المصرية ان بعض خطباء المساجد بالعربية المتحدة ، هاجموا « سارتر » في خطبهم الدينية .

✻ صدرت مؤخرا ببيروت الترجمة العربية لمذكرات زعيم الزنوج المسلمين في امريكا مالكولم اكس الذي اغتيل سنة 1965 . يروي هذا الزعيم ، كيف اكتشف الاسلام وهو في السجن ، وعرف ان اعتناقه لهذا الدين العظيم هو طريق التحرر .

✻ « حرب المقاومة الشعبية » عنوان كتاب الجنرال نيغوين فون جياب ، قائد التحرير الفيتنامي. ترجم هذا الكتاب الى العربية اخيرا ، وصدر في لبنان.

✻ تقام هذه الايام حركة ادبية كبرى في سويسرا، تخليدا لأحد ادبائها الكبار الذي ناضل من أجل تحقيق افكاره ومبادئه في الحياة . انه الاديب بنجامي كونستان الذي تمكن من الجمع بين السياسة والادب ، وذلك بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد هذا الكاتب .

※ اصدرت الامم المتحدة الطبعة الاخيرة من كتاب احصاء السكان ، الذي جاء فيه أن عدد سكان العالم بلغ في منتصف السنة الماضية 3 ملايير و 365 مليون نسمة ، اي بزيادة 65 مليون نسمة على منتصف سنة 1965 ، ويعيش 72 في المائة من سكان العالم في البلدان المتخلفة . ويزداد عدد السكان في العالم بـ 167 000 في اليوم . وجاء في هذا الكتاب ، ان عدد سكان العالم ، سيرتفع الى الضعف في سنة 2005 ، اذا بقيت نسبة الزيادة الحالية . وتوقع الكتاب ان يرتفع عدد السكان بنسبة ضعفية في الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ، والصين ، بينما يرتفع بثلاثة أضعاف في الهند ، واربعة اضعاف في البرازيل . واكبر بلدان العالم من حيث عدد السكان كما يلي :

الصين الشعبية 710 مليون نسمة
الهنـــد 498 مليون نسمة
الاتحاد السوفياتي 233 مليون نسمة
الولايات المتحدة 197 مليون نسمة
اندونيسيا 107 مليون نسمة
الباكستان 105 مليون نسمة

※ صدر في منشورات عويدات ببيروت « تاريخ السينما في العالم » للكاتب الفرنسي جورج سادول وترجمة فايز كم نقش مع مقدمة وفصل عن السينما العربية اعدهما خصيصا المؤلف لهذه الطبعة . ومما يذكر أن جورج سادول قد توفي في الشهر الماضي .

※ « مهاجر بريزبان » مسرحية الشاعر اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحادة مثلت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » بباريس ابتداء من 29 نوفمبر . وهي من اخراج جاك موكلير وبطولة لويس سينيه .

※ « مصير فلسطين » عنوان كتاب صدر حديثا في بيروت بالانجليزية لامين الريحاني ، يضم مجموعة من المحاضرات كان فيلسوف الفريكة قد القاها دفاعا عن فلسطين في محافل وجامعات انجلترا وامريكا وكندا

※ بمناسبة الذكرى الثامنة لوفاة فقيد القصة والصحافة كرم ملحم كرم ، زار وزيرا التربية والانباء ونقيبا الصحافة والمحامين وعدد من الاصدقاء ضريح الفقيد في دير القمر بلبنان . والقى وزير الانباء كلمة عدد فيها وجوه العطاء التي قدمها صاحب الذكرى للادب والصحافة . وتلاه نقيب المعلمين السابق عاطف كرم ، ثم جورج بيطار الذي تكلم باسم دير القمر .

※ باشر الدكتور صلاح الدين اوزخان صاحب مجلة الهلال بانقرة ترجمة كتاب « فلسفة التاريخ العثماني » بجزايه الى اللغة التركية ، وهو من تأليف العلامة اللبناني محمد جميل بيهم . كما ان الدكتور ناظر زاده كرجاني الاستاذ في جامعة طهران استاذن الاستاذ بيهم في ترجمة كتاب « فلسفة تاريخ محمد ».

※ صدر في منشورات عويدات ببيروت كتاب « المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا » تأليف فيليب فان تيغيم ترجمة فريد انطونيوس . ويقع في 340 صفحة ، حجم كبير .

※ وصل بيروت قادما من عمان الباحث الاردني عبد الله التل قائد بيت المقدس الاسبق وصاحب المؤلفات القومية المعروفة .

※ « جبران حيا وميتا » مجموعة تشتمل على مختارات مما كتب ورسم جبران خليل جبران ، ومما قيل فيه قدم لها وعنى بتاليفها واخراجها الكاتب المهجري الشيخ حبيب مسعود ، صدرت طبعة جديدة منه باشراف لجنة جبران الوطنية في بشري . يقع الكتاب في 850 صفحة ، حجم كبير . الطبعة الاولى صدرت عام 1932 في سان باولو بالبرازيل .

※ صدر عن دار ابن سينا في بيروت « كتابات عسكرية » لمؤلفه موتسي تونغ . ويقع الكتاب في 544 صفحة ، حجم كبير .

※ « زوارق العبير » عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت في بيروت للشاعر مصطفى الجوزو . وتقع في 200 صفحة .

※ في الحفلة التي اقامتها الرابطة الادبية الشمالية في بلدان تولا لبنان تخليدا لذكرى الشاعر الياس ابو شبكة طالب الخطباء باقامة تمثال للشاعر الراحل . ولكن في نهاية الحفلة قالت ارملة الشاعر « قبل ان تقنعوا الحكومة لاقامة تمثال للشاعر أرجو لو تقنعوها بنجدة زوجته براتب ضئيل يساعدها على تأمين ما تسد به الرمق » .

※ منحت جمعية أصدقاء الكتاب فى لبنان جائزة رئيس الجمهورية لهذا العام ، وقدرها خمسة الاف ليرة ، للاديب الباحث رئيف خوري تقديرا لمجموعة انتاجه الادبي . وتوجه وفد من الجمعية لزيارة الاديب طريح الفراش ، شفاه الله .

※ نالت الشاعرة الفنانة لور غريب تنويها بدرجة امتياز فى معرض «بينال» باريس قسم الحفر والرسم . ولور غريب هي أول امرأة فى العالم العربي تنال هذا التنويه . وكانت واحدة من 3 فنانين عالميين منحوا هذا التنويه .

※ اعترض الدكتور انيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية على الحكم الغيابي الذي صدر بحقه عن محكمة استئناف الجزاء فى بيروت ، والقاضي بسجنه لمدة اسبوع ، وتغريمه الف ليرة لنشر كتاب «الهاشميون والقضية الفلسطينية» فى يونيو الماضي . وقد اصدرت المحكمة حكمها بعد ان اعتبرت ان فى الكتاب « تهجما عنيفا على الملك الراحل حسين بن علي ، وعلى ولديه الملكين الراحلين عبد الله وفيصل » . وقالت المحكمة ان الدكتور صايغ « اتخذ من القضية الفلسطينية مادة للتهجم على بعض رجال الدين اللبنانيين الذي عاصروا احداث تلك القضية ، وهذا من شأنه اثارة النعرات الطائفية فى البلاد » .

※ صدر فى شتوتغارت بالمانيا الغربية مجموعة تضم مختارات قصصية لاثنى عشر كاتبا لبنانيا واثنى عشر كاتبا سوريا ، مع تعريف بالكتاب . ومن الذين ترجم لهم جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، توفيق يوسف عواد ، فؤاد الشايب ، الدكتور عبد السلام العجيلي ، خليل تقي الدين ، مارون عبود وغيرهم . وقد سميت المجموعة باسم قصة للدكتور عبد السلام العجيلي ، عنوانها : « حمامة الجامع » وتقع المجموعة فى ما يقارب 400 صفحة .

※ الكاتب الشاعر الدكتور فؤاد جبور حداد من « العروة الوثقى » فى لندن قام بزيارة طويلة لاسبانيا ، زار خلالها الاثار العربية والاماكن الاثرية والمكتبات العامة .

※ انهى محمد خير الحلواني مدرس الادب العربي فى ثانوية حلب الرسمية دراسته عن « سحيم عبد بني الحسحاس » كما فرغ من تاليف كتاب آخر عنوانه « اعلام النحو » .

※ فى رسالة من المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس الى الروائي السوري فاضل السباعي قال انه يتابع قراءة المقالات التي يكتبها ابو طالب زيان فى الاعداد الاخيرة من « الاديب » ، وهي لم ترق له لما فيها من نيل بعض كبار كتاب العربية . والمستشرق جرمانوس يستغرب ان يعمد الكاتب فى مقالاته الى اسلوب الحوار مع اولاده وزوجته ليتهكم على امثال طه حسين واحمد حسن الزيات الذين قراهم واعجب بأدبهم ويعتبرهم من عباقرة الادب العربي المعاصر .

※ يعكف الان فى حلب عماد حاتم على ترجمة كتاب « الثيولوجيا اليونانية » للمؤلف الروسي الكسندر كول . وكان قد ترجم قبلا مسرحية « البقة » لفلاديمير ماياكوفسكي التي نشرتها وزارة الثقافة السورية ، ومسرحيتي « التنين » لشفارتس و « المأساة المتفائلة » لفيشنفسكي اللتين يقوم باخراجهما الان المسرح القومي بدمشق .

※ اعد الباحث السوري عدنان بن ذريل للطبع فى دمشق كتابا عنوانه « الدراسة النفسية والبلاغة ، مع ضميمة فى تاريخ البلاغة العربية الحديثة » وقد قدم له الدكتور عمر موسى باشا الاستاذ فى جامعة دمشق . ويقع فى 250 صفحة تقريبا .

※ تعقد فى دمشق ندوة موضوعها « مسؤولية المثقف العربي امام القضية الفلسطينية » ، وقد دعي للمشاركة فى هذه الندوة لفيف من المثقفين العرب وبعض كبار رجال الاستشراق من مؤيدي القضية الفلسطينية ، بينهم الفرنسيان جاك برك وفنسان مونتوي ، وستنشر مناقشات هذه الندوة وتذاع .

※ قيد الطبع الان فى بغداد كتاب « صالح بن عبد القدوس ، حياته وشعره » تاليف عبد الله الخطيب .

※ « الهارب » عنوان القصة التي صدرت في بغداد لشاكر جابر ، وهي الحلقة الخامسة فى سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد .

* انتهى في بغداد خليل العطية وعبد الجبوري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدرامي .

* اعلنت نقابة الصحفيين معارضتها لقرار اتخذته جامعة بغداد مؤخرا باغلاق قسم الصحافة فيها . وقالت النقابة في مذكرة بعثت بها الى رئاسة الجامعة ان اغلاق هذا القسم الذي افتتح في جامعة بغداد عام 1964 يعتبر خروجا على احكام نقابة الصحفيين .

* فرغ عبد الرزاق المطلبي من كتابه رواية جديدة عنوانها : « والشمس خلف الافق » رواية المطلبي الاولى عنوانها « الظامئون » صدرت في سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد العراقية .

* اقام الفنانون العراقيون معرضا بعنوان « معرض المعركة » لمنفعة المجهود الحربي . وذلك في قاعة المتحف الوطني الحديث في بغداد .

* « الحرمان في الادب العربي » كتاب جديد لسالم الدباغ يصدر قريبا في بغداد .

* صدر في النجف الاشرف كتاب « اخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي ، وقد قدم له وعلق عليه السيد محمد بحر العلوم . وهو من منشورات المكتبة الحيدرية في النجف . كما قام السيد محمد بحر العلوم بتحقيق كتاب النقود الاسلامية المسمى « شذور العقود في ذكر النقود » للمقريزي ، وقد صدر في 300 صفحة .

* القى الدكتور صبحي انور رشيد محاضرة في قاعة المحاضرات ببناية المتحف ببغداد عنوانها « ابحاث جديدة عن الآلات الموسيقية في العراق القديم » .

* صدرت في بغداد الكتب التالية : القراءة وطرائف تعليم المبتدئين ، لمحمد مصطفى يحيى في 200 صفحة . عبث الليالي ، مجموعة شعرية، لنمر الربكاني في 80 صفحة . لو ينطق النابالم ، مجموعة شعرية ، لمحمد علي الخفاجي . اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ، لنجدة فتحي صفوة ، في 50 صفحة .

* انضم الدكتور حازم نسيبه الوزير الاردني المعروف الى اسرة الجامعة الاردنية ليحاضر في العلوم السياسية والادارة العامة في كلية الاقتصاد والتجارة .

* قدم صلاح ابو زيد وزير الاعلام الاردني مشروع اعلام عربي موحد في مؤتمر الاعلام العربي الذي عقد ببنزرت بتونس يتالف من 15 مادة تعتمد على المنطق والاسلوب العلمي في مخاطبة العقل العربي والاجنبي ، وتعين على الوصول الى الغاية المشتركة التي تسعى الى تحقيقها الشعوب العربية .

* افتتح نائب رئيس وزراء الاردن احمد طوقان معرض رسوم الفنان توفيق السيد في قاعة امانة العاصمة في عمان .

* صرح الامير رعد بن زيد المدير العام لمؤسسة الشباب الاردنية اثر عودته من الاتحاد السوفياتي انه عقد عدة اجتماعات مع ممثلي وزارات الشباب هناك للتعاون معها في هذا المجال .

* القى محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون الاردنية محاضرة في مدرسة المشاة عن رسالة الاعلام .

* صدر في عمان كتاب « الملك عبد الله كما عرفته » لتيسير ظبيان .

* عاد الاديب الاردني يعقوب العودات المعروف بالبدوي الملثم الى عمان بعد زيارة لسورية ولبنان استغرقت شهرا اتصل خلالها بالاوساط الثقافية والادبية ، وقد اقيمت له عدة حفلات تكريمية .

* دعت دائرة الثقافة والفنون المواطنين لمشاهدة معرض رسوم الفنانين محمد الباروذي وهاني الحوراني في قاعة المحاضرات بالكلية العلمية في عمان .

* كان الاديب الاردني عيسى الناعوري قد اهدى نسخة من كتابه الاخير « جراح جديدة » الى الملك

حسين عاهل الاردن . وقد تلقى من وزير البلاط الملكي اكرم زعيتر رسالة تدل على مدى تقدير العاهل الاردني لادب الناعوري وما ساهمت به روايته « جراح جديدة » في هز الروح الوطنية .

※ افتتحت وزارة الزراعة والمياه السعودية اول حلقة دراسية في الاذاعة الريفية للبحث في طرق وساليب الاستفادة من الاذاعة في ارشاد المزارعين السعوديين ، وذلك بالاشتراك مع منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة .

※ « دار الصحافة العربية للنشر والاعلان والتوزيع » اسم المكتب الذي كان الشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ قد انشاه في القاهرة اثناء اقامته بها . واليوم يعود لمواصلة نشاط المكتب في مسقط راسه بالمدينة المنورة كمنطلق الى الهدف الثقافي الذي ينشده .

※ قامت ادارة العلاقات العامة بمكتب الارامكو بالرياض بتسليم ادارة الشؤون العامة والنشر بوزارة المعارف السعودية مجموعة من الكتب والصور التي تمثل اعمال الشركة . وكانت ادارة الشؤون العامة قد طلبت تسليمها مجموعات من هذه الكتب والصور لارسالها الى البعثات التعليمية في الجزائر وحضرموت لاعطاء صورة واضحة عن تقدم صناعة الزيت في السعودية .

※ قرر الرئيس العام لمدارس البنات في السعودية افتتاح معاهد اعداد معلمات جديدة في كل من : المجمعة وحائل والجبيل ، ومعهد فني بالمدينة المنورة .

※ « الفنان والتمثال » مسرحية الكاتب الايطالي لويجي پراندللو نقلها الى العربية خليفة محمد التليسي وصدرت في سلسلة الكتاب الليبي في منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بليبيا . وتقع في 168 صفحة .

※ اصدرت جريدة « الميدان » الليبية كتاب الشاعر الفلسطيني معين بسيسو « عطر الارض والناس في الشعر الليبي المعاصر » .

※ صدر في تونس كتاب « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » حققه وقدم له وعلق عليه الشاعر الباحث العراقي هلال ناجي .

※ يطبع الان في تونس كتاب « **العمدة** » **تاليف** عبد الله بن علي الهيتي وهو رسالة نفيسة في الخط العربي حققها على نسخة فريدة هلال ناجي .

※ في سلسلة الكتب التي صدرت عن المطبعة الملكية بالمغرب ، صدر مؤخرا « **جني زهرة الآس في** مدينة فاس» لعلي الجزنائي بتحقيق وتقديم الاستاذ عبد الوهاب بن منصور . وهو من الكتب القيمة التي كتبت عن فاس منذ القرن السادس الهجري .

※ تألفت في القاهرة « **رابطة التاليف والترجمة** » وقد انتخب الدكتور مظهر سعيد رئيسا لها ، والدكتور يحيى الخشاب ، وعبد الحليم الجندي ، والصاوي علي شعلان ، وكلاء للرئيس ، والسيدة سنية قراعة امينة للصندوق . ومن اعضائها الشيخ محمد ابو زهرة ، والدكاترة مصطفى زيادة واحمد السعيد واحمد الشرباصي وفتح الله بدران ومصطفى زيادة والشاعرة روحية القليني والسيدة رقية الشاذلي والانسة زينب الحكيم . وستضم الرابطة اعضاء من خارج مصر . وقد رشح لعضوية اللجنة من حلب : الدكتور محمد يحيى الهاشمي والشاعر عبد الله يوركي وزهير طحان والدكتور صبري الاشتر وقاسم احمد .

※ صدر في القاهرة « خريف مزدهر وعصارة قلب » ديوان شعر لحلمي عبد الجواد السباعي قدم له بقصيدة الشاعر صالح جودت . كما انتهى صاحب الديوان من تاليف كتاب عن « تاريخ الحركة المسرحية في مصر » .

※ « شعر الصعاليك » عنوان رسالة الماجستير التي نوقشت في كلية اللغة العربية بالقاهرة وقدمها عبد الحليم حسن بكري .

※ قصة توفيق الحكيم «يوميات نائب في الارياف» ستنتجها مديحة يسري في فيلم بالقاهرة .

※ تقرر ندب الدكتور علي الراعي مستشارا لوزير الثقافة بالقاهرة لشؤون المسرح وعميدا للمعهد العالي للفنون المسرحية . (استقال من هذا المنصب الاخير) كما تقرر ندب محمود امين العالم رئيسا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى وندب احمد المصري مديرا عاما للمؤسسة . كما تقرر تعزيز المؤسسة بنقل نبيل الالفي اليها . كذلك تقرر ندب سعيد خطاب سكرتيرا عاما للمعاهد الفنية العليا .

※ مرت في الشهر الماضي 35 سنة على وفاة امير الشعراء احمد شوقي .

※ وافقت وزارة الثقافة بالقاهرة على طلب الدكتور يوسف ادريس المشرف على قطاع الدراما في مؤسسة المسرح انهاء اعارته ليتفرغ للصحافة .

※ بلغ عدد طالبي التفرغ 114 فنانا واديبا هذا هو اكبر عدد يطلب التفرغ من يوم انشائه في مصر منذ 7 سنوات .

※ تم اعداد مشروع تحويل مؤسسة فنون المسرح والموسيقى الى هيئة عامة ، لها الشخصية الاعتبارية على ان يكون مركزها القاهرة .

※ يصدر المخرج المسرحي حسين جمعة في اوائل الشهر الجاري في القاهرة كتابا عن المسرح الفرنسي عنوانه « جاك كوبو والجمالية في المسرح » والكتاب هو الرسالة التي تقدم بها الى اكاديمية الفنون الجميلة في ميلانو .

※ اول دراسة متكاملة عن نظرية ابن خلدون السياسية قدمها الباحث المصري الدكتور محمد محمود ربيع الى جامعة « لايدن » الهولندية حيث حصل على درجة الدكتوراه . سبق ان نشر عميد الادب العربي طه حسين عام 1917 رسالة عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

※ « الزجاجات الفارغة » رواية طويلة للكاتب المصري امين يوسف غراب عن الحياة الفنية المسرحية قبل الثورة وبعدها ، وقد تعاقد مع احدى دور النشر في بيروت على طبعها .

※ عن اعلام الموسيقى العرب اخرج فكري بطرس بالقاهرة ، اول الموسوعة الاولى عن اعلام الموسيقى والغناء العربي من المحيط الى الخليج .

※ طلب مجلس الفنون بالقاهرة من احمد نجيب هاشم السفير السابق في روما ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » الذي يعد من اهم مصادر الادب العالمي .

※ « دنيا الله » رواية نجيب محفوظ ستحولها مؤسسة السينما بالقاهرة الى فيلم اسندت بطولته الى سميرة احمد واخراجه الى ابراهيم الصحن المخرج التلفزيوني . كما ان قصته « قصر الشوق » سيخرجها حسن الامام . ستمثل نادية لطفي دور « زنوبة » العالمة مع يحيى شاهين وعبد المنعم ابراهيم وامال زايد . الفيلم سيناريو وحوار محمد مصطفى سامي .

※ صدرت في القاهرة الكتب التالية : انغام الروض ليوسف بدروس ، شعر مرسل في 195 صفحة حجم كبير . الدية في الشريعة الاسلامية لاحمد فتحي بهنسي . قصة حب للدكتور يوسف ادريس . فلسطين حبي لفرج صادق . خاتمة المطاف طبعة جديدة لعلي الجارم . دعايتهم نصف الحرب لمحمد احمد رمضان. قصائد من برتولد بريخت ترجمة وتقديم دكتور عبد الغفار مكاوي . ثورة الادب للدكتور لويس عوض . كتاب الوجود للسيد محمود او الفيض المتوفي في 319 صفحة . ذكريات وكلمات للدكتور عبد الحميد متولي. موسى بن نصير لابراهيم احمد العدوي . التنسيق الاقتصادي الصناعي للدول العربية للدكتور مبارك حجير في 360 صفحة ، حجم كبير . الفنان محمد حسن لاحمد احمد يوسف في 176 صفحة . علبة من الصفيح مجموعة قصص في 360 صفحة ، وسيدة في خدمتك مجموعة قصص في 258 صفحة،وهما لاحسان عبد القدوس . الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية للدكتور عز الدين اسماعيل في 416 صفحة ، حجم كبير . ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي للدكتور كمال نشأت . الاساس الاجتماعي للثورة العرابية لرفعت السعيد في 260 صفحة . حكايات وشخصيات قصة رحلة لعبد المنعم شميس . قاموس الطب الفرعوني للدكتور حسن كمال باللغة الانجليزية 530 صفحة ، حجم كبير . جمال الدين الافغاني طبعة جديدة لعبد القادر المغربي . علي ابن الجهم ، حياته وشعره لعبد الرحمن الباشا 242 صفحة ، حجم كبير . الاخطل شاعر بني امية للدكتور السيد مصطفى غازي 266 صفحة ، حجم كبير . الاندلس والناصر لمحمد علي راضي . مع المسمية مجموعة اشعار فكاهية لحسين طنطاوي . لو كان العالم ملكا لنا ، يعرض لحياة 5 من كبار الفنانين لسعد مكاوي . قصة البترول العراقي لعبد الوهاب السلوم . قضية التعريب في الجزائر لعثمان سعدي ، 112 صفحة . الامير الصغير لسانت اجزوبيري ترجمة حمادة ابراهيم . ست البنات قصة لامين يوسف غراب . غرم سنوحي رواية ليوسف كما الدين

ابو زيد . دم ابن يعقوب رواية لشوقي عبد الحكيم . ابن السلطان وقصص اخرى للدكتور عبد الغفار مكاوي. فلسطين وصراع القوى لمحمد عطا ، 160 صفحة . لوكور بوييه حياته واعماله للدكتور عرفان سامي 116 صفة ، حجم كبير . ابن عمار طبعة جديدة لثروت اباظة . مؤلفات شكسبير : عطيل ، طبعة رابعة 172 صفحة ، وهاملت طبعة خامسة 144 صفحة ، ومكبث طبعة رابعة 112 صفحة ، وهي من ترجمة خليل مطران . ومكبث طبعة ثالثة 260 صفحة ، ترجمة محمد فريد ابو حديد .

مهرجان الشعر الثالث

منذ ثلاث سنوات وجمعية أصدقاء المعتمد بشفشاون تنظم مهرجانا شعريا تدعو اليه رواد الحرف واصحاب الكلمة في بلدنا ليعالجوا قضية من قضايانا الشعرية الجديرة بالاهتمام والتقويم .

وفي هذه السنة ، لم يكن من الالتزام في شيء ان يكون موضوع المهرجان ظاهرة شعرية معينة ، لان الظروف والملابسات التي كان يعاني منها العالم العربي في الشرق فتردد اصداؤها في شعاب المدينة الصغيرة باقصى الشمال الغربي ــ كانت تحتم ان يكون موضوع المهرجان هو :

(الشعر في معركة فلسطين) عساها ان تستاثر بهذا الفخر الادبي وتطلع على ما في جعبة الشعراء والكتاب من دموع وتمرد وتقويم .

وجاء يوم 15 شتنبر 67 م فتفتحت المدينة الصغيرة صدرها للرواد الكرام الذين انثالوا عليها من مختلف المدن .

افتتح المهرجان بكلمة الجمعية ثم بعرض تاريخي عن قضية فلسطين القاه الدكتور عبد السلام الهراس ، تلا ذلك انتاج الشعراء وبحوث الباحثين وافلام سينمائية حملها مندوب منظمة التحرير الفلسطينية ، وموسيقى تحكي النكبة وتوحي بالعودة .

من بين الشعراء الذين ارتفعت أصواتهم بالانشاد السادة : عبد الرفيع الجوهري ــ احمد الجوماري ــ محمد ابو بكر المريني ــ عبد الكريم الطبال ــ محمد البقالي ــ واصف منصور ــ محمد بنميمون ــ عبد السلام الحضري ــ احمد التسوكي ــ عبد الواحد اخريف ، كما القيت قصائد اخرى نيابة عن أصحابها الذين اعتذروا عن الحضور ، وتفرد منها بالذكر قصيدتي الشاعر محمد عزيز الحبابي ، وقصيدة محمد الغربي .

ومن البحوث الشعرية التي حضر اصحابها وتولوا القاءها على الحاضرين بحث للاستاذ حسن الوراكلي ، وبحث للاستاذ عبد القادر العافية ، وبحث للاستاذ مصطفى بومنيدل .

وفي مساء يوم 17 شتنبر 1967 انهى المهرجان بندوة ختامية تحت عنوان : (الخطابة والعمق في شعر النكبة) شارك فيها شعراء وكتاب من السادة الحاضرين

وهكذا قضت المدينة الصغيرة ثلاثة ايام ، عاشت خلالها بين مرارة النكسة واشراق الحرف ، آملة ان تتحقق احلام يافا ، والرملة ، وبئر السبع ، فتلتقي بالشعراء مرة اخرى وهم يتقلبون بين ربى فلسطين آمنين مبتسمين ، ويغنون للانتصار العربي ، واسترجاع الكرامة الانسانية من ايدي شذاذ الآفاق من ايدي حثالة قذرة رصع اللؤم مفرقيها على مشهد من الاجيال الطويلة وهذه حقب التاريخ تشهد بذلك .